ECSS
المركز المصري
للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

شؤون عسكرية

MILITARY AFFAIRS

غـــزة والقـوى الكبـرى

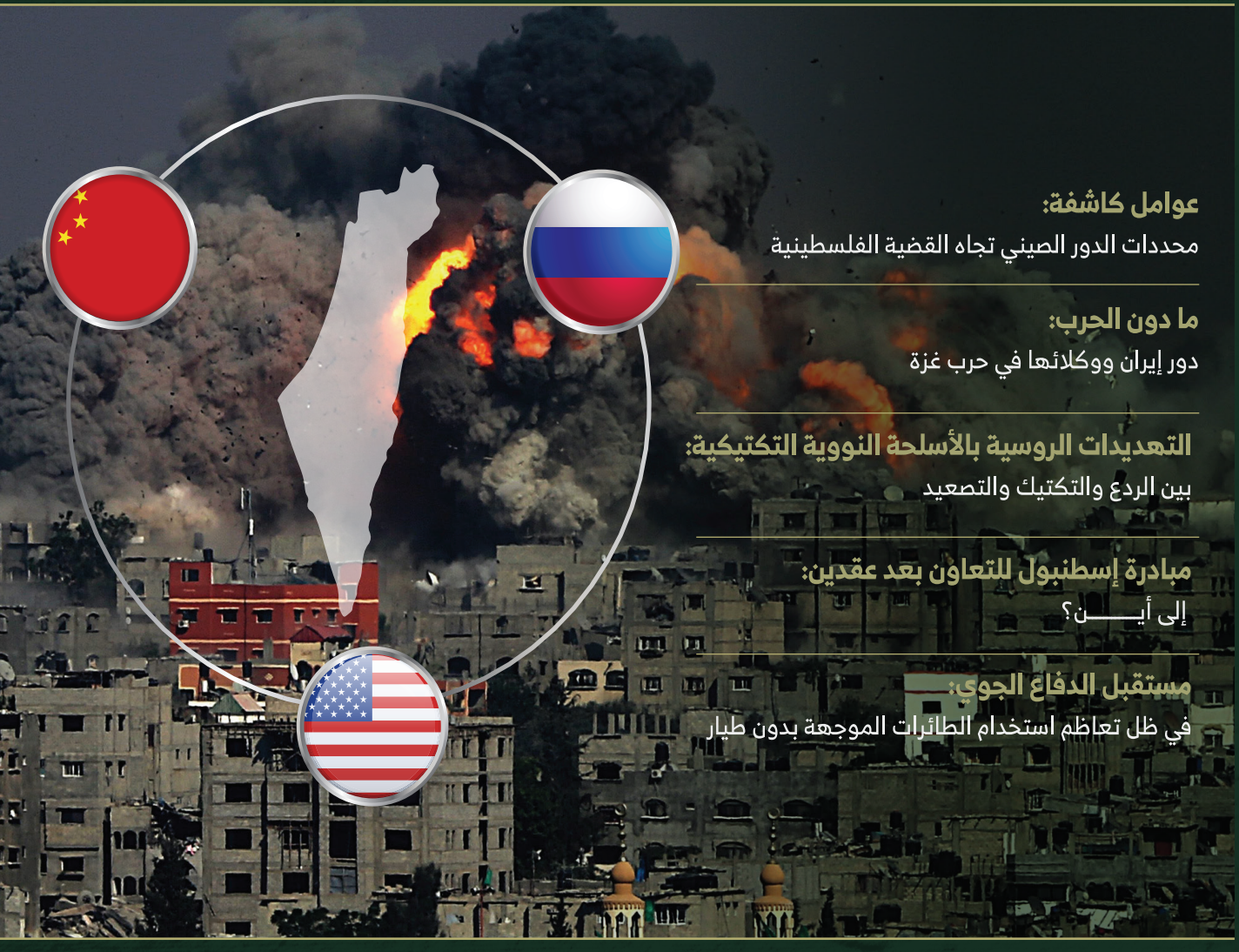

عوامل كاشفة:
محددات الدور الصيني تجاه القضية الفلسطينية

ما دون الحرب:
دور إيران ووكلائها في حرب غزة

التهديدات الروسية بالأسلحة النووية التكتيكية:
بين الردع والتكتيك والتصعيد

مبادرة إسطنبول للتعاون بعد عقدين:
إلى أيـــــن؟

مستقبل الدفاع الجوي:
في ظل تعاظم استخدام الطائرات الموجهة بدون طيار

العـدد الســابع

يوليـو 2024

"تعاونكم أساس تقدمنا"

لا يجوز نسخ أو استعمال كل أو جزء من هذا الكتاب/المطبوعة/المجلة/ الإصدار، بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة من الوسائل. سواء التصوير أو النقل الإلكتروني أو غيرها، دون إذن كتابي مسبق من الناشر.

شؤون عسكرية
MILITARY AFFAIRS
غـــزة والقـــوى الكبـــرى
ecss.com.eg
/ecsstudies

ECSS
المركز المصري
للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

المديـــر الـــعـــام: **د. خـالد عكاشـــة**

نائب المدير العام : **اللواء/ محمد إبراهيـم الدويري**

المستشار الأكاديمي: لواء.أ.ح.د/ **محمد قشقوش**

تحريـــــر : **د. رغدة البهي**

الهيـــئة الأكاديميـــة

د. **دلال محمود**

لواء.د/ **محمد علام**

لواء.أ.ح.د/ **أسامة ابراهيم**

لواء.أ.ح.طيار/ **عماد عبد المحسن**

لواء.أ.ح.د/ **عزالدين عبد الرحمن عوف**

لواء.أ.ح.م/ **مجدي حجازي**

إخراج فني: **أحمد حسني**

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

شـــؤون عسكرية - العدد السابع - يوليـــــو 2024

رقم الإيداع: 2024/17650

الترقيم الدولي: 998-977-87432-8-9

العنوان: 100 شارع الميرغني مصر الجديدة، القاهرة، مصر.

الهاتف: 20226905861+ - 20226905862+ - 20226905863+

البريد الإلكتروني: info@ecss.com.eg

www.ecss.com.eg

المحتويات

07

الافتتـــاحية

08

ملـــف العـــدد: غـــزة والقـــوى الكبـــرى

- عوامل كاشفة:محددات الدور الصيني تجاه القضية الفلسطينية
- عملية "طوفان الأقصى" ومعادلة الانخراط الأمريكي بالمنطقة
- روسيا والحرب الإسرائيلية على قطاع غزة: قراءة في الموقف الرسمي ومحدداته
- مواقف القوى الشعبية والدولية وتحولات الرأي العام العالمي تجاه غزة

30

دراســـــات

- مشهد متأزم: اتجاهات الأزمة السودانية بين سيناريوهات الحسم العسكري وتعقيدات المسار السياسي
- ما دون الحرب: دور إيران ووكلائها في حرب غزة
- المسارات المختلفة للمساعدات الإنسانية لغزة
- تهديدات غير تقليدية: لماذا تآكلت القدرة على ردع الفاعلين من غير الدول؟

51

تقاريـــــر

- التهديدات الروسية بالأسلحة النووية التكتيكية: بين الردع والتكتيك والتصعيد
- مبادرة إسطنبول للتعاون بعد عقدين: إلى أين؟
- التطبيقات العسكرية للذكاء الاصطناعي: مجالات واستخدامات

65

بروفايـــــل

- الفيلسوف والمحارب "صن تزو" وسبل إدارة الصراعات والحروب

70

حالـــة التسلـح

- التحديث العسكري الصيني: على قدم وساق
- مستقبل الدفاع الجوي في ظل تعاظم استخدام الطائرات الموجهة بدون طيار

الافتتاحية

تتالت أعداد الإصدار الدوري النوعي المتخصص "شئون عسكرية" التي وصلت إلى الإصدار السابع وسط متابعات مكثفة من المهتمين بالشأن الدفاعي العسكري الاستراتيجي على المستويين الإقليمي والدولي، سواء من المتخصصين أو الباحثين على تنوع دوائر اهتمامهم؛ حيث يتكون الإصدار من خمسة محاور هي: ملف العدد، والدراسات، والتقارير، وبروفايل لشخصية عسكرية مهمة، وأخيرًا حالة التسلح.

وقد أتى "ملف العدد" ليكون محوره "قضية غزة" ليتناولها من رؤى متعددة، أهمها: الحرب ذاتها منذ "طوفان الأقصى"، ومعادلات الانخراط الأمريكي والصيني، وتحولات الرأي العام العالمي. أما الدراسات، فقد تنوعت موضوعاتها لتشمل: الأزمة السودانية، والحرب الإيرانية بالوكالة تجاه غزة والبحر الأحمر، ومسارات المساعدات الإنسانية في غزة، ثم تآكل قدرات ردع الفاعلين من غير الدول. كما تنوعت موضوعات "التقارير" لتشمل: التهديد الروسي المتصاعد لاستخدام الأسلحة النووية التكتيكية، والتطبيقات العسكرية للذكاء الاصطناعي، ثم ملمح عن مبادرة إسطنبول للتعاون الأطلسي الشرق أوسطي في ذكراها العشرين. وقد جاء "بروفايل" العدد ليذكر بشخصية صينية عسكرية فلسفية مهمة هي الفيلسوف المحارب "صن تزو" الذي يعود تاريخه الشخصي إلى ما قبل الميلاد؛ إلا أنه ما زال رافدًا للفكر الاستراتيجي العسكري. وقد اختتم الإصدار بقسم "حالة التسلح"؛ حيث زيادة الاهتمام بالتحديث الصيني في مجالات تسلح متعددة، وكذلك مستقبل الدفاع الجوي، وتعاظم دور الطائرات الموجهة بدون طيار(درونز) خلال الحروب الحديثة.

هذا، وسيظل إصدار "شئون عسكرية" مهتمًا بتطوير وتحديث محتواه تباعًا، لتغطية أكبر حيز من العلم العسكري التكتيكي والتسليحي، وما يكملهما من الأدبيات الاستراتيجية، وما يحتاجه الباحثون والمهتمون في هذا الصدد، كإحدى مهام ورسالات المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية.

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

ملـــف العـــدد

شهدت الحربُ الإسرائيلية على غزة ردود أفعال دولية واسعة ومتباينة في الآن ذاته، حتى إن بعض القوى الدولية الكبرى لعبت أدوارًا مؤثرة في مسار تلك الحرب، تجلت في تحركاتها الدبلوماسية وتصريحاتها الرسمية ودعمها الدولي، على نحو عكس ثوابتها ومصالحها وتوجهاتها الخارجية. ومن ذلك المنطلق، يسلط "ملف العدد" الضوء على موقف كل من الصين والولايات المتحدة وروسيا وبعض القوى الشعبية والدولية من تلك الحرب. فقد عمدت الصين إلى استضافة أعضاء من جماعة فتح وحماس، ودعت لإطلاق مؤتمر سلام دولي سعيًا لأفق سياسي عماده مبدأ حل الدولتين. فيما تعددت مظاهر الدعم العسكري والدبلوماسي الأمريكي لإسرائيل، تأكيدًا على أن دعم الحكومة الأمريكية لأمن إسرائيل "لا يتزعزع". فيما تبنت روسيا موقفًا دبلوماسيًا حذرًا يسعى إلى تحقيق التوازن بين مختلف الأطراف، مع تكرار الدعوة إلى حل الصراع من خلال الحوار والمفاوضات. وبين المواقف الرسمية المتحفظة ومثيلتها الداعمة، كانت القوى الشعبية أكثر تحررًا؛ فشهدت عواصم ومدن عدة حول العالم مظاهرات حاشدة تندد بالحرب.

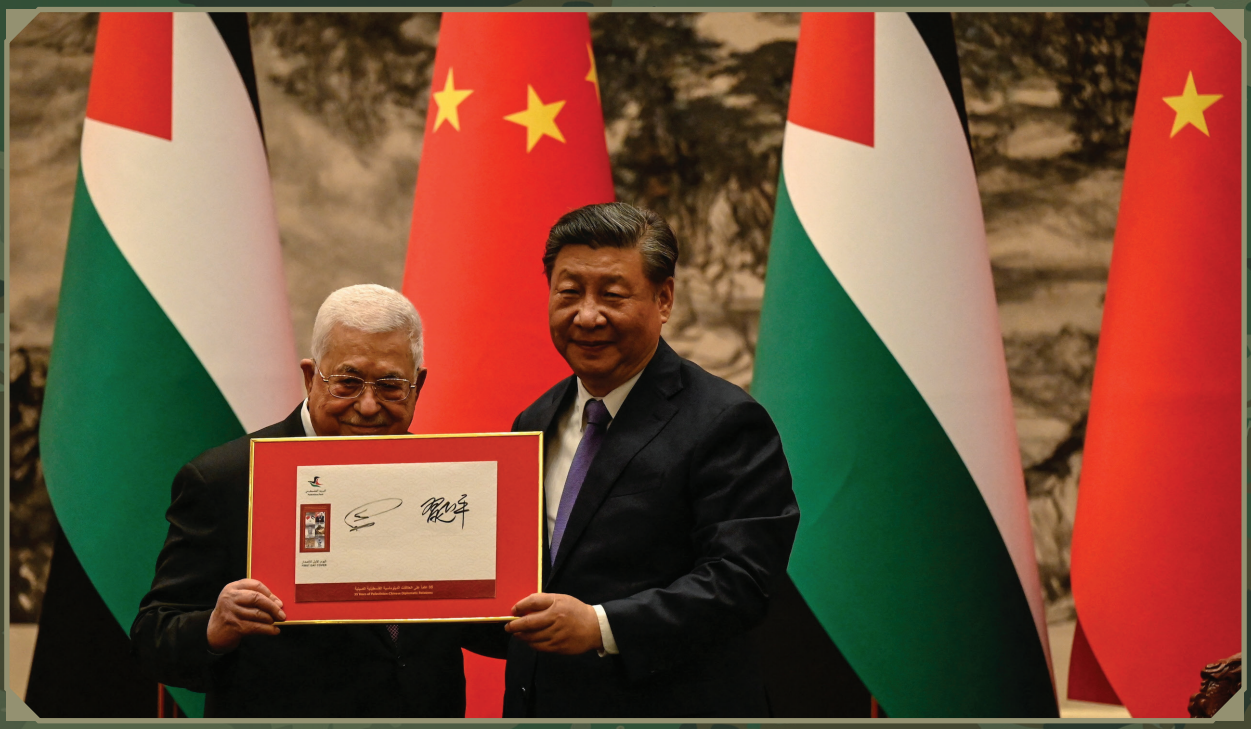

عوامل كاشفة: محددات الدور الصيني تجاه القضية الفلسطينية

في علاقاتها مع منطقة الشرق الأوسط، تستند الصين إلى ما يطلق عليه «دبلوماسية الأزمات»، كلما تنامت أزمة ما داخل منطقة الشرق الأوسط، وجهت الصين بوصلتها بطريقة ملحوظة إلى المنطقة. ومن هنا، يمكن فهم حالة الانخراط الصيني في حرب غزة التي كان لها العديد من الانعكاسات؛ منها: استضافة الصين لأعضاء من جماعة فتح وحماس في محاولة لتقريب وجهات النظر، وكذلك دعوة بكين لإطلاق مؤتمر سلام دولي ينتهي بإيجاد أفق سياسي للقضية الفلسطينية بشكل يقوم أساسًا على مبدأ حل الدولتين.

أ. نرمين سعيد

الباحث الأول بالمرصد المصري

بالمركز المصري للفكر والدارسات الاستراتيجية

ولا شك في تفرد الموقف الصيني تجاه القضية الفلسطينية، ورغم حالة التذبذب التي جاءت متماشية مع التغيرات الجيوسياسية على أرض الواقع فإنها حافظت على قدر من الاتساق مع مبادئها الأساسية تجاه الصراع منذ البداية [1]، وهو ما يقف على الضفة الأخرى من ازدواجية المعايير التي تتسم بها تحركات دول كبرى أخرى، خاصة أن اهتمام الصين لا يقتصر على العلاقات الثنائية فقط، كونها أكثر اهتمامًا باستقرار المنطقة بشكل أكثر عمومية من منطلق تأمين مصادر الطاقة وحماية مصالحها الاقتصادية. ومن هنا، يمكن الدفع بأن تعامل الصين مع القضية الفلسطينية كان متغيرًا في فترات زمنية مختلفة وما ارتبط بها من تحولات جيوسياسية، جعلت بكين أقرب ما تكون في فترات زمنية بعينها، وبعيدة -دون حد القطيعة- في فترات أخرى.

أولًا: العلاقات الصينية-الفلسطينية من منظور تاريخي

- خلال عقد الستينيات، انحازت الصين -بشكل كبير- إلى القضية الفلسطينية؛ إلى أن فتر هذا الانحياز خلال عقد السبعينيات، فأعادت الصين تموضعها خلال عقدي الثمانينيات والتسعينات، ثم تأرجح اهتمامها بالقضية منذ بداية الألفية. بيد أن السمة الأساسية لجميع الفترات كانت دعم الموقف الفلسطيني دون تقديم مساع عملية لحل الصراع العربي-الإسرائيلي. ويمكن تفسير ذلك بالنظر إلى مبدأ المصالح المشتركة الذي تدير به الصين علاقاتها الخارجية بشكل أساسي، فضلًا عن أسباب جوهرية أخرى تتعلق بأحداث تاريخية كان لها آثار جيوسياسية فارقة.

- خلال حرب 1967 لم تكن الصين عضوًا في الأمم المتحدة، ورفضت بشكل قاطع القرار رقم 242 الصادر عن مجلس الأمن في إدانة مبدأ الأرض مقابل السلام الذي كرس حالة اللاسلم واللاحرب، ولم يصب إلى في مصلحة القوى الدولية الكبرى.

- في هذا التوقيت كانت حركة فتح لا تزال تستند في أيدولوجيتها إلى التمرد ومبدأ شن الغارات ضد الاحتلال، وهو ما شجع الصين على دعمها، لأن توجهاتها كانت متشابهة مع حركة أو حزب القوميين، وهو الحزب الذي كان يحكم جزءًا كبيرًا من بر الصين بين عامي 1928 1949-، وكان يواجه مقاومة أقرب ما تكون إلى "حرب العصابات". ولذلك، قدمت الصين مساعدة مالية في هذه الفترة لم تتجاوز 5 ملايين دولار على شكل مساعدات عسكرية ومالية. وفي هذا السياق، تواصلت الصين بشكل أساسي مع أطراف القضية الفلسطينية عن طريق علاقاتها مع منظمة التحرير الفلسطينية وتحديدًا قيادات فتح، وهو ما حدد التحركات الصينية في هذا الملف؛ إذا لم تكن لها علاقات مع باقي الفصائل الفلسطينية؛ من منطلق أن الصين لا تهتم كثيرًا إلا بالممثل الشرعي للدول سواء كانت حكومات أو منظمات.

- بينما شهدت فترة السبعينيات متغيرات أساسية جعلت اهتمام الصين بالقضية الفلسطينية يتراجع إلى حد كبير، حيث مثل الاتحاد السوفيتي قوة صاعدة كبيرة خلال هذا التوقيت، وكان من الطبيعي أن تمثل له حركات التحرر الوطني أولوية كبيرة. وفي التوقيت نفسه شهدت العلاقات الصينية-الأمريكية قدرًا كبيرًا من التقارب، وانضمت الصين إلى الأمم المتحدة، وحظيت بمقعد دائم في مجلس الأمن، وهو ما جعلها تعيد ترتيب أولوياتها وتهمش علاقاتها إلى حد ما مع الاتحاد السوفيتي وحركات التحرر. وفي ذلك التوقيت، أعلت بكين مبدأ بناء العلاقات الدبلوماسية مع "دول" المنطقة؛ في وقت كانت فيه المقاومة المسلحة لا تزال تسيطر على الفصائل الفلسطينية. ومن هنا، اتخذت السلطات الصينية قرارًا بترقية مكتب منظمة التحرير الفلسطينية إلى سفارة، وفي التوقيت نفسه صوتت الصين إلى صالح قرار الأمم المتحدة بتصنيف الصهيونية كمرادف للعنصرية.

- طوال الوقت تحركت الصين بمنطق الدولة الكبرى، واستهدفت مناوءة القوى الكبرى. ولذلك، فإنها وبحلول الثمانينات، اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني، وكانت المنظمة في هذه الفترة قد تخلت عن فكرة الكفاح المسلح، وتحولت إلى المفاوضات. وبدأت الصين في دعم القضية الفلسطينية على مستوى دولي مع تشجيع الدول الكبرى على استضافة محادثات مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل في مسعى لتسوية الصراع العربي-الإسرائيلي.

- هذه السياسية المتذبذبة من قبل الصين ناحية القضية الفلسطينية دفعتها للإصرار على نهج عدم التدخل. وقد تبلور ذلك في موقفها من اللجنة الرباعية التي أعلنت عنها الأمم المتحدة، بالإضافة للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي خلال عام 2002 لتنظيم النشاط الدولي فيما يتعلق بتسوية الصراع العربي-الإسرائيلي، حيث لم تستهدف الصين الانضمام، ولكنها عينت مبعوثًا خاصًا لمنطقة الشرق الأوسط كان له دور رمزي إلى حد كبير.

- خلال عام 2012، اتخذت الصين موقفًا إيجابيًا اتسم بطابع المبادرة في التعامل مع القضية الفلسطينية؛ بالابتعاد عن حدود الدعم الخطابي؛ حيث صوتت داخل الأمم المتحدة لصالح منح فلسطين صفة الدولة المراقب داخل المنظمة، كما تقدم الرئيس الصيني خلال عام 2013 بمقترح تضمن أربع نقاط استندت إلى فكرة التفاوض كبديل وحيد

لإطلاق عملية السلام، ولكن توقف حدود التدخل الصيني عند تقديم المقترح دون دعمه بالتحركات السياسية أو الدبلوماسية.

- خلال عام 2014، أدانت الصين العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، كما رتبت لقاءً مع القيادي "خالد مشعل" داخل الدوحة في محاولة للتوصل لوقف إطلاق النار. وفي النهاية، نجحت جهود القاهرة في التهدئة.

- بينما شهد عام 2017 زيارة الرئيس "محمود عباس" إلى الصين في محاولة لإعادة إحياء مقترح الصين ذي الأربع نقاط الذي تم تقديمه خلال عام 2013، وذلك لاهتمام الصين المتنامي بمبادرة الحزام والطريق وتنمية التواصل مع الدول العربية. وقد عقدت بكين بالفعل اجتماعًا بين الأطراف، لكنه لم يكن مؤثرًا في أرض الواقع.

- خلال عام 2019، انتقدت الصين المقترح الذي تقدمت به الولايات المتحدة تحت مسمى "صفقة القرن" لما فيها من انحياز واضح للإسرائيليين وإجحاف في حق الفلسطينيين وتوقعاتهم.

- ولكن سرعان ما طغى موقف الصين من اتفاقات إبراهام على تعاملها مع "صفقة القرن"، ولكنها كانت حذرة في التعامل مع هذه الموجة من التطبيع، لأنها دحضت مفهومًا أساسيًا في تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي عماده حل القضية الفلسطينية الذي يجب أن يسبق أي خطوات للتطبيع، فتخوفت الصين من أن تؤثر موجة التطبيع تلك في وضع إيران في المنطقة أو في مصالحها الاقتصادية في منطقة الخليج.

- وفي الفترة الممتدة من مايو إلى يونيو 2021، اجتذبت الصين اهتمامًا عالميًا نتيجة موقفها المبادر من التصعيد الإسرائيلي-الفلسطيني. وخلال عام 2022، استمر الدعم الصيني للقضية الفلسطينية؛ حيث صوتت الصين في ديسمبر من العام نفسه لصالح قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة [2] يقدم دعوى لمحكمة العدل الدولية (ومقرها لاهاي)، لتقديم رأي استشاري حول التبعات القانونية المترتبة على الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية.

- وقد لحق بذلك مقترح تقدمت به بكين خلال عام 2023 للوساطة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وهو العام نفسه الذي شهد إعلان الشراكة الاستراتيجية بين الصين وفلسطين [3]، ويعزى ذلك إلى أن الصين وبعد نجاحها في التوسط بين السعودية وإيران انفتحت شهيتها على الانخراط بشكل متزايد في ملفات الوساطة في منطقة الشرق الأوسط مع الأخذ في الاعتبار أن ملفات الوساطة تحتاج إلى وجود قناة حوارية مفتوحة بين الأطراف قبل التوصل إلى اتفاق، وهو ما كان موجودًا في الحالة السعودية-الإيرانية عبر وسطاء آخرين. وخلال العام نفسه، أظهرت الصين دعمًا يُوصف بغير المشروط للجانب الفلسطيني، وذلك بعد زيارة وزير الأمن القومي "إيتمار بن جفير" إلى الحرم القدسي في شهر يناير، وتقدمت بطلب داخل مجلس الأمن مع دول أخرى يطالب بإجراء مناقشة عاجلة لهذه الأعمال التي وصفتها بكين في الطلب المقدم بالتحريضية والاستفزازية[4].

- وخلال الحرب الحالية، التزم الخطاب الصيني بتوجهاته المنعكسة في إدانة أي أعمال إرهابية، ولكن في الوقت نفسه إدانة القوة المفرطة في التعامل معها[5]. كما أرجع المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية تكرار انفجار الصراع بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي إلى تجاهل حقوق وتطلعات الشعب الفلسطيني، وهو ما يشير إلى أن الصين ترى أن تل أبيب وواشنطن هما المسئولتان عن استمرار تصاعد العنف مع الجانب الفلسطيني وفي المنطقة عمومًا.

- وعلى الصعيد الاقتصادي، دعمت بكين حوالي 40 مشروعًا داخل فلسطين، بما فيها المدارس والطرق وما يتعلق بالإمدادات الطبية خلال جائحة كوفيد19-، إلا أن الدعم الاقتصادي الذي قدمته بكين يبقى محدودًا إذا ما قورن بقوتها الاقتصادية وبمساهمتها في دعم المواقف السياسية [6]. وهذا الموقف يغاير مساهمات الصين الاستثمارية في مجال البنية التحتية على الأقل في العديد من الدول ومنها إسرائيل، وربما تركن الصين -في هذا الإطار- إلى إيجاد الحد الأدنى من التعاون الاقتصادي ليسمح لها بنوع من التأثير السياسي وإن كان محدودًا. ويمكن إرجاع عدم اكتراث الصين بالسوق الفلسطيني أولًا إلى صغر حجمه، وثانيًا إلى حالة عدم اليقين بشأن الحكومة الفلسطينية؛ مما يجعل بكين قلقة على مصالحها الاقتصادية التي ستتأثر بعدم الاستقرار السياسي[7].

- مثلت حرب غزة إضافة كبيرة إلى موقف الصين من القضية الفلسطينية [8]؛ فخلال فبراير 2024، أقرت الصين حق الفلسطينيين في مقاومة الاحتلال على أراضيهم بالقوة المسلحة، وهو ما ورد خلال الجلسة المفتوحة داخل محكمة العدل الدولية، وعبر عنه "تشانغ جون" (سفير الصين لدى الأمم المتحدة)، حيث أكد خلال الجلسة على أن كثيرًا من البلدان تحررت من الاحتلال من خلال حركات المقاومة المسلحة.

- وفي مسار موازٍ لكل ما سبق، مثّل موقف الصين من حركة حماس محددًا مُهمًا لموقفها من القضية بشكل عام، حيث تتبنى الصين موقفًا مغايرًا في التعامل مع حركتي فتح وحماس، ذلك لأنها تنطلق بالأساس من موقف يعارض حركات الإسلام السياسي وتوجهاتها، ولديها قلق عميق من الأوضاع في منطقة شينجيانغ ذات الأغلبية الإسلامية والتي لها ممارسات

تصفها بكين بأنها ممارسات إرهابية، ولم تعدل الصين من نظرتها لحركة حماس قبل الانتخابات الفلسطينية التي جرت خلال عام 2006 عندما فازت الأخيرة.

- ابتعدت الصين تمامًا عن حظر حركة حماس كما فعلت الكثير من الدول باعتبارها جماعة إرهابية، واستندت إلى أنها تمتلك نوعًا من التوافق الشعبي، وبناءً عليه قامت باستضافة وزير خارجية حماس في ذلك التوقيت "محمود الزهار" وذلك خلال منتدى التعاون الصيني-العربي الذي انعقد خلال عام 2008. ولكن قوة رد الفعل الإسرائيلي التي وصلت إلى حد استدعاء السفير الصيني وتوجيه اللوم له والتأكيد على أن الصين بهذا التصرف تضر بمكانتها في منطقة الشرق الأوسط، فضلًا عن تعريض علاقتها مع إسرائيل للخطر، دفع بكين لمراجعة موقفها والعودة إلى قواعدها التقليدية بالتعامل مع السلطة الفلسطينية في رام الله.

ثانيًا: تأثير علاقات الصين مع إسرائيل في موقفها من القضية الفلسطينية

بدأت إرهاصات العلاقات الصينية-الإسرائيلية في فترة الثمانينيات، وكانت مقتصرة في البداية على التعامل في المجال العسكري، حيث كانت إسرائيل تزود الصين بمعدات عسكرية سوفيتية استولت عليها تل أبيب خلال حروبها مع العرب. وبعد افتتاح القنصلية الإسرائيلية في هونج كونج خلال عام 1987، ألغي القرار رقم 3379 الصادر عن الأمم المتحدة، والذي كان قد ساوى بين الصهيونية والعنصرية، وذلك بموجب القرار قم 46/86. وللمفارقة فإن الصين كانت قد امتنعت عن التصويت عليه رغم أنها كانت ممن أيدوا القرار الأول، وهو ما سمح لها بإطلاق علاقات دبلوماسية كاملة مع الجانب الإسرائيلي خلال عام 1992، وهو ما أهل بكين للاضطلاع بدور أكبر في عملية السلام، لأنها أصبحت على علاقات كاملة بمنظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. وفي السياق نفسه، غيرت الصين من موقفها من القرار رقم 242 الصادر عن مجلس الأمن، وأيدت اتفاق أوسلو الذي تم توقيعه بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل عام 1993، وهو ما كان إيذانًا بفصل الصين والعديد من الدول لتطور الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي عن علاقاتها مع البلدين، ما عنى بطبيعة الحال علاقات أكثر تقاربًا مع إسرائيل قائمة بشكل كبير على المصالح وليس على الجانب الأيديولوجي والأخلاقي الذي تتعامل الصين بموجبه مع القضية الفلسطينية.

وقد أثار هذا التقارب بين الصين وإسرائيل حفيظة الولايات المتحدة بشكل كبير خلال التسعينيات، خاصة أن العلاقات كانت قائمة بدرجة كبيرة على التعاون العسكري. وإن كانت واشنطن قلقة أيضًا من كل أنماط التقارب بين بكين وتل أبيب، إلا أنها أولت الاهتمام الأكبر لخفض وتيرة التعاون العسكري بين البلدين، وهو ما حدث بالفعل، حيث تراجعت إسرائيل عن مبيعات الأسلحة لبكين.

ولكن ظهر على السطح تعاون من نوع آخر يتعلق باهتمام بكين بالاستثمار في قطاع التكنولوجيا الفائقة في إسرائيل على المستويين المدني والعسكري. ومن هنا، يمكن الإشارة إلى أن نمو العلاقات بين الصين وإسرائيل في المجال الاقتصادي -على الأقل- قد فاق بكثير نمو العلاقات الاقتصادية بين الصين والسلطة الفلسطينية. وخلال عام 2013، وقعت الصين مع إسرائيل اتفاقية تعاون في البنية التحتية. ومن منظور الصين، فإن تل أبيب هي بوابة للدول الأوروبية، ويتيح الوجود الصيني في السوق الإسرائيلية اكتساب الخبرة لتحقيق المزيد من الانخراط في الأسواق الأوروبية[9].

ومن هنا، تمكن الإشارة إلى أن البلدين نجحا في الوصول إلى مقاربة تتعلق بفصل الاختلافات والإشكالات في الملف السياسي عن التعاون في المجال الاقتصادي. ومن هنا، يلاحظ أن التعاون على المقياس الاقتصادي يتنامى، بينما تظل الخلافات السياسية قائمة. وتنطلق إسرائيل في هذا من مبدأ براجماتي، يتمحور حول أن التباعد مع قوة اقتصادية مثل الصين سيضر أكثر مما يفيد.

ثالثًا: دوافع الاهتمام الصيني بالقضية الفلسطينية

تتحرك الصين في عدد من الملفات وليس في ملف الشرق الأوسط فحسب، انطلاقًا من محاولات البحث والتأسيس لنظام عالمي جديد يمثل بديلًا عن النظام الأمني العالمي الحالي بقيادة الولايات المتحدة. وقد أطلقت الصين على هذا الاتجاه اسم **"مبادرة الأمن العالمي"** [10] على الرغم من عدم وضوح معالمها حتى الآن، **ولكن يمكن تحديد دوافعها على النحو التالي:**

- رغبة الصين في اعتبارها قوة عالمية مؤثرة في ملف السلام، فضلًا عن أنها قادرة على أن تحل ما بدا أنه مستعصيًا من ملفات وقضايا المنطقة.
- تحاول الصين أن تكون القوة الأكثر تأثيرًا في الجنوب العالمي الذي طالما دعم القضية الفلسطينية، وذلك باعتبارها لاعبًا قويًا ونشطًا يعمل على ترسيخ مبادئ النوايا الحسنة.
- هناك رغبة صينية حثيثة في تقويض مكانة الولايات المتحدة من خلال ملء الفراغات الأمريكية الهائلة في مناطق مختلفة من العالم. ومن هنا، فإن الانسحاب الجزئي الذي أقدمت عليه الولايات المتحدة من منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي خلف فراغًا استطاعت الصين ملءه، وكان أبرز انعكاساته الاتفاق بين السعودية وإيران، ولكن أدت العديد من العوامل ومنها الحرب الروسية-الأوكرانية والحرب في غزة إلى إعادة انخراط الولايات المتحدة في المنطقة بطاقتها الكاملة دون أن تصبح الحليف الموثوق لدول الخليج العربي، مما جعل الصين قادرة على الاضطلاع بدور أكبر، وهو ما تطمح إلى إسقاطه على ملف الصراع العربي-الإسرائيلي.

- تتجاهل الصين -في هذا الإطار- أنها إن كانت طرفًا موثوقًا بالنسبة للعرب وفلسطين، إلا أنها لا تتمتع بالقدر نفسه من الثقة من جانب إسرائيل، نظرًا للمواقف السياسية المتباينة، وهي حالة مغايرة للاتفاق الإيراني-السعودي الذي نجحت الصين في إنجازه، لأنها حازت على ثقة الطرفين الإيراني والسعودي.

- إن العلاقات بين الصين والولايات المتحدة ليست في أفضل حالاتها، وبطبيعة الحال فإن إسرائيل لن توقع على اتفاق لا ترعاه الولايات المتحدة أو توافق عليه.

- في كل الأحوال، إن نجحت الصين في جمع الأطراف إلى مائدة المفاوضات للمرة الأولى منذ عقد تقريبًا، ستحتل فراغ خلفته الولايات المتحدة. ومع عدم واقعية هذا الاحتمال بشكل كبير، لا يمكن تجاهل أنه يبقى هدفًا قابلًا للتحقيق من وجهة النظر الصينية، وهو ما قد يمثل عاملًا محفزًا للولايات المتحدة لإعادة الانخراط الكامل في الملف؛ قلقًا على مكانتها في منطقة الشرق الأوسط.

- كما تستهدف بكين إنهاء الحرب الحالية، لأن اشتعال هذه الجبهة في غزة هو الأساس في ممارسات جماعة الحوثي في منطقة البحر الأحمر التي تضغط على اقتصاد الصين، وتهدد المرات التجارية الدولية [11].

رابعًا: الإعلام الصيني ودحض الرواية الإسرائيلية حول حرب غزة

مثل منهج الصين في التعامل الإعلامي مع الحرب التي اندلعت داخل قطاع غزة منذ أكتوبر الماضي عاملًا مهمًا في التعريف بالرواية الفلسطينية، فقد اعتمدت وسائل الإعلام الصينية المملوكة للدولة بالدرجة الأولى على ترويج رسائل إعلامية تقنع متلقيها بأن الولايات المتحدة هي جزء أساسي من التوترات السياسية والعسكرية في منطقة الشرق الأوسط بسبب دعمها السافر للاحتلال الإسرائيلي على حساب طموحات الفلسطينيين، والترويج لمبادئ لا تتضمن إلا فكرة الأمن المطلق للولايات المتحدة تحت ستار جاذب وهو "عملية السلام".

ولا يمكن تجاهل الدور الذي قامت به وسائل التواصل الاجتماعي المملوكة للصين في فضح الممارسات الإسرائيلية وعكسها لصالح الرواية الفلسطينية، وذلك عبر مواقع أساسية ومنها موقع "ويبو" (النسخة الصينية لموقع "X")، والذي يخضع لرقابة شديدة، إلا أنه وبعد فترة قصيرة من اندلاع الصراع تم تفعيل حوالي 12 وسم يتعلق بالحرب بين حركة حماس وإسرائيل، وهي "الوسوم" التي اطلع عليها حوالي 250 مليون شخص [12].

أما الدور الرئيسي في عكس الرواية الغربية فكان لمنصة " تيك توك الصينية" [13]، حيث أن خوارزمياتها جعلت أعين المواطنين في الغرب تتفتح على حقيقية الممارسات الإسرائيلية في قطاع غزة وعلى دور الولايات المتحدة في دعم هذه الممارسات، ومن المهم الإشارة إلى أن قطاعًا كبيرًا من الشباب الأمريكي يستخدم المنصة الصينية بكثافة. وتكشف أرقام إحصائية صادرة عن "مركز بيو للأبحاث" عن تصاعد عدد البالغين الذين يتلقون الأخبار بصورة منتظمة من "تيك توك"، بخلاف مواقع التواصل المختلفة؛ حيث تصل النسبة إلى 62% لمن هم تحت سن الثلاثين و39% للفئة العمرية بين عامي 30 - 49 عامًا [14].

ويبلغ عدد مستخدمي التطبيق في الولايات المتحدة 136.42 مليون مستخدم. وعمومًا، فقد ركزت المناقشات في المنصة الصينية على تجاهل التعاطف بشكل كامل مع إسرائيل أو أمنها على أي مستوى من المستويات. كما لاقت النقاشات التي تتضمن أن بكين لا تدين لإسرائيل بأي اعتذار رسمي، بسبب غضب الأخيرة من موقف الصين من الصراع، زخمًا وانتشارًا كبيرًا. بينما كان المستهدف من منشورات أخرى التركيز على الدور التحريضي الذي تمارسه الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وكونها رقمًا أساسيًا في تعقيد المشهد السياسي في المنطقة.

في الأخير، شهدت العلاقات بين الصين وفلسطين تاريخيًا حالات من المد والجزر تنسب إلى تغير الأولويات الصينية بالتوافق مع عملية التنافس المتصاعدة بينها وبين القوى الكبرى الأخرى، وذلك بدرجة أكبر بكثير من نمط تطور الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي نفسه [15].

ومن ناحية أخرى، فإن العلاقات الاقتصادية والتجارية المتنامية التي امتلكتها بكين مع تل أبيب تشكل أهمية حيوية بالنسبة للصين التي تعتمد على العقلية التجارية في إدارة علاقاتها السياسية. وعليه، يرجع إصرار الصين على الانخراط في حل القضية الفلسطينية وفي ملفات الوساطة بشكل عام في منطقة الشرق الأوسط لمناوءة الولايات المتحدة في مناطق نفوذها، كونه هدفًا أساسيًا للصين، فضلًا عن حماية مصالحها الاقتصادية في المنطقة. ومن هنا، جاءت دعوة الصين لعقد مؤتمر دولي للسلام، وإن كانت تدرك أنها بحاجة للانخراط بشكل أكبر في المنطقة قبل أن تحقق اختراقًا في هذا الملف [16].

وفي هذا السياق، تمتلك الصين أوراق قوة؛ منها علاقاتها الجيدة مع الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني، علاوة على علاقاتها مع حركة حماس، وكذا علاقاتها الجيدة مع مصر والدول العربية وإيران التي تمتلك تأثيرًا بدورها في حركة حماس، حتى أن حركة المقاومة طالبت أن تكون الصين إلى جانب روسيا وتركيا ضامنًا لأي اتفاق يتم التوصل إليه. ولكن على الجانب الآخر، فإن علاقات الصين الاقتصادية مع إسرائيل لا تؤهلها لتمارس ضغطًا سياسيًا عليها، ويضاف ذلك إلى علاقاتها التنافسية مع الولايات المتحدة والتي تجعل أي مبادرة تتقدم بها الصين حاليًا عرضة للفشل [17].

المصـــــــادر

1. GT staff reporters, China, Palestine upgrade ties to 'milestone' strategic partnership, Global Times, Jun 14, 2023, Available at: https://www.globaltimes.cn/page/202306/1292561.shtml

2. Galia Lavi & Oded Eran, China, Israel, and the Palestinians: Navigating Politics and Economics, INSS Insight, No. 1690, March 6, 2023, Available at: https://www.inss.org.il/publication/china-palestinians/

3. GT staff reporters, Op.cit.

4. Galia Lavi & Oded Eran, Op.cit.

5. I Bid.

6. I Bid.

7. Alex Colville, The China-Palestine relationship, explained, The China Project, October 17, 2023, Available at: https://thechinaproject.com/2023/10/17/the-china-palestine-relationship-explained/

8. Maidah Tariq, Does China Really Support Palestine?, Paradigm Shift, Available at: https://www.paradigmshift.com.pk/china-palestine/

9. Galia Lavi & Oded Eran, Op.cit.

10. Adam Gallagher, Is China Preparing to Make a Run at Israeli-Palestinian Peace?, United States Institute of Peace, June 22, 2023, Available at: https://www.usip.org/publications/2023/06/china-preparing-make-run-israeli-palestinian-peace

11. Alex Colville, Op.cit.

12. Kevin Dong and Mallie Prytherch, Chinese narratives on the Israel-Hamas war, Brookings, January 22, 2024, Available at: https://www.brookings.edu/articles/chinese-narratives-on-the-israel-hamas-war/

13. نرمين سعيد، رسالة بن لادن.. لماذا أعاد الأمريكيون تداول رسالة عمرها 22 عامًا؟، المرصد المصري، 20 نوفمبر 2023، متاح على: https://marsad.ecss.com.eg/79918/

14. Kirsten Eddy, 6 facts about Americans and TikTok, Pew Research Center, April 3, 2024, Available at: https://www.pewresearch.org/short-reads/2024/04/03/6-facts-about-americans-and-tiktok/

15. حكمات العبد الرحمن، الصين والشرق الأوسط: دراسة تاريخية في تطور موقف الصين تجاه قضايا المنطقة العربية بعد الحرب الباردة، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)

16. عبد الله عقرباوي، الصين وحرب غزة.. تباين مع واشنطن وبحث عن دور بالمنطقة، الجزيرة، 2 فبراير 2022، متاح على:

https://www.ajnet.me/politics/2024/2/2/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D8%AA%D8%A8%D8%A7%D9%8A%D9%86-%D9%85%D8%B9-%D9%88%D8%A7%D8%B4%D9%86%D8%B7%D9%86-%D9%88%D8%A8%D8%AD%D8%AB-%D8%B9%D9%86

17. السيد صدقي عابدين، دلالات الموقف الصيني من التصعيد في الشرق الأوسط، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 10 أكتوبر 2023، متاح على: https://acpss.ahram.org.eg/News/21021.aspx

عملية «طوفان الأقصى» ومعادلة الانخراط الأمريكي بالمنطقة

ردًا على عملية "طوفان الأقصى" التي شنتها حركة حماس في السابع من أكتوبر 2023، جاءت الاستجابة السريعة لإدارة الرئيس الأمريكي "جو بايدن" عبر تقديم تأكيد جديد لدعم إسرائيل من خلال توفير مساعدات عسكرية تعزز قوتها في مواجهة حماس، بل وتضمن لها استمرار تفوقها النسبي في المنطقة. إذ أكد الرئيس "بايدن" أن واشنطن على استعداد تام "لتقديم جميع وسائل الدعم المناسبة لحكومة وشعب إسرائيل"، مشددًا على أن دعم الحكومة الأمريكية لأمن إسرائيل "قوي للغاية ولا يتزعزع"[1].

د. مها علام

الباحثة بوحدة الدراسات الأمريكية

بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

وتعليقًا على اليوم الدامي، 27 أكتوبر 2023، الذي قامت فيه قوات الاحتلال الإسرائيلي بقطع الاتصالات والإنترنت عن غزة من أجل تكثيف عملياتها الدامية ضد المدنيين بالقطاع، قال المتحدث باسم مجلس الأمن القومي الأمريكي "جون كيربي": إن واشنطن "لا تضع خطوطًا حمراء" لإسرائيل، مضيفًا "نحن مستمرون في دعم احتياجاتها الأمنية" [2].

ومن ثم، دفعت الحرب الإسرائيلية على غزة الولايات المتحدة إلى اتخاذ مجموعة من التحركات التي من شأنها ليس فقط ضمان الأمن الإسرائيلي، وإنما إعادة تأكيد قدرة واشنطن على ضبط مجريات الأمور بالمنطقة، وهو ما انعكس جليًا في إطلاق عملية "حارس الازدهار" لضمان حرية الملاحة في البحر الأحمر ردًا على الهجمات التي شنتها جماعة الحوثي في اليمن، ناهيك بالتعاون مع إسرائيل في صد هجمات الطائرات بدون طيار والصواريخ التي شنتها إيران في 13 أبريل 2024.

أولًا: تحركات متوازية

يُعد التوجه الأمريكي القائم على حماية إسرائيل ودعم أمنها بالمنطقة هدفًا محوريًا للولايات المتحدة على اختلاف الإدارات المتعاقبة، بل تنظر إليه واشنطن باعتباره التزامًا أمريكيًا راسخًا، يستند إلى ضرورة الحفاظ على تفوق إسرائيل العسكري النوعي وتعزيز قدرتها على الدفاع عن نفسها ضد أي تهديد [3]. ومن ثَمّ، فإن حالة التصعيد والاحتقان التي تشهدها المنطقة، والتي تتصل بالعدوان الإسرائيلي على غزة على وجه الخصوص، والدور المزعزع للاستقرار الذي تقوم به إيران ووكلائها بالمنطقة على وجه العموم، بات يمثل مُحفزًا جديدًا من أجل إعادة تأطير تحركاتها بالمنطقة بما يضمن أمن إسرائيل، ويثبط تهديدات طهران وأذرعها، **وهو ما يمكن تفكيكه على النحو التالي:**

1. المساعدات العسكرية لإسرائيل:

لا يوجد اتفاق دفاع مشترك بين الولايات المتحدة وإسرائيل على شاكلة الاتفاقات التي تمت مع حلفاء آخرين كاليابان أو الدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي "الناتو". إلا أنه في المقابل، تعد إسرائيل ضمن قائمة محدودة من "الحلفاء الرئيسيين من خارج الناتو"، بما يوفر لها امتياز الوصول إلى المنصات والتقنيات العسكرية الأمريكية الأكثر تقدمًا، ناهيك بكونها أكبر متلقٍ تراكمي للمساعدات الخارجية الأمريكية [4].

في أعقاب عملية "طوفان الأقصى" في 7 أكتوبر 2023، التي تبعها عدوان إسرائيلي واسع النطاق على غزة، سنت الولايات المتحدة تشريعًا يوفر ما لا يقل عن 12.5 مليار دولار من المساعدات العسكرية لإسرائيل، بما في ذلك 3.8 مليارات دولار من مشروع قانون في مارس 2024 (تماشيًا مع مذكرة التفاهم الحالية) و8.7 مليارات دولار من قانون الاعتمادات التكميلية في أبريل 2024 [5].

وفي هذا السياق، كشفت صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية، نقلًا عن مسئولين أمريكيين أخبروا الكونجرس خلال اجتماع سري، عن قيام إدارة "بايدن" بما يتجاوز "مائة" صفقة عسكرية إلى إسرائيل، وقد استوفيت اثنتان منهم فقط -بإجمالي حوالي 250 مليون دولار- عتبة مراجعة الكونجرس وتم الإعلان عنهما، وقد شملتا ذخيرة دبابات بقيمة 106 ملايين دولار، و147.5 مليون دولار من المكونات اللازمة لصنع قذائف عيار 155 ملم [6]. وفي إطار الصفقات المائة، تلقى الجيش الإسرائيلي شحنات سريعة للأسلحة من المخزون الاستراتيجي الذي احتفظت به الولايات المتحدة في إسرائيل منذ الثمانينيات. وبعد وقت قصير من هجوم "طوفان الأقصى"، وافقت واشنطن أيضًا على تأجير بطاريتين للدفاع الصاروخي من طراز القبة الحديدية لإسرائيل [7].

وقد نقلت صحيفة "واشنطن بوست" عن المتحدث باسم وزارة الخارجية "مات ميلر" قوله إن المسئولين الأمريكيين "تواصلوا مع الكونجرس" بشأن عمليات نقل الأسلحة إلى إسرائيل "أكثر من 200 مرة" منذ 7 أكتوبر. كما نقلت عن "جيريمي كونيديك"، المسئول الكبير السابق في إدارة "بايدن" والرئيس الحالي لمنظمة اللاجئين الدولية، قوله: إذ هذا العدد "غير العادي" على مدار فترة زمنية قصيرة جدًا يؤشر بقوة إلى أن "الحملة الإسرائيلية لن تكون مستدامة بدون هذا المستوى من الدعم الأمريكي" [8].

وكنتيجة للضغوط التي تعرضت لها إدارة "بايدن" بسبب اتساع حدة ونطاق الانتهاكات التي تقترفها آلة الحرب الإسرائيلية بحق المدنيين في غزة، عطلت الإدارة الأمريكية "لأول مرة" شحنة من الذخيرة كانت متوجهة لإسرائيل. فقد أكد مسئول أمريكي كبير لـ"بي بي سي" تعليق شحنة من آلاف القنابل. كما قال: أيضًا أن الإدارة تراجع بيع أسلحة أخرى أيضًا، من بينها تجهيزات تحويل القنابل الحرة إلى قنابل موجهة [9].

وفي مقابل ذلك، كشفت صحيفة "وول ستريت جورنال"، في مايو 2024، عن وجود صفقة عسكرية جديدة لإسرائيل تتجاوز قيمتها مليار دولار. فقد نقلت الصحيفة عن مسئولين أمريكيين ومسئولين في الكونجرس قولهم إن إدارة "بايدن" أخطرت الكونجرس بأنها تمضي قدمًا في صفقات أسلحة جديدة لإسرائيل تزيد قيمتها عن مليار دولار، تشمل احتمال نقل 700 مليون دولار من ذخيرة الدبابات و500 مليون دولار من المركبات التكتيكية و60 مليون دولار من قذائف الهاون [10].

2. المساعدات الإنسانية لغزة:

بالتوازي مع تقديم الدعم العسكري لإسرائيل، وتأكيدًا على محورية القيم الأمريكية واستجابة للضغوط الداخلية التي تشهدها الإدارة الأمريكية، سعت واشنطن لتسهيل وصول ودخول المساعدات الإنسانية لقطاع غزة، موضحة أنه في ضوء الحاجة المتزايدة لدخول المزيد من المساعدات، فقد اتجهت إلى تدشين رصيف بحري عائم من شأنه الإسهام في إدخال المزيد من المساعدات.

تـم الاسـتعانة بجنـود مـن لـواء النقـل السـابع بالجيش في قاعدة "لانجلي-يوستيس" المشتركة بفيرجينيا، وبحارة من مجموعة الشاطئ البحري 1 في قاعدة كورونادو البحرية البرمائية بكاليفورنيا، لنشر القدرة اللوجستية المشتركة لوزارة الدفاع، المعروفة بـ ((JLOTS. ويتضمن هذا العمل تصميمًا معقدًا للدعم اللوجستي وسفن الإنزال التي تحمل المعدات المستخدمة لبناء جسر يبلغ طوله حوالي 1800 قدم، يتكون من أقسام معيارية مرتبطة بعضها ببعض، والتي تُعرف باسم "رصيف ترايدنت". وتقوم الوحدات ببناء منشأة تفريغ بعرض 72 قدمًا وطول 270 قدمًا، والتي ستبقى على بعد حوالي ثلاثة أميال قبالة شاطئ غزة [11].

وقد شدد المسئولون الأمريكيون على أنه لن تكون هناك قوات أمريكية على الأرض في غزة كجزء من هذه العملية. وقد أوضحت وزارة الدفاع "البنتاجون" على موقعها أن هناك تنسيقًا مع القوات الإسرائيلية لتوفير الحماية للأفراد الأمريكيين المشاركين في هذا العمل والموجودين في البحر. علاوة على ذلك، تعمل وزارة الدفاع بشكل وثيق مع الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية التي اتجهت لتخزين البضائع في قبرص تمهيدًا لتسليمها عبر الممر البحري [12].

وفي إطار التحديثات التي يستعرضها المعهد البحري الأمريكي، فقد أوقفت القيادة المركزية الأمريكية لفترة مؤقتة أعمال بناء الرصيف العائم بسبب الرياح العاتية المتوقعة وارتفاع مستوى البحر. ومن ثَمّ، تم نقل الرصيف الذي تم بناؤه جزئيًا والسفن العسكرية المشاركة في بنائه إلى ميناء أشدود، حيث سيستمر التجميع والبناء. هذا ويوجد ثلاثة زوارق تابعة للجيش الأمريكي وسفينة نقل تابعة لقيادة الجسر البحري العسكري وسفينة نقل احتياطية جاهزة للإدارة البحرية قبالة ساحل غزة [13].

ووفقًا لشبكة "بي بي سي"، يُعرف هذا المشروع البرمائي باسم "اللوجستيات المشتركة على الساحل"، موضحة أن الجيش الأمريكي قد سبق واستخدم مشروعات شبيهة في كل من الكويت وهايتي وأمريكا الوسطى لمهام إغاثية. لافتة إلى أن شركة "فوغبو" التي يديرها كل من الكولونيل السابق بسلاح مشاة البحرية "سام ماندي"، والضابط السابق بقوات المخابرات المركزية الأمريكية شبه العسكرية "مايك مالروي"، والذي يشغل حاليًا منصب مساعد وزير الدفاع لشئون الشرق الأوسط، تلعب دورًا في هذا المشروع. كما تتطلع الشركة إلى الحصول على تمويلات، لذا فقد تواصلت مع عدد من الحكومات في الشرق الأوسط وأوروبا. وهو تخطيط بعيد المدى يرتبط بإنشاء "مؤسسة تديرها جهات مانحة" من أجل إدخال المساعدات لغزة [14].

وعلى جانب آخر، فقد تم استغلال الرصيف العائم الخاص بالمساعدات الإنسانية لتعزيز قوة إسرائيل؛ فقد أدان خبراء حقوق الإنسان تابعين للأمم المتحدة استخدام قوات الاحتلال الإسرائيلي للرصيف العائم والاختباء غدرًا في شاحنات المساعدات الإنسانية والتنكر بزي رجال الإغاثة من أجل القيام بمذبحة مخيم النصيرات للاجئين، والتي أسفرت عن مقتل ما لا يقل عن 274 فلسطينيًا، من بينهم 64 طفلًا و57 امرأة، وإصابة ما يقرب من 700 آخرين، في سبيل تحرير أربعة محتجزين إسرائيليين. وأكد الخبراء الأمميون على أن مثل تلك العمليات تعد محظورة تمامًا بموجب القانون الدولي الإنساني، وترقى إلى مستوى "جريمة حرب"، وكرروا دعوتهم بشأن فرض حظر أسلحة على إسرائيل لإنهاء العنف ضد الفلسطينيين من قبل القوات الإسرائيلية والمستوطنين [15].

3. إحباط التهديدات الإيرانية:

في أعقاب هجوم "طوفان الأقصى" في 7 أكتوبر، حرصت الولايات المتحدة على تقديم رسائل متكررة لردع إيران وثنيها عن اتخاذ أي تحرك من شأنه أن يؤدي إلى اتساع رقعة الصراع. فبعد 7 أكتوبر بفترة وجيزة، وجه وزير الدفاع الأمريكي "لويد أوستن" المجموعة الهجومية لحاملة الطائرات ((USS Gerald R. Ford إلى شرق البحر المتوسط. وفي أعقاب ذلك، اتجهت المجموعة الهجومية لحاملة الطائرات (USS Dwight D. Eisenhower) من الولايات المتحدة إلى المنطقة، كما تم إرسال المجموعة البرمائية الجاهزة (USS Bataan) التي كانت تتمركز بالفعل في خليج عمان، كجزء من جهود ردع إيران، إلى المياه القريبة من إسرائيل [16].

وقد قال: "جون كيربي" (منسق الاتصالات الاستراتيجية في مجلس الأمن القومي الأمريكي) في 30 أكتوبر 2023، "إننا سنعمل بالتأكيد- إذا اضطررنا- على مواصلة حماية قواتنا ومنشآتنا. لقد أثبتنا أننا سنضرب وسنتصرف للقيام بذلك، وهذه رسالة قوية تحتاج إيران أن تأخذها على محمل الجد" [17]، مضيفًا أن واشنطن حريصة على إرسال رسالة إلى جميع الجهات الفاعلة -بما فيها إيران- مؤداها أن حماية مصالح الأمن القومي الأمريكي "في الوقت المناسب وبالطريقة التي تحددها" [18].

ومع استمرار ساحة الحرب في غزة، اتسعت حالة الاحتقان بالمنطقة، ولا سيما بين إسرائيل وإيران، وهو ما انعكس في قيام إسرائيل باستهداف القنصلية الإيرانية في دمشق ومقتل عدد من القيادات الرفيعة بالحرس الثوري الإيراني في مستهل أبريل 2024، وهو ما تبعه رد إيراني من خلال شن هجوم ضم العديد من الطائرات بدون طيار والصواريخ استهدف الداخل الإسرائيلي للمرة الأولى في 13 أبريل 2024. وكنتيجة لذلك، أدان الرئيس "بايدن" الهجوم الإيراني، موضحًا أنه أصدر توجيهات بقيام الجيش الأمريكي بنقل طائرات ومدمرات للدفاع الصاروخي الباليستي إلى المنطقة على مدار الأسبوع الذي سبق الهجوم، مضيفًا أنه بفضل عمليات الانتشار هذه تم مساعدة إسرائيل في إسقاط جميع الطائرات بدون طيار والصواريخ تقريبًا [19].

ومـن جهتـه، صـرح وزيـر الدفـاع "أوسـتن" بوضـوح أن إسـرائيل يمكنهـا "الاعتمـاد علـى الدعـم الأمريكـي الكامـل للدفـاع عـن إسـرائيل ضـد أي هجمـات مسـتقبلية مـن قبـل إيـران ووكلائهـا الإقليميين". كمـا أدان فـي بيانـه الهجمـات "المتهـورة وغيـر المسـبوقة" التـي تشـنها إيـران أو يشـنها وكلاء إيـران، داعيًـا طهـران إلـى الوقـف الفـوري لأي هجمـات أخـرى، بمـا فـي ذلـك تلـك التـي تشـنها قواتهـا بالوكالـة. لافتًـا إلـى أن واشـنطن لا تسـعى إلـى الدخـول فـي صـراع مـع طهـران، لكنهـا لـن تتـردد فـي العمـل لحمايـة قواتهـا ودعـم الدفـاع عـن إسـرائيل [20].

4. مواجهة الحوثيين:

في أعقاب توسع العمليات العسكرية التي تقوم بها إسرائيل ضمن العدوان الواسع الذي تشنه على قطاع غزة، أعلن الحوثيون منع السفن الإسرائيلية من المرور في البحر الأحمر منذ نوفمبر 2023. ومن ثَمّ، بدأ الحوثيون بمهاجمة السفن بالقرب من باب المندب، وصادروا سفينة "جالاكسي ليدر"، التي قالوا إن ملكيتها تعود لرجل أعمال إسرائيلي. لكن في ديسمبر 2023، أعلنت جماعة الحوثي عن تصعيد جديد يقوم على منع مرور كل السفن المتجهة إلى إسرائيل، إذا لم يتم إدخال المساعدات من الغذاء والدواء التي يحتاجها قطاع غزة، واعتبر الحوثيون أن تلك السفن تعد "هدفًا مشروعًا لهم"[21].

لقد قوبل هذا التصعيد بسلسلة من التنديدات من قبل الولايات المتحدة ودول غربية أخرى، والتي وصفت هذه الأعمال بالقرصنة، واعتبارها تهديدًا لأمن الملاحة في المنطقة. علاوة على ذلك، أطلقت الولايات المتحدة عملية "حارس الازدهار" (Prosperity Guardian) منذ منتصف ديسمبر 2023، كمبادرة أمنية بحرية متعددة الجنسيات، هدفها التصدي للهجمات التي يشنها الحوثيون من اليمن، وضمان حرية الملاحة في البحر الأحمر وخليج عدن. وتعمل القوات تحت مظلة القوات البحرية المشتركة وقيادة فرقة العمل 153 [22].

هذا وتوجد حاملة الطائرات التي تعمل بالطاقة النووية من طراز نيميتز "يو إس إس دوايت أيزنهاور" (CVN-69) ومدمرة الصواريخ الموجهة من طراز أرلي بيرك "يو إس إس جرافلي" (DDG-107) في البحر الأحمر. وقد نشرت "آيك" في 14 أكتوبر 2023، بينما غادر العديد من مرافقي الحاملة في 13 من ذات الشهر [23]. هذا، وقد اتجهت بعض التحليلات إلى النظر إلى الاتفاق الذي وقعته الولايات المتحدة مع الصومال في فبراير 2024، والذي سيتم بموجبه بناء خمس قواعد عسكرية جديدة بالصومال، في ضوء التطورات الجارية بالمنطقة، بالاستناد إلى الأهمية الجيوستراتيجية والأمنية للصومال؛ كونها مطلة على كل من المحيط الهندي وخليج عدن والبحر الأحمر [24].

وفي هذا السياق، قال الأدميرال البحري "فريد بايل" (مدير قسم الحرب السطحية)، خلال لقاء بمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، إن القوات الأمريكية منخرطة في البحر الأحمر حاليًّا بطريقة "لم نشهدها منذ الحرب العالمية الثانية على الأرجح". موضحًا أن الدفاع الجوي والصاروخي المتكامل يوفر "دفاعًا متعدد الطبقات" بعيدًا وقريبًا وبينهما، لذا فإن حاملة الطائرات "يو إس إس دوايت دي أيزنهاور" تلعب أيضًا دورًا حيويًا في هذه العملية [25].

ومن ناحية أخرى، يبدو أن ثمة جوانب إخفاق في عملية "حارس الازدهار"، ولا سيما تلك المتعلقة بالإخفاق في حشد الحلفاء، وهو ما انعكس بشكل واضح في إطلاق الحلفاء الأوروبيين لعملية بحرية خاصة بهم أُطلق عليها "أسبيدس"، ناهيك برفض الانضمام الذي أبداه الشركاء في الخليج باستثناء البحرين [26].

5. الصفقة الأمنية مع السعودية:

قبل اندلاع عملية "طوفان الأقصى"، كان مسار التطبيع السعودي الإسرائيلي يسير على قدم وساق، كحلقة ضمن سلسلة من التحركات التي تهدف إلى إدماج إسرائيل بالمنطقة، إلا أن شن العدوان الإسرائيلي على غزة واتساع نطاق الانتهاكات التي تقترفها قوات الاحتلال بحق المدنيين من النساء والأطفال بغزة قد عرقل بشكل واضح من هذا المسار، بل ووضع قيودًا وعوائقًا أمام استمراره. وهو الأمر الذي يبدو أنه شجع واشنطن على إعادة تشكيل تحرك جديد من شأنه إحياء هذا المسار مجددًا، حتى وإن تم وفقًا لأطر أخرى، بما يعني إمكانية عقد اتفاق دفاعي بين واشنطن والرياض كمرحلة أولى، يعقبها اتفاق بين السعودية وإسرائيل كمرحلة تالية.

وهو ما يمكن استقراؤه من الزيارة التي قام به "جيك سوليفان" (مستشار الأمن القومي) لكل من السعودية وإسرائيل في 19 مايو 2024، والتي أشار إليها بيان البيت الأبيض بالقول إن الاجتماعات مع ولي العهد السعودي كانت بناءة وركزت على رؤية شاملة لمنطقة شرق أوسط متكاملة. موضحًا أن "سوليفان" قد أطلع الحكومة الإسرائيلية على نتائج هذه الاجتماعات [27]. وقد علق "جون كيربي" (المتحدث باسم البيت الأبيض) على زيارة "سوليفان" للسعودية وإسرائيل قائلًا: إن "سوليفان" كان قادرًا على "إحراز تقدم كبير بشأن التفاهمات الثنائية" لما ينظر إليه كـ "اتفاق تاريخي حقًا" من شأنه أن يؤدي إلى "منطقة أكثر تكاملًا" [28].

ومن جهتها، كشفت بعض وسائل الإعلام نقلًا عن مسئولين أمريكيين وسعوديين أن إدارة "بايدن" بصدد وضع اللمسات الأخيرة على اتفاق دفاعي غير مسبوق مع السعودية، يتضمن حزمة واسعة بما فيها البرنامج النووي السلمي. ووفقًا لهذه المصادر، تنص الاتفاقية على منح واشنطن إمكانية استخدام الأراضي السعودية والمجال الجوي السعودي من أجل حماية المصالح الأمريكية وشركائها بالمنطقة مقابل التزام الولايات المتحدة بالمساعدة في الدفاع عن السعودية حال تعرضت للهجوم [29].

واتصالًا بذلك، كشف مسئول أمريكي، ردًا على سؤال حول الاتفاق الدفاعي بين السعودية والولايات المتحدة لموقع (Breaking Defense) أن "الهدف طويل المدى المتمثل في جعل منطقة الشرق الأوسط أكثر سلامًا واستقرارًا وازدهارًا وتكاملًا يظل محورًا للسياسة الخارجية الأمريكية". وعلى النقيض من ذلك، استعرض الموقع التحليلات التي تعتبر أن تأثير هذا الاتفاق متواضع في ضوء النظر إليه كاتفاق مشابه لما أبرمته الولايات المتحدة مع كوريا الجنوبية، ولن يصل إلى المستوى التي تبديه واشنطن تجاه حلفاء "الناتو". ومن ثم، فلن يكون الاتفاق مناسبًا للبيئة الأمنية المعقدة بالمنطقة، ولن يكون قادرًا على الاستجابة للتهديدات المتنامية [30].

مجمل القول إنه على الرغم من الرغبة الأمريكية في تقليل انخراطها في المنطقة، بل والحديث عن إمكانية "فك الارتباط" بالإقليم من أجل التركيز على الساحات الأكثر أهمية بالنسبة لواشنطن، إلا أن التطورات الجارية منذ 7 أكتوبر في غزة على وجه الخصوص، والمنطقة على وجه العموم، قد دفع واشنطن إلى القيام بعدد من التحركات التي لا تهدف إلى ضمان أمن إسرائيل فحسب، وإنما تأكيد قدرة الولايات المتحدة على توجيه دفة الأمور بما يحمي مصالحها ويعزز نفوذها بالمنطقة.

المصـــــــادر

1. Statement from President Joe Biden Condemning Terrorist Attacks in Israel, The White House, October 7, 2023, Available at: https://www.whitehouse.gov/briefing-room/statements-releases/2023/10/07/statement-from-president-joe-biden-condemning-terrorist-attacks-in-israel/
2. Steve Holland and Jeff Mason, US not drawing red lines for Israel -White House, Reuters, October 27, 2023, Available at: https://www.reuters.com/world/us-not-drawing-red-lines-israel-white-house-2023-10-27/
3. العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل، السفارة الأمريكية في إسرائيل، متاح على: https://il.usembassy.gov/ar/our-relationship-ar/policy-history
4. Jonathan Masters and Will Merrow, U.S. Aid to Israel in Four Charts, Council on Foreign Relations, May 31, 2024, Available at: https://www.cfr.org/article/us-aid-israel-four-charts
5. I Bid.
6. John Hudson, U.S. Floods Arms Into Israel despite Mounting Alarm over War's Conduct, Washington Post, March 6, 2024, Available at: https://www.washingtonpost.com/national-security/2024/03/06/us-weapons-israel-gaza/
7. Jonathan Masters & Will Merrow, Op.cit.
8. John Hudson, Op.cit.
9. جيمس لاندیل، لماذا لجأت الولايات المتحدة أخيرًا إلى تعليق شحنات الأسلحة لإسرائيل؟، بي بي سي، 8 مايو 2024، متاح على: https://www.bbc.com/arabic/articles/c0w0y5x1z0ro
10. Nancy A. Youssef & Jared Malsin, Biden Moves Forward on $1 Billion in New Arms for Israel, The Wall Street Journal, 14 May 14, 2024, Available at: https://www.wsj.com/politics/national-security/biden-moves-forward-on-1-billion-in-new-arms-for-israel-844b761c?mod=hp_lead_pos1
11. Joseph Clark, U.S. Begins Construction on Temporary Pier to Deliver Humanitarian Aid to Gaza, Department of Defense, April 25, 2024, Available at: https://www.defense.gov/News/News-Stories/Article/Article/3756709/us-begins-construction-on-temporary-pier-to-deliver-humanitarian-aid-to-gaza/
12. I Bid.
13. U.S. Naval Institute Staff, USNI News Fleet and Marine Tracker: May 6, 2024, US Naval Institute, May 6, 2024, Available at: https://news.usni.org/2024/05/06/usni-news-fleet-and-marine-tracker-may-6-2024
14. بيرند ديبوسمان جونيور، ما هي تفاصيل الخطة الأمريكية لإيصال المساعدات إلى غزة عبر البحر؟، بي بي سي، 14 مارس 2024، متاح على: https://www.bbc.com/arabic/articles/c514k6xdg20o
15. UN experts condemn outrageous disregard for Palestinian civilians during Israel's military operation in Nuseirat, United Nations, June 14, 2024, Available at: https://www.ohchr.org/en/press-releases/2024/06/un-experts-condemn-outrageous-disregard-palestinian-civilians-during-israels, 22/06/2024.
16. توقعات بمغادرة قوات أميركية من شرق البحر المتوسط.. متى؟"، الشرق، 29 فبراير 202، متاح على: https://shorturl.at/HrDPd
17. البيت الأبيض: نبعث رسالة ردع "قوية" لإيران وسط مخاوف توسع الصراع في الشرق الأوسط، سي إن إن، 30 أكتوبر 2023، متاح على: https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2023/10/30/us-sending-deterrence-iran-fears-escalating-conflict
18. المرجع السابق.
19. Statement from President Joe Biden on Iran's Attacks against the State of Israel, The White House, April 13, 2024, Available at: https://www.whitehouse.gov/briefing-room/statements-releases/2024/04/13/statement-from-president-joe-biden-on-irans-attacks-against-the-state-of-israel/
20. Statement by Secretary of Defense Lloyd J. Austin III on Iran's Strikes Against Israel, Department of Defense, April 13, 2024, Available at: https://www.defense.gov/News/Releases/Release/Article/3740656/statement-by-secretary-of-defense-lloyd-j-austin-iii-on-irans-strikes-against-i/
21. كيف نقرأ استهداف السفن في البحر الأحمر؟، بي بي سي، 20 ديسمبر 2023، متاح على: https://www.bbc.com/arabic/articles/cp6r385kke9o
22. Joseph Clark, U.S. Partners Committed to Defensive Operations in Red Sea, Department of Defense, January 4, 2024, Available at: https://www.defense.gov/News/News-Stories/Article/Article/3631623/us-partners-committed-to-defensive-operations-in-red-sea/
23. U.S. Naval Institute Staff, Op.cit.
24. رياض دومازيتي، ملامح استراتيجية أمريكية متوقَّعة في البحر الأحمر، مركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية، متاح على: https://shorturl.at/EW6bD
25. David Vergun, Admiral: Success of Red Sea Operations Are a Tribute to Sailors, Systems, Department of Defense, May 15, 2024, Available at: https://www.defense.gov/News/News-Stories/Article/Article/3776044/admiral-success-of-red-sea-operations-are-a-tribute-to-sailors-systems/
26. Jean-Loup Samaan, The Red Sea attacks highlight the erosion of US leadership in the region, The Atlantic Council, May 16, 2024, Available at: https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/red-sea-attacks-houthis-biden-administration-leadership/
27. Readout of National Security Advisor Jake Sullivan's Meetings in Saudi Arabia and Israel, The White House, May 19, 2024, Available at: https://www.whitehouse.gov/briefing-room/statements-releases/2024/05/19/readout-of-national-security-advisor-jake-sullivans-meetings-in-saudi-arabia-and-israel/
28. On-the-Record Press Gaggle by White House National Security Communications Advisor John Kirby, The White House, 20 May 20, 2024, Available at: https://www.whitehouse.gov/briefing-room/speeches-remarks/2024/05/20/on-the-record-press-gaggle-by-white-house-national-security-communications-advisor-john-kirby
29. أميركا والسعودية تقتربان من اتفاقية دفاعية غير مسبوقة، سكاي نيوز عربية، 9 يونيو 2024، متاح على: https://shorturl.at/iwF7A
30. Agnes Helou, Is a US-Saudi defense pact 'very close'? There are two big reasons for scepticism, Breaking Defense, May 10, 2024, Available at: https://breakingdefense.com/2024/05/is-a-us-saudi-defense-pact-very-close-there-are-two-big-reasons-for-skepticism/

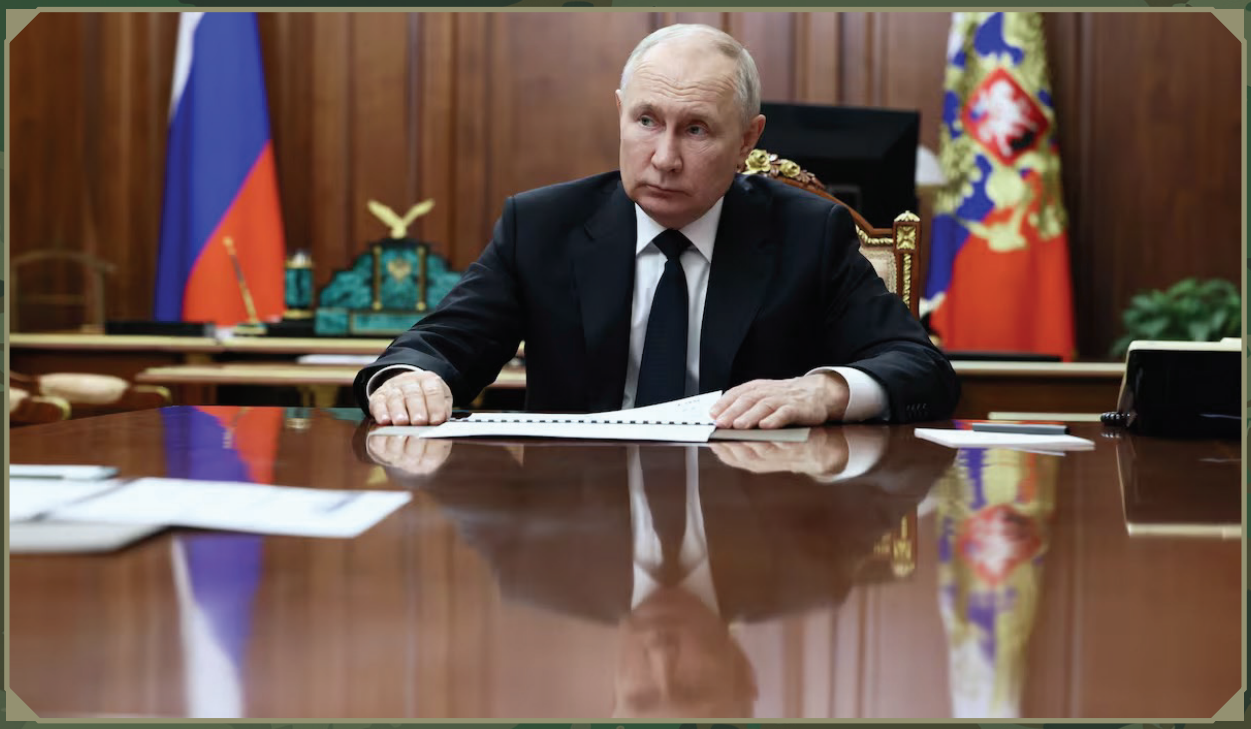

روسيا والحرب الإسرائيلية على قطاع غزة: قراءة في الموقف الرسمي ومحدداته

أصبح "طوفان الأقصى" في 7 أكتوبر 2023 وما تلاه من أحداث دامية موضوعًا مركزيًا للنقاش في جميع أنحاء العالم، بعد أن استتبعه حرب ضروس على قطاع غزة، أودت بحياة الآلاف من المدنيين وبخاصة الأطفال والنساء. ومع توالي بيانات الشجب والإدانة من قِبل العواصم الغربية لحركة حماس، برز في هذا الإطار الموقف الروسي الذي بدَا داعمًا للفلسطينيين، وهو الأمر الذي تناقشه السطور التالية في محاولة للوقوف على طبيعة هذا الموقف ومحدداته وطبيعة التعاطي الروسي معه.

أ. أحمد السيد

الباحث ببرنامج العلاقات الدولية

بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

أولًا: روسيا وإسرائيل وفلسطين.. طبيعة العلاقات

تاريخيًا، تدعم روسيا بشكل ثابت حقَّ الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة ذات السيادة، كما تحتفظ بعلاقات قوية مع القيادة الفلسطينية، وتعمل على تعزيز هذه العلاقات من خلال التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي [1]. إذ تدعم موسكو السلطة الفلسطينية في المحافل الدولية وتدعو إلى تعزيز وحدة الصف الفلسطيني، إذ يتماشى هذا الموقف مع قرارات الأمم المتحدة والمبادئ الدولية التي تدعو إلى حل الدولتين. كما تؤكد موسكو في العديد من المناسبات على أهمية الالتزام بقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية، بما في ذلك القرارات رقم 242 و338، والتي تدعو إلى انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة عام 1967 وإقامة سلام عادل ودائم في المنطقة. كما تدعو روسيا إلى حل النزاع الفلسطيني-الإسرائيلي من خلال المفاوضات السلمية والحوار المباشر بين الأطراف المعنية؛ مُعتبرة أن السلام هو السبيل الوحيد لتحقيق سلام دائم وشامل في المنطقة.

وفي السياق ذاته؛ تعارض روسيا بناء المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، وترى أنها تُشكل عقبة أمام تحقيق السلام، وتساهم في تأزيم الأوضاع الإنسانية والسياسية في المنطقة. وعلى صعيد آخر، تُساهم روسيا في تقديم الدعم الإنساني للفلسطينيين، سواء من خلال المساعدات المباشرة أو عبر المنظمات الدولية. وتشمل هذه المساعدات: الغذاء، والدواء، والتعليم، والبنية التحتية. وتعمل أيضًا، بالتنسيق والتعاون مع الأطراف الدولية الأخرى (بما في ذلك: الأمم المتحدة، والاتحاد الأوروبي، وجامعة الدول العربية)، على دفع جهود السلام قدمًا ودعم المبادرات التي تهدف إلى تحقيق حل عادل ودائم للقضية الفلسطينية. وارتباطًا بما سبق، تظل روسيا ملتزمة بدعم حقوق الفلسطينيين وتسعى لتحقيق حل سلمي ودائم للقضية الفلسطينية على أساس قرارات الشرعية الدولية والمفاوضات السلمية.

وعلى صعيد آخر، فإن للعلاقات التاريخية بين روسيا وإسرائيل تأثيرًا كبيرًا على مواقف روسيا في الشرق الأوسط، وقد تميزت تلك العلاقات بتعقيدات وتحولات متباينة، تأرجحت بين التوتر والتعاون. ففي البداية، اعترف الاتحاد السوفيتي بإسرائيل عام 1948، وساهم في دعمها خلال سنواتها الأولى. ومع ذلك، تغيرت هذه الديناميكية خلال الحرب الباردة عندما اتخذ الاتحاد السوفيتي موقفًا داعمًا للعرب، بينما كانت الولايات المتحدة تدعم إسرائيل بشكل كبير. وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، شهدت العلاقات بين البلدين تحسنًا ملحوظًا، حيث زادت التبادلات الاقتصادية والثقافية، كما ازدادت هجرة اليهود الروس إلى إسرائيل؛ مما عزز الروابط بين الشعبين.

وفي السنوات الأخيرة، سعت روسيا إلى لعب دور متوازن في الشرق الأوسط في محاولة منها للحفاظ على علاقات جيدة مع كل من إسرائيل وإيران. ورغم أن روسيا تدعم النظام السوري وتتحالف مع إيران، فإنها سعت إلى تجنب الصدام المباشر مع إسرائيل التي تشن غارات جوية على مواقع إيرانية في سوريا.

ومع اندلاع الحرب في أوكرانيا، تغيرت هذه المعادلة، حيث اقتربت روسيا أكثر من إيران. وأصبح موقف روسيا من الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني متزايد التعقيد، خاصة بعد تصاعد التوترات الأخيرة. هذا التوازن الهش بات مهددًا، حيث تنظر تل أبيب الآن إلى موسكو بريبة متزايدة، معتبرة إياها في أفضل الأحوال وسيطًا مشكوكًا فيه، وفي أسوأ الأحوال حليفًا للخصوم مثل حماس [2].

ثانيًا: الموقف الروسي تجاه حـــرب غـــزة

قدمت روسيا مشروع قرار في مجلس الأمن لوقف إطلاق النار فورًا وللإدانة الشاملة للعنف ضد المدنيين، وإن رُفض لعدم الحصول على الأغلبية المطلوبة؛ مما يُظهر التحديات التي تواجه النهج الدبلوماسي الروسي في المنطقة. وقد أبرز هذا الموقف درجة تعقد السياسة الخارجية الروسية والتوازن الذي تحاول المحافظة عليه في وجه التنافس العالمي بين القوى الكبرى، مع التركيز على المصالح الاقتصادية والاستراتيجية في الشرق الأوسط.

وبشكل عام، تعكس تصريحات المسئولين الروس حول الحرب الإسرائيلية على غزة موقفًا دبلوماسيًا حذرًا يسعى إلى تحقيق التوازن بين مختلف الأطراف. فقد أكد الكرملين مرارًا على أهمية حل الصراع من خلال الحوار والمفاوضات، داعيًا جميع الأطراف إلى ضبط النفس والالتزام بالقانون الدولي. في هذا السياق، صرح "بوتين" أن روسيا تدعم جهود السلام، وتسعى للحفاظ على الاستقرار في المنطقة، مشددًا على ضرورة وقف التصعيد والتوصل إلى حلول سياسية للصراعات القائمة.

وترى موسكو أن ما يحدث في غزة بشكل عام هو مأساة إنسانية حقيقية، وإن أدانت الهجوم الإرهابي الذي وقع في 7 أكتوبر 2023 فور وقوعه، وكان هذا الموقف مشتركًا بين العديد من الدول، ولكن روسيا أعربت عن معارضتها الشديدة للأساليب التي تتبعها القيادة الإسرائيلية في محاربة الإرهابيين، لكونها تنتهك بشكل واضح قواعد القانون الإنساني الدولي كافة. فعلى الرغم من العلاقات الروسية-الإسرائيلية الجيدة، إلا أن موسكو أدانت التصريحات التي صدرت عن بعض المسئولين الإسرائيليين والتي تبرر استخدام العنف ضد المدنيين الفلسطينيين.

وفي السياق ذاته، أبدى وزير الخارجية الروسي "سيرغي لافروف" قلقه من تصاعد العنف وتأثيره في المدنيين، داعيًا المجتمع الدولي إلى تكثيف الجهود للتهدئة وتخفيف التوترات [3]. وضمن هذا الإطار، انتقد "لافروف" السياسات الأمريكية في المنطقة، معتبرًا أنها تزيد من تعقيد الأوضاع، وتعيق تحقيق السلام. كما أشار إلى أن روسيا، بحكم علاقتها التاريخية والمتوازنة مع دول المنطقة، يمكن أن تلعب دورًا محوريًا في دعم الحوار وتحقيق التفاهم بين الأطراف المتنازعة.

ورغـم أن روسـيا تسـعى للحفـاظ علـى علاقـات جيـدة مـع إسـرائيل، إلا أنهـا لـم تتـردد فـي التعبيـر عـن تعاطفهـا مـع القضيـة الفلسـطينية، معتبـرة أن حقـوق الفلسـطينيين يجـب أن تُحتـرم فـي إطـار أي تسـوية سـلمية. وفـي الوقـت نفسـه، تسـتمر موسـكو فـي تعزيـز علاقاتهـا مـع إيـران وسـوريا؛ ممـا يعكـس سياسـة متعـددة الأبعـاد تهـدف إلـى تحقيـق نفـوذ أكبـر فـي الشـرق الأوسـط. وتوضـح هـذه التصريحـات أن موقـف روسـيا الرسـمي يسـعى إلـى تحقيـق التـوازن بيـن دعـم الحلفـاء التقليدييـن والحفـاظ علـى دورهـا كوسـيط قـادر علـى التأثيـر فـي مجريـات الأمـور بالمنطقـة، فـي ظـل تعقيـدات الصراعـات الإقليميـة والدوليـة.

ثالثًا: محددات الموقف الروسي

يُظهـر النهـج الروسـي تفضيـلًا لممارسـة دور "الطـرف المراقـب" بـدلًا مـن الانحيـاز الكلـي لأحـد الأطـراف. إذ تأتي هـذه السياسـة في إطـار العلاقـات التاريخيـة القويـة التـي تربـط روسـيا بإسـرائيل؛ حيـث تشـكل الجاليـة اليهوديـة فـي موسـكو حوالـي 18% مـن السـكان، ويمثـل الناطقـون بالروسـية مـن الاتحـاد السـوفيتي السـابق نحـو 13% مـن إجمالـي سـكان إسـرائيل الحالييـن.

مـن جهـة أخـرى، تحافـظ موسـكو علـى علاقـات دبلوماسـية واقتصاديـة واسـعة مـع دول عربيـة متعـددة، ممـا يدفعهـا إلـى المحافظـة علـى دورهـا كوسـيط فاعـل فـي الشـرق الأوسـط. إذ تسـعى روسـيا خـلال الأزمـات عمومًـا والصـراع الحالـي خصوصًـا إلـى الضغـط نحـو وقـف إطـلاق النـار والسـعي لحلـول سـلمية تحقـق مصالـح الجميـع وتتوافـق مـع الشـرعية الدوليـة.

وتعـد روسـيا مـن أبـرز المسـتفيدين مـن الصـراع الدائـر بيـن فلسـطين وإسـرائيل، حيـث يسـتفيد الرئيـس الروسـي "فلاديميـر بوتيـن" مـن تشـتيت انتبـاه الغـرب عـن السـاحة الأوكرانيـة . إذ إن اسـتمرار أو زيـادة مسـتوى الدعـم الأمريكـي الأوروبـي لإسـرائيل عسـكريًا وماديًـا، سـيؤدى بالضـرورة، ومـن وجهـة النظـر الروسـية، إلـى تقليـص حجـم المسـاعدات الأمريكيـة والأوروبيـة لأوكرانيـا؛ ممـا يصـب فـي مصلحـة التقـدم العسـكري الروسـي علـى أرض الصـراع في أوكرانيـا، اسـتغلالًا لحالـة الانشـغال الإعلامـي الغربـي بالحـرب علـى غـزة.

وعمومًـا، تشـهد توجهـات الـرأي العـام داخـل المجتمـع الروسـي تنوعًـا كبيـرًا بيـن مؤيـد ومعـارض لإسـرائيل؛ ممـا ينعكـس علـى السياسـة الخارجيـة الروسـية بطـرق معقـدة. حيـث يتبايـن موقـف المجتمـع الروسـي تجـاه إسـرائيل بيـن التأييـد والمعارضـة؛ ممـا يشـكل تحديًـا للسياسـة الخارجيـة الروسـية فـي الشـرق الأوسـط. فهنـاك جاليـة يهوديـة كبيـرة فـي موسـكو، بالإضافـة إلـى عـدد كبيـر مـن المهاجريـن الـروس فـي إسـرائيل؛ ممـا يعـزز العلاقـات الثقافيـة والاجتماعيـة بيـن البلديـن. لـذا، يُظهـر هـؤلاء دعمًـا قويًـا لإسـرائيل، معتبريـن أن الحفـاظ علـى علاقـات قويـة معهـا أمـر ضـروري. ومـن جهـة أخـرى، هنـاك فئـات داخـل المجتمـع الروسـي تُظهـر تعاطفًـا أكبـر مـع القضيـة الفلسـطينية، مسـتندين إلـى الإرث السـوفيتي الـذي كان يدعـم العـرب والفلسـطينيين ضـد مـا كانـوا يعتبرونـه اسـتعمارًا غربيًـا.

هـذا الانقسـام يؤثـر بشـكل واضـح فـي السياسـة الخارجيـة الروسـية. فبينمـا تسـعى الحكومـة الروسـية إلـى الحفـاظ علـى علاقـات جيـدة مـع إسـرائيل لتجنـب التصعيـد العسـكري فـي سـوريا وضمـان مصالحهـا الاسـتراتيجية، فإنهـا فـي الوقـت نفسـه تحـاول تحقيـق التـوازن مـن خـلال دعـم الحقـوق الفلسـطينية وتطويـر علاقاتهـا مـع الـدول العربيـة وإيـران. هـذه السياسـة المتوازنـة تهـدف إلـى تعزيـز دور روسـيا كوسـيط محايـد يمكنـه التأثيـر فـي مختلـف الأطـراف المتنازعـة.

بالإضافـة إلـى ذلـك، يعكـس الإعـلام الروسـي هـذه التوجهـات المتباينـة، حيـث يتـم تقديـم تغطيـة متنوعـة تعكـس وجهـات النظـر المختلفـة فـي المجتمـع الروسـي. فـي سـياق آخـر، تُظهـر وسـائل الإعـلام المؤيـدة للحكومـة تعاطفًـا مـع إسـرائيل فـي بعـض الأحيـان، فـي حيـن تنتقـد السياسـات الإسـرائيلية فـي أوقـات أخـرى، وذلـك لتحقيـق تـوازن فـي التغطيـة الإعلاميـة. إذ تُظهـر هـذه الديناميكيـات أن موقـف المجتمـع الروسـي المتنـوع يلعـب دورًا مهمًـا فـي تشـكيل السياسـة الخارجيـة الروسـية، حيـث تحـاول الحكومـة مراعـاة هـذه التوجهـات المختلفـة لضمـان اسـتقرار الداخـل وتعزيـز نفوذهـا فـي الشـرق الأوسـط.

وعلـى صعيـد آخـر، تلعـب العوامـل الجيوسياسـية والاقتصاديـة دورًا كبيـرًا فـي تشـكيل الموقـف الروسـي تجـاه الحـرب الإسـرائيلية علـى قطـاع غـزة، وتؤثـر فـي كيفيـة تعامـل روسـيا مـع مختلـف الأطـراف، بمـا فـي ذلـك الـدول العربيـة وإسـرائيل [5]. حيـث تتأثـر السياسـة الخارجيـة الروسـية تجـاه الشـرق الأوسـط بعـدة عوامـل جيوسياسـية واقتصاديـة، تلعـب فيهـا علاقاتهـا مـع الـدول العربيـة دورًا محوريًـا.

فمـن الناحيـة الجيوسياسـية، تسـعى روسـيا إلـى تعزيـز نفوذهـا فـي المنطقـة كجـزء مـن اسـتراتيجيتها لتأكيـد مكانتهـا كقـوة عالميـة مؤثـرة. وقـد أدى تدخلهـا العسـكري فـي سـوريا ودعمهـا لنظـام بشـار الأسـد إلـى تعزيـز وجودهـا العسـكري والسياسـي فـي المنطقـة؛ ممـا يتيـح لهـا الوصـول إلـى موانـئ البحـر الأبيـض المتوسـط وتوسـيع قاعـدة حميميـم الجويـة.

وعلـى الصعيـد الاقتصـادي، تعتبـر العلاقـات مـع الـدول العربيـة مهمـة لروسـيا مـن حيـث التجـارة والاسـتثمار. حيـث تشـكل صـادرات الأسـلحة الروسـية جـزءًا كبيـرًا مـن تعاملاتهـا مـع العديـد مـن الـدول العربيـة، مثـل مصـر والجزائـر والإمـارات. كمـا أن التعـاون فـي مجـالات الطاقـة يمثـل ركيـزة أخـرى لهـذه العلاقـات، حيـث تعـد روسـيا واحـدة مـن أكبـر مصـدري النفـط والغـاز فـي العالـم، وتسـعى إلـى تنسـيق سياسـات الطاقـة مـع دول الخليـج العربـي مـن خـلال منتـدى الـدول المصـدرة للغـاز وتحالفـات أخـرى. وتشـمل العوامـل الاقتصاديـة أيضًـا الاسـتثمارات والمشـروعات المشـتركة فـي مجـالات البنيـة التحتيـة والطاقـة النوويـة، حيـث تعمـل الشـركات الروسـية علـى تطويـر

محطات الطاقة النووية في مصر وتركيا. فهذه الشراكات تعزز العلاقات الاقتصادية، وتوفر لروسيا فرصًا لتعزيز نفوذها في المنطقة.

علاوة على ذلك، تؤثر الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة على الموقف الروسي. ولذلك فإن الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي يدفع روسيا إلى تبني سياسة متوازنة تحاول من خلالها الحفاظ على علاقات جيدة مع جميع الأطراف، مع تجنب الانحياز المفرط لأي جانب.

باختصار، تتشكل السياسة الروسية تجاه الشرق الأوسط بناءً على مزيج من العوامل الجيوسياسية والاقتصادية، حيث تسعى إلى تحقيق توازن بين تعزيز نفوذها الاستراتيجي وتطوير علاقاتها الاقتصادية مع الدول العربية، مع الحفاظ على دورها كوسيط قادر على التفاعل مع جميع الأطراف المتنازعة.

رابعًا: التنافس الجيوسياسي وسياسة روسيا تجاه الشرق الأوسط

تتأثر روسيا بشكل كبير بالقوى العظمى الأخرى مثل الولايات المتحدة، ويظهر ذلك بوضوح في مواقفها وسياساتها الخارجية في الشرق الأوسط. وفي هذا السياق، تعمل روسيا على ربط الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي بأزمتها مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب؛ ففي أول رد فعل روسي على ما يجري في غزة [6]، تحدث "بوتين" عن الأزمة مُشيرًا إلى أنها تأتي نتيجة لفشل السياسة الأمريكية في المنطقة، وأن الحل الوحيد للخروج منها يتمثل في ضرورة العودة إلى قرار مجلس الأمن بشأن إنشاء دولة فلسطينية ذات سيادة، ودعا طرفا النزاع إلى تقليل الأضرار التي تلحق بالمدنيين إلى أدنى حد مُمكن [7].

إذا تُشكل العلاقة المتوترة بين روسيا والولايات المتحدة محورًا رئيسًا يؤثر في السياسة الخارجية الروسية في المنطقة. فعلى الرغم من سعي روسيا إلى تعزيز نفوذها في الشرق الأوسط كجزء من استراتيجيتها لتحقيق التوازن مع النفوذ الأمريكي، فإن هذه الديناميكية المعقدة تؤثر بشكل كبير في مواقفها وتحركاتها.

تعتبر روسيا أن تدخل الولايات المتحدة في الشرق الأوسط يهدف إلى تعزيز الهيمنة الأمريكية على حساب مصالحها الاستراتيجية. لذلك، تسعى موسكو إلى مواجهة هذا النفوذ من خلال دعم حلفائها التقليديين مثل النظام السوري وإيران، وتعزيز علاقاتها مع دول أخرى في المنطقة، مثل مصر والعراق والجزائر. هذا الدعم يأتي في إطار سعي روسيا للحفاظ على توازن القوى في المنطقة ومنع الولايات المتحدة من تحقيق أهدافها بشكل أحادي.

من جهة أخرى، تُعد السياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية ودعمها القوي لإسرائيل تحديًا إضافيًا لروسيا في سعيها للحفاظ على توازن في علاقاتها مع الدول العربية. إذ تحاول موسكو تقديم نفسها كوسيط محايد يستطيع التحدث مع جميع الأطراف، مقارنة بالموقف الأمريكي الذي يُنظر إليه على أنه منحاز لإسرائيل. هذا الموقف يتيح لروسيا فرصة لتعزيز صورتها كقوة عظمى قادرة على تحقيق الاستقرار والعدالة في المنطقة.

كما أن التنافس مع الولايات المتحدة وغيرها من القوى الكبرى يشكل دافعًا قويًا لروسيا لتعزيز وجودها في الشرق الأوسط وتبني سياسات تعكس تطلعاتها لتحقيق النفوذ والتأثير. هذه الديناميكية تجعل مواقف روسيا في المنطقة تتسم بالتعقيد والتوازن بين مختلف الأطراف المتنازعة، في محاولة لتحقيق أهدافها الاستراتيجية ومواجهة النفوذ الأمريكي [8].

خامسًا: حـــرب غـــزة وإعادة تشكيـــل التحالفـــات

عادة ما يُصاحب القضايا ذات الأبعاد الدولية تباينًا في الرؤى والمواقف الخاصة بالدول، وعلى الرغم من تقليدية القضية الفلسطينية المُمتدة منذ عقود، فإن التطورات الراهنة المصاحبة لها، قد تُمثل فرصة استراتيجية في إطار التنافس الدولي والاستقطاب بين الدول. ففي خِضم عالم يُعاد تشكليه وفقًا لأسس مُغايرة عما سبق، ستستعى كل دولة لاستغلال هذا الحدث لتعزيز مصالحها الاستراتيجية، وتشكيل تحالفات مناهضة [9]. وهذه التحالفات قد لا يكون الهدف الأساسي منها دعم قضية معينة، بل يتمثل هدفها في زعزعة التحالفات القائمة.

على سبيل المثال، وبالإسقاط على القضية الفلسطينية، وما بدى جليًا من الدعم الرسمي الغربي والأمريكي اللامحدود لإسرائيل رغم عملياتها الإجرامية على قطاع غزة بعد أحداث 7 أكتوبر 2023، فإن هذا الأمر قد يُسهل من تشكيل تحالفات مناهضة للغرب، خاصة وأن العديد من دول الشرق الأوسط قد اختلفت مع الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها بشأن بعض القضايا، وعلى رأسها الصراع العربي-الإسرائيلي. كما ظهر غضب الدول العربية والإسلامية من تصرفات الدول الغربية، بعدما صمتت تلك الدول عن قطع إمدادات الكهرباء والمياه عن غزة، رغم أنها كانت ترفض هجمات روسيا على البنية التحتية للطاقة في أوكرانيا، ووصفتها بأنها "عمل إرهابي"، الأمر الذي وصفته العديد من الدول بـ "إزدواجية المعايير".

وفي هذا السياق، قد تستغل بعض الدول مثل روسيا أو الصين تلك الفرصة في تعزيز حربهما الدعائية التي تُصور الدول الغربية على أنها دول منحازة. وارتباطًا بهذا كانت الصين من بين الدول التي أيدت المشروع الروسي في مجلس الأمن؛ مما يعكس موقفًا مشتركًا لموسكو وبكين. كما التقى مبعوثو الصين وروسيا إلى الشرق الأوسط لمناقشة العمل معًا للمساعدة في تهدئة الوضع، مشيرين إلى تمسكهم بحل الدولتين. وجاء ذلك عقب أيام قليلة من لقاء جمع "بوتين" والرئيس الصيني "شي جين بينغ" في الصين، تناول خلاله الزعيمان الحديث حول العديد من القضايا الدولية،

وتناولا أيضًا الأحداث الجارية في الشرق الأوسط وخاصة القضية الفلسطينية وتوافقهم في العديد من الرؤى، حيث تسعى كل من روسيا والصين لزيادة نفوذهما ودورهما كأقطاب دولية بديلة عن الهيمنة الغربية بقيادة الولايات المتحدة، وتتخذان مواقف أكثر "موضوعية" تجاه القضية الفلسطينية، مع دعمهما لحق الشعب الفلسطيني في العيش بكرامة. وهذا يساعدهما على كسب تأييد العالم العربي والإسلامي، وزيادة نفوذهما في المنطقة. في الوقت نفسه، يحاولان العبث بالنفوذ الغربي من خلال عرض بدائل للوساطة ورفض الهيمنة الأمريكية. إضافة لتعزيز دورهما كأقطاب دولية. وهذا يأتي ضمن تحقيق أهدافهما في بناء نظام دولي متعدد الأقطاب.

في الأخير، باتت الأحداث الأخيرة في غزة، وما ترتب على عملية "طوفان الأقصى" من رد عسكري إسرائيلي غاشم، محورًا رئيسًا للانتقاد العالمي. وبالنسبة لروسيا، فإن سياساتها تجاه النزاع تمثلت في دعمها المتواصل لحل الدولتين والمفاوضات السلمية كأسلوب لحل النزاع، مع الحفاظ على علاقاتها الاستراتيجية مع إسرائيل والدول العربية على حد سواء. وهذا التوازن يعكس استراتيجية روسيا في المنطقة، حيث تسعى للحفاظ على النفوذ الجيوسياسي وتعزيز الدعم الإنساني، في وجه التحديات التي تواجهها من أطراف النزاع والقوى العالمية الأخرى، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية.

المصـــــــادر

1. Fiona Hill and Kevin Huggard, What is Russia's role in the Israel-Gaza crisis?, Brookings, January 31, 2024, Available at: https://www.brookings.edu/articles/what-is-russias-role-in-the-israel-gaza-crisis/
2. Milàn Czerny, Israel and Russia: The End of a Friendship?, Carnegie endowment, November 21, 2023, Available at: https://carnegieendowment.org/russia-eurasia/politika/2023/11/israel-and-russia-the-end-of-a-friendship?lang=en
3. Foreign Minister Sergey Lavrov's remarks and answers to questions at the Primakov Readings International Forum, Moscow, The Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, June 26, 2024, Available at: https://mid.ru/en/foreign_policy/news/1959636/
4. صافيناز محمد أحمد، روسيا وحرب غزة.. الدور المتوقع وحدوده، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، متاح على: https://acpss.ahram.org.eg/News/21036.aspx
5. Andrew Osborn, Exclusive news, Russia's Putin tries to use Gaza war to his geopolitical advantage, Reuters, November 17, 2023, Available at: https://www.reuters.com/world/russias-putin-sees-political-economic-upside-israels-war-with-hamas-2023-11-17/
6. Patrick Wintour, US has wrecked chances of peace in Middle East, Putin tells Brics summit, The Guardian, November 21, 2023, Available at: https://www.theguardian.com/world/2023/nov/21/us-has-wrecked-chances-of-peace-in-middle-east-putin-tells-brics-summit
7. The Associated Press, Russia maneuvers carefully over the Israel-Hamas war as it seeks to expand its global clout, The Associated Press, October 25, 2023, Available at: https://apnews.com/article/russia-israel-hamas-putin-palestinians-mideast-efa2b7f3765aadbf6934839ea5fcd16b
8. Patrick Wintour, Op.cit.
9. Rupal Mishra and Ankur Dixit, Decoding Russia's Position in the Israel-Hamas Conflict, International Affairs, Feb 09, 2024, Available at: https://www.internationalaffairs.org.au/australianoutlook/decoding-russias-position-in-the-israel-hamas-conflict/

مواقف القوى الشعبية والدولية وتحولات الرأي العام العالمية والدولية تجاه غزة

تسبب الغزو والحصار الإسرائيلي على قطاع غزة في خسائر جسيمة في صفوف المدنيين، حتى تجاوز عدد القتلى 30 ألف فلسطيني، وتحولت غزة إلى "أخطر مكان يمكن أن يعيش فيه الأطفال". وقد نجمت معظم الوفيات بين المدنيين عن الغارات الجوية، كما قُتل مدنيون بنيران الجنود الإسرائيليين أو قصف الدبابات. وقدر المرصد الأورومتوسطي، الذي تتجاوز تقديراته تقديرات وزارة الصحة في غزة بسبب وجود جثث مفقودة تحت الأنقاض، وطبقًا لدراسة صادرة عن الجامعة المفتوحة في إسرائيل، نسبة القتلى بين المدنيين بنحو 61%[1].

لواء.أ.ح.طيار/عماد عبد المحسن

مستشار بمركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة

أكاديمية ناصر العسكرية العليا

وقـد فـرض الحصـار الشـامل علـى غـزة فـي 9 أكتوبـر 2023 مـن قبـل وزيـر الدفـاع الإسـرائيلي "يـوآف غالانـت"، الـذي قـال: "إننـا نفـرض حصـارًا كامـلًا علـى غـزة، لا كهربـاء ولا طعـام ولا مـاء ولا غـاز.. كل شـيء مغلـق". وأضـاف "نحـن نقاتـل حيوانـات بشـرية ونتصـرف وفقًـا لذلـك". كمـا قـال المتحـدث باسـم وزيـر الطاقـة الإسـرائيلي" يسـرائيل كاتـس": إن كاتـس أمـر بقطـع إمـدادات الميـاه عـن غـزة، علـى أن يسـري ذلـك علـى الفـور. ونتيجـة للحصـار، نفـد الوقـود مـن محطـة توليـد الكهربـاء الوحيـدة فـي قطـاع غـزة، وأدى ذلـك إلـى انقطـاع التيـار الكهربائـي[2] . وعليـه، وفـي 18 مـارس 2024، حـذرت الأمـم المتحـدة مـن أن النقـص الشـديد فـي الغـذاء بأنحـاء قطـاع غـزة "تجـاوز مسـتويات المجاعـة"، وأن المـوت الجماعـي "أصبـح وشـيكًا". واتصـالًا بذلـك، قـال "فولكـر تـورك" (مفـوض الأمـم المتحـدة السـامي لحقـوق الإنسـان): إن القيـود التـي تفرضهـا إسـرائيل علـى دخـول المسـاعدات الإنسـانية إلـى قطـاع غـزة ترقـى إلـى مسـتوى التجويـع، وهـو مـا يعـد جريمـة حـرب[3].

وعليـه، شـهدت العديـد مـن عواصـم ومـدن العالـم مظاهـرات حاشـدة تنـدد بالحـرب الإسـرائيلية علـى غـزة التـي تسـببت فـي سـرديات أججـت التوتّـر داخـل الكثيـر مـن المجتمعـات، ولا سـيما فـي الـدول الغربيـة، كمـا عمقـت الهـوة الكبيـرة بيـن الـدول الشـرقية والغربيـة وبيـن شـمال وجنـوب العالـم، وزادت مـن حـدّة الانقسـامات الداخليـة، وفضحـت ازدواجيـة معاييـر الغـرب. وعلـى الرغـم مـن تعتيـم الإعـلام الغربـي علـى وقائـع الحـرب، إلا أن وسـائل التواصـل الاجتماعـي حالـت دون ذلـك. فتراجـع الانحيـاز الدولـي إلـى إسـرائيل تحـت ضغـط المظاهـرات والاسـتنكار العـام للمواطنيـن، وأدّى حجـم الـردّ الانتقامـي الإسـرائيلي وتزايـد أعـداد الضحايـا المدنييـن إلـى انـدلاع احتجاجـات واسـعة فـي مختلـف أنحـاء أوروبـا وأمريـكا؛ ممـا كشـف عـن انقسـام بيـن الشـعوب والحكومـات.

أولًا: المواقف الأمريكية والأوروبية

شـهدت الولايـات المتحـدة ردود أفعـال قويـة غيـر مسـبوقة فـي أوسـاط الـرأي العـام الأمريكـي، فقـد جابـت مظاهـرات حاشـدة شـوارع واشـنطن العاصمـة ومـدن أخـرى دعمًـا لـكلا الجانبيـن فـي انقسـام حـاد للـرأي العـام والموقـف الشـعبي، وإن حافظـت إدارة الرئيـس الأمريكـي "جـو بايـدن" علـى دعمهـا الثابـت لإسـرائيل ولا سـيما علـى الصعيـد العسـكري، علـى الرغـم مـن الضغـوط التـي يمارسـها الجنـاح التقدّمـي فـي الحـزب الديمقراطـي لتبنّـي نهـجٍ أكثـر توازنًـا ودعـم خيـار وقـف إطـلاق النـار، ولكـن مـع مـرور الوقـت، عمـدت الإدارة إلـى تعديـل بياناتهـا الرسـمية للتركيـز بشـكل أكبـر علـى حمايـة المدنييـن وتقديـم المسـاعدات الإنسـانية وإعـادة طـرح حـلّ الدولتَيـن.

وعلـى صعيـد آخـر، فـإن هنـاك عـددًا قليـلًا فقـط مـن دول الاتحـاد الأوروبـي التـي تعتـرف بفلسـطين كدولـة، وأغلبهـا دول شـيوعية سـابقة، إضافـة إلـى السـويد وقبـرص، كمـا ذكـرت دول أخـرى أنهـا تبحـث القيـام بـذات الخطـوة منهـا بريطانيـا وأسـتراليا ومالطـا[4]. وعلـى خلفيـة الحـرب الإسـرائيلية علـى غـزة، اعترفـت إسـبانيا، علـى لسـان رئيـس الـوزراء الإسـباني "بيـدرو سانشـيز" في 28 مايـو 2024، بدولـة فلسـطينية؛ تشـمل قطـاع غـزة والضفـة الغربيـة وعاصمتهـا القـدس الشـرقية، ولـم تعتـرف بـأي تغييـرات علـى حـدود 1967 دون اتفـاق جميـع الأطـراف"، هكـذا دخـل الاعتـراف بالدولـة الفلسـطينية حيـز التنفيـذ فـي خطـوة تاريخيـة تتيـح للفلسـطينيين والإسـرائيليين تحقيـق السـلام. كمـا اعترفـت كل مـن النرويـج وإيرلنـدا بدولـة فلسـطينية، وحثتـا دولًا أوروبيـة أخـرى علـى أن تحـذو حذوهـا، وقالـت الـدول الثـلاث إنهـا تأمـل أن يـؤدي قرارهـا إلـى تسـريع وتيـرة الجهـود الراميـة إلـى التوصـل إلـى وقـف لإطـلاق النـار فـي حـرب إسـرائيل علـى غـزة.

ولـم يكـن اعتـراف تلـك الـدول الأوروبيـة مفاجـأة بعـد أن سـبقته إرهاصـات كثيـرة علـى المسـتوى الشـعبي فـي جميـع دول العالـم؛ ممـا أدى إلـى حـراك دولـي لتأييـد القضيـة الفلسـطينية ووقـف الحـرب، وقـد غيـر ذلـك كثيـرًا مـن المواقـف التـي كانـت تعـد ثوابتًـا علـى المسـتويين الشـعبي والدولـي. ولا شـك أنهـا خطـوة "أخلاقيـة" أكثـر مـن كونهـا قانونيـة إلزاميـة، وأنهـا تؤكـد علـى مشـروعية قيـام الدولـة الفلسـطينية مكتملـة الأركان، وأنهـا تسـاعد علـى تكويـن رأي عـام مفـاده أن القضيـة الفلسـطينية بحاجـة لتسـوية وفقًـا للقانـون الدولـي والقـرارات الشـرعية الدوليـة بإقامـة دولتيـن، وأنهـا تثبـت الشـخصية القانونيـة للشـعب الفلسـطيني، وتعـزز علاقاتـه الدوليـة وفقًـا للقواعـد القانونيـة مـع المجتمـع الدولـي. كمـا أنهـا تشـكّل إجماعًـا دوليًـا يسـاعد علـى حصـول فلسـطين علـى العضويـة الكاملـة فـي الأمـم المتحـدة، وهـو مـا يـؤدي فـي المسـتقبل إلـى إلـزام مجلـس الأمـن بإصـدار قـرارات متعلقـة بمفاوضـات السـلام، تلـزم إسـرائيل بإنهـاء الاحتـلال للمناطـق التـي احتلهـا عـام 1967 والعمـل علـى الانسـحاب منهـا. كمـا أن الاعترافـات الجديـدة تشـير إلـى تآكل "احتـكار" الولايـات المتحـدة لمسـار عمليـة السـلام الإسـرائيلية الفلسـطينية منـذ اتفـاق أوسـلو عـام 1993.

والجديـر بالذكـر أن الاسـتجابة الأولـى لمؤسسـات الاتحـاد الأوروبـي كشـفت عـن قيـادة منقسـمة، وبـرزت ردود أفعـال غاضبـة علـى الزيـارة التـي قامـت بهـا كل مـن رئيسـة المفوضيـة الأوروبيـة ورئيسـة البرلمـان الأوروبـي إلـى إسـرائيل، والتـي اعتُبِـرت منحـازة وغيـر منسـجمة مـع الدبلوماسـية التقليديـة للاتحـاد الأوروبـي، التـي لطالمـا اعتمدت نهـج التـوازن فـي اتجـاه المسـائل الفلسـطينية والإسـرائيلية. ومـع تـردي الأوضـاع المأسـاوية فـي غـزة، تحـول الخطـاب الإعلامـي الأوروبـي بعيـدًا عـن تأييـد الجانـب الإسـرائيلي، واسـتقوت بعـض الـدول الأوروبيـة بمواقـف دوليـة أخـرى، وبالأخـص بصـدور قـرارات محكمـة العـدول الدوليـة، والمحكمـة الجنائيـة الدوليـة، وإن كانـت محـدودة التأثيـر، إلا أنهـا تعتبـر قـرارات تاريخيـة بالنسـبة للتهـم الموجهـة لإسـرائيل.

ثانيًا: المواقف الأفريقية من الحرب

لقد صوّتت الأغلبية الساحقة من الدول الأفريقية في الأمم المتحدة لصالح قرارات تطالب بوقف إطلاق النار لأسباب إنسانية في غزة، بعد أن صوّتت 120 دولة لصالح القرار وعارضته 14 دولة، وامتنعت 45 دولة عن التصويت، وكان أكثر من ثلث الدول التي صوّتت لصالح القرار (وعددها 39 دولة) دول أفريقية، فيما امتنعت ست دول أفريقية فقط عن التصويت، ولم تصوّت أي دولة أفريقية ضدّ القرار. أما الاتحاد الأفريقي، فأتى ردّه على الحرب في غزة متّسقًا مع موقفه الرسمي الراسخ حيال الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي.

وقد قدّمت دولة جنوب أفريقيا، ومعها جزر القمر وجيبوتي وبنغلاديش وبوليفيا طلبًا إلى المحكمة الجنائية الدولية لإجراء تحقيق بشأن ارتكاب إسرائيل جرائم حرب، من ضمنها مقتل مواطنين من جنوب أفريقيا في الغارات الجوية على غزة [5]. وفي 12 مايو 2024، أعلنت مصر الانضمام إلى جنوب أفريقيا في دعواها ضد إسرائيل أمام محكمة العدل الدولية، بالإضافة إلى تشيلي والمكسيك. وفي الملف الذي يتكون من 48 صفحة، تقول جنوب إفريقيا إن قتل إسرائيل للفلسطينيين في غزة والتسبب في أذى نفسي وجسدي جسيم لهم وتهيئة ظروف معيشية تهدف إلى "تدميرهم جسديًا"، يعد إبادة جماعية لهم. وتضيف الدعوى إن إسرائيل تتقاعس عن توفير الغذاء والماء والدواء والوقود والمساعدات الإنسانية لسكان قطاع غزة، خلال الحرب، وتشير أيضًا إلى حملة القصف المستمرة التي دمرت جزءًا كبيرًا من القطاع، وأجبرت حوالي 1,9 مليون فلسطيني على النزوح. وقد طلبت الدعوى من محكمة العدل الدولية فرض تدابير طوارئ لوقف الانتهاكات التي ترتكبها إسرائيل.

فبعد الجولة الأولى من جلسات الاستماع المتعلقة بالتدابير الطارئة في يناير 2024، ارتأت المحكمة أنه من المعقول أن إسرائيل انتهكت بعض الحقوق المكفولة للفلسطينيين في قطاع غزة بموجب اتفاقية منع الإبادة الجماعية. وأمر القضاة إسرائيل بالكف عن أي أعمال يمكن أن تندرج تحت اتفاقية منع الإبادة الجماعية وضمان عدم ارتكاب قواتها أعمال إبادة جماعية بحق الفلسطينيين. وتشمل تلك الأعمال بموجب اتفاقية منع الإبادة الجماعية قتل أعضاء جماعة ما وإلحاق أذى جسدي أو نفسي خطير بهم وتعمد الإضرار بالأحوال المعيشية بقصد تدمير الجماعة كليًا أو جزئيًا. وأمر القضاة إسرائيل أيضًا باتخاذ إجراءات لتحسين الوضع الإنساني في قطاع غزة. وقد أعلنت المحكمة في مارس المزيد من التدابير الطارئة حينما أمرت إسرائيل باتخاذ جميع الإجراءات الضرورية والفعالة لضمان وصول الإمدادات الغذائية الأساسية للفلسطينيين في قطاع غزة. وقد طلبت جنوب أفريقيا التدخل الفوري أو فرض تدابير طارئة على إسرائيل.

ثالثًا: مواقف دول أمريكا اللاتينية

اتّهم الرئيس البرازيلي "لولا دا سيلفا" إسرائيل بقتل أبرياء من دون أي معيار في قطاع غزة، مؤكدًا أن رد الدولة العبرية لا يقلّ خطورة عن الهجوم الذي شنّته عليها حماس في السابع من أكتوبر، وأشعل فتيل هذه الحرب. وفي فبراير 2024، استدعت البرازيل سفيرها من إسرائيل بعد أن أعلن وزير الخارجية الإسرائيلي " يسرائيل كاتس" أن الرئيس البرازيلي شخص غير مرغوب فيه في إسرائيل لمقارنته العملية الإسرائيلية في غزة بالمحرقة.

أما حكومة دولة بيليز بأمريكا الوسطى، فقد أعلنت أنها سحبت اعتماد السفارة الإسرائيلية في العاصمة البيليزية بلموبان، وعلقت كل أنشطة ممثل إسرائيل لديها، وأرجعت الحكومة قرارها إلى مقتل "مدنيين أبرياء" في غزة، حيث يتواصل قصف إسرائيلي كثيف أودى الآلاف من المدنيين وبينهم أعداد كبيرة من الأطفال.

كما أعلنت وزارة الخارجية في بوليفيا أن الحكومة قررت قطع علاقاتها الدبلوماسية مع تل أبيب، متهمة إسرائيل بارتكاب جرائم ضد الإنسانية في هجماتها على قطاع غزة، حيث قررت الحكومة قطع العلاقات الدبلوماسية مع دولة إسرائيل، رفضًا وإدانة للهجوم العدواني وغير المتكافئ الذي يُشن في قطاع غزة.

وبالتزامن مع ذلك، استدعت كولومبيا سفيرها أيضًا في تل أبيب للتشاور بسبب التصعيد المستمر في غزة، متهمة إسرائيل بانتهاك القانون الدولي. وقد وصف الرئيس الكولومبي بأنها "مذبحة للشعب الفلسطيني"، وقال عبر منصة "إكس": "قررت استدعاء سفيرنا لدى إسرائيل، إذا لم توقف إسرائيل المذبحة التي ترتكب بحق الشعب الفلسطيني فلن نتمكن من البقاء هناك".

واستدعت تشيلي سفيرها أيضًا في تل أبيب للتشاور بسبب التصعيد المستمر في القطاع المحاصر، وحثت تشيلي على مرور المساعدات الإنسانية إلى القطاع، واتهمت إسرائيل بانتهاك القانون الدولي داعية لوقف إطلاق النار. وقد جاء في بيان لوزارة الخارجية التشيلية: "تدين تشيلي بشدة، وتراقب بقلق بالغ العمليات العسكرية التي تعد بمثابة عقاب جماعي للسكان المدنيين في غزة".

وقررت هندوراس أيضًا استدعاء سفيرها لدى إسرائيل للتشاور بسبب الأوضاع الإنسانية في قطاع غزة. وقد كتب وزير الخارجية الهندوراسي : "في ظل الوضع الإنساني الخطير الذي يعاني منه السكان المدنيون الفلسطينيون في قطاع غزة، قررت الحكومة استدعاء سفير جمهورية هندوراس في إسرائيل لإجراء مشاورات".

التعليق: من الواضح أن العديد من دول العالم شمالًا وجنوبًا قد ضجرت من الهيمنة الأمريكية وتأييدها الأعمى لإسرائيل. ورغم المذابح التي ترتكبها إسرائيل في حق الشعب الفلسطيني

في غـزة، اخترقـت المعلومـات الدقيقـة والصحيحـة وسـائل التواصـل الاجتماعـي عـن الاجتيـاح الإسـرائيلي والاسـتخدام المفـرط للقـوة، وتعمـد تدمير البنيـة التحتيـة ودور العبـادة والمستشفيات، والتجويـع غيـر الإنسـاني للفلسـطينيين فـي قطـاع غـزة، وتلـك المعلومـات لـم تسـتطع الـدول الغربيـة السـيطرة عليهـا أو حجبهـا، فعمـت المظاهـرات الطلابيـة والشـعبية الـدول الأوروبيـة والأمريكيـة، ولـم يعـد بإمـكان الحكومـات تجاهـل مـا يحـدث فـي قطـاع غـزة والإصـرار علـى اسـتمرار قتـل وتجويـع الشـعب الفلسـطيني. ولـذا، تحركـت العديـد مـن الـدول، وتقدمـت إلـى محكمـة العـدل الدوليـة متهمـةً إسـرائيل بارتـكاب جرائـم حـرب ضـد الفلسـطينيين، بينمـا سـارعت دول أخـرى إلـى قطـع علاقاتهـا الدبلوماسـية مـع إسـرائيل، وعمـد الكثيـر مـن طـلاب الجامعـات إلـى الاعتصـام فـي حـرم الجامعـات للاعتـراض علـى اسـتمرار الحـرب.

إن التغيـر فـي مواقـف الـدول الأوروبيـة التـي كانـت مسـاندة تمامًـا للولايـات المتحـدة وإسـرائيل طـوال عقـود مضـت يمثـل جـزءًا أصيـلًا فـي مجمـل الحـراك الدولـي فـي الفتـرة الانتقاليـة لنظـام عالمـي جديـد، علـى الرغـم مـن أن قـوى الشـر لا تـزال تسـاند الاحتـلال. وتبقـى مواقـف محكمـة العـدل الدوليـة علامـة مضيئـة للشـعب الفلسـطيني وللعالـم أجمعـه؛ فهنـاك بارقـة أمـل فـي تحقيـق العدالـة الغائبـة طـوال عقـود طويلـة، حتـى وإن لـم تتحـول إلـى إجـراءات تنفيذيـة.

المصـــــــادر

1. الاجتياح الإسرائيلي لقطاع غزة (2023 - 2024)، https://www.wikiwand.com/ar/ الاجتياح_الإسرائيلي_لقطاع_غزة_(2023_-_2024) .
2. إسرائيل تفرض حصارًا كاملًا على غزة... وتستدعي 300 ألف جندي من الاحتياط، https://aawsat.com/ إسرائيل-تفرض-حصارًا-كاملًا-على-غزة-وتستدعي-300-ألف-جندي-من-الاحتياط.
3. Belgium condemns Israeli parliament's effort to brand UN agency for Palestinian refugees 'terrorist group', https://www.aa.com.tr/en/europe/belgium-condemns-israeli-parliament-s-effort-to-brand-un-agency-for-palestinian-refugees-terrorist-group/3237331.
4. اعتراف إسبانيا وإيرلندا والنرويج بدولة فلسطين يدخل حيز التنفيذ، https://asharq.com/politics/89602/ اعتراف-إسبانيا-وإيرلندا-والنرويج-فلسطين-يدخل-حيز-التنفيذ.
5. الجنائية الدولية: خمس دول تطلب تحقيقا في جرائم الحرب الإسرائيلية، https://arabic.rt.com/world/1513490- الجنائية-الدولية-خمس-دول-تطلب-تحقيقا-في-جرائم-الحرب-الإسرائيلية.

دراســـــات

يسلط قسم "دراسات" الضوء على تطورات المشهد السوداني على المستويين السياسي والميداني في ظل تعقد الأزمة الراهنة، واحتدام المواجهات المسلحة بين القوات المسلحة وقوات الدعم السريع، وغياب أفق الحل في المدى المنظور. كما يقف هذا القسم بالشرح والتحليل على طبيعة الدور الذي لعبته إيران ووكلاؤها في أعقاب "طوفان الأقصى" وسط تساؤلات عدة عن إمكانية تحقق سيناريو الحرب الإقليمية. كما يحلل هذا القسم تعدد مسارات المساعدات الإنسانية التي يتلقاها قطاع غزة؛ كونها هي الوسيلة الوحيدة للتخفيف من حدة الأوضاع الإنسانية المتدهورة، على الرغم من التحديات الجمة التي تواجهها. وأخيرًا، يتطرق هذا القسم إلى مفهوم ونظرية "الردع" ودرجة انطباقها على الفاعلين من غير الدول.

مشهد متأزم: اتجاهات الأزمة السودانية بين سيناريوهات الحسم العسكري وتعقيدات المسار السياسي

بعد انقضاء عام على اندلاع المواجهات المسلحة في السودان بين القوات المسلحة والدعم السريع، ازدادت الأزمة تعقيدًا على مختلف المستويات العسكرية والسياسية والإنسانية، مع غياب أفق للحل في المدى المنظور، رغم ما تبذله القوى الإقليمية والدولية لإعادة طرفي الصراع لطاولة التفاوض مرة أخرى. وفي تلك الخلفية، تتناول هذه الدراسة تطورات الأوضاع الميدانية وتمدد محاور القتال، فضلًا عن مستجدات الوضع السياسي ومسار المفاوضات، وما يلقي به المشهد إجمالًا من ظلال على الأوضاع الإنسانية.

أ. شيماء البكش

الباحثة بوحدة الدراسات الأفريقية

بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

أولًا: التمسك بالحسم العسكري

منذ اندلاع المواجهة بين الجانبين في الخامس عشر من إبريل 2023، اتخذ الصراع مراحل ومسارات مختلفة، سواء تلك المتصلة بنطاق تمدد المعارك والتحولات الميدانية أو تلك المتعلقة بمواقف الأطراف المختلفة من الصراع، بما في ذلك الحركات المسلحة، فضلًا عن الدور الخارجي في إطالة أمد الحرب. وبشكل عام، يمكن تناول المشهد العسكري على النحو التالي:

1. خرائط السيطرة الميدانية:

رغم تركز المواجهات العسكرية، التي اندلعت في 15 إبريل 2023 بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع، على مدن العاصمة الخرطوم الثلاث، فإن إطالة أمد الصراع ورغبة الطرفين في اكتساب المزيد من السيطرة الميدانية على نحو يمكنهما من تعزيز موقفهما التفاوضي، ساهم في تمدد الحرب جغرافيًا. فبعد أشهر من المعارك في الخرطوم ودارفور، حققت قوات الدعم السريع في ديسمبر 2023 تقدمًا بسيطرتها على "ود مدني" (عاصمة ولاية الجزيرة). وفي إطار المعارك المتجددة لاستعادة الجيش للمواقع التي سيطرت عليها قوات الدعم السريع، وقعت مذبحة قرية "ود النورة" التي راح ضحيتها ما يصل إلى 150 فردًا، لتُعد بذلك ثاني أكبر مذبحة بعد تلك التي وقعت في الجنينة غرب دارفور. وتبرز أهمية القرية لقوات الدعم السريع لكونها المنفذ للسيطرة على مدينة "المناقل" الواقعة جنوب الخرطوم، كآخر المناطق التي يسيطر عليها الجيش في ولاية الجزيرة [1].

وفي فبراير 2024، تقدم الجيش للمرة الأولى في منطقة "كرري" (شمال "أم درمان")، منذ أن سيطرت عليها قوات الدعم السريع في إبريل 2023، فضلًا عن تقدمه جنوب المدينة في محيط سلاح المهندسين، ودخول القوات سوق "أم درمان"، فضلًا عن سيطرته على مقر الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون في 12 مارس 2024 [2].

وتزامنًا مع معركة "ود النورة" بالجزيرة، أدى تقدم قوات الدعم السريع من الخرطوم بحري باتجاه "كرري" (بشمال "أم درمان") إلى سقوط 40 قتيلًا و50 ضحية، وفقًا للجان مقاومة كرري المحلية [3]. وفي الخرطوم، تجددت الاشتباكات في مناطق شرق النيل وأحياء شرق الخرطوم في أركويت والامتداد، وفي محيط القيادة العامة بوسط الخرطوم، وفي محيط سلاح المدرعات جنوب الخرطوم[4]، بينما تقدم الجيش لتحرير "مصفاة الجيلي" في شمال الخرطوم، وسلاح الإشارة في الخرطوم بحري، في محاولة لقطع الإمدادات العسكرية عن قوات الدعم السريع شمال الخرطوم؛ إذ حقق الجيش تقدمًا في 31 مايو 2024، متجهًا عبر جسر "حلفايا" من "أم درمان" للخرطوم بحري، لفك الحصار عن سلاح الإشارة والقيادة العامة والكدرو[5].

ورغم الدعوات الدولية لاستئناف المفاوضات، كان الإصرار على الحسم العسكري الحاكم للمشهد، وبخاصة مع عزم القوات المسلحة على استرداد ما سيطرت عليه قوات الدعم السريع من مواقع حيوية؛ مما قد يسمح بتقوية موقفها التفاوضي. ورغم تراجع وتيرة المعارك في محاور القتال الرئيسة، فإنها تتجدد بوتيرة أقل بالمقارنة بما سبق، في محاولة من الجيش لاسترداد المناطق التي سيطرت عليها قوات الدعم السريع وصد محاولات تقدمها في ولايات جديدة، إذ تركزت المواجهات في الأشهر الأخيرة بالمُسيّرات والقذف المدفعي في "أم درمان" والخرطوم بحري، فضلًا عن ولاية نهر النيل والمحاور الشرقية والغربية لولاية الجزيرة وفي الفاشر بشمال دارفور، وفي غرب وشمال كردفان، وأعلن الدعم السريع سيطرتها على الفرقة 91 مشاة وأمانة الحكومة في 20 يونيو 2024 [6].

وفي أواخر إبريل 2023، شهدت دارفور انتقال الصراع إليها في وقت مبكر، حينما سيطرت قوات الدعم السريع على المطارات في شمال الإقليم وغربه، بينما شهدت مدينتي "نيالا" (جنوب دارفور) و"الجنينة" (عاصمة غرب دارفور) مواجهات على أساس عرقي، تعرضت خلالها قبيلة "المساليت" لتصفيات عرقية على أيدي قوات الدعم السريع في حياء الجبل والجمارك والرياض ومقر قيادة الدعم السريع وجهاز المخابرات، وعلى إثرها قُتل والي ولاية غرب دارفور "خميس أبكر" في 15 يونيو 2023 [7]. وقد تكرر الهجوم مرة أخرى على المساليت في نوفمبر 2023، حينما هاجمت قوات الدعم السريع الفرقة 15 التابعة للجيش في "الجنينة"، إذ أفادت التقديرات بقتل ألف من "المساليت" حينها [8].

وقد ظل التوجس يكتنف المشهد أمام احتمالية تمدد نطاق المعارك في مدينة الفاشر بشمال دارفور، بعد أن هددت قوات الدعم السريع بالتوجه نحوها لتحريرها بعد سيطرتها على قاعدة "الجنينة" (غرب دارفور) و"زالينجي" (بوسط دارفور) ونيالا (بجنوب دارفور) في نوفمبر 2023 [9]. وفي العاشر من مايو 2024، بدأت المواجهات بالقصف المدفعي بين الجيش والحركات المتحالفة معها من القوات المشتركة من جهة وقوات الدعم السريع من جهة أخرى، إذ تتركز المواجهات في المناطق الشمالية والشرقية والجنوبية والغربية في محيط الفرقة 6 مشاة بمدينة الفاشر؛ مما أدى إلى إصابة 800 شخص خلال ثلاثة أسابيع من بدء المواجهة.

2. استقطاب فاعلين جدد:

مثّل دخول فاعلين جدد على خط الأزمة بين الجيش وقوات الدعم السريع عاملًا مساعدًا في التصعيد وإطالة أمد الحرب؛ إذ جاء انحياز أو استقطاب أطراف جديدة إلى المعركة في سياق من الإنهاك المتبادل للقوى؛ مما دفع بالبحث عن داعمين جدد. وقد اتخذ هؤلاء الفاعلين ثلاثة مستويات على وجه التحديد؛ تمثل أولها: في المقاومة الشعبية التي بدأت بدعوة رئيس مجلس السيادة الفريق الأول عبد الفتاح

البرهان للشباب للانضمام للجيش وحمل السلاح للدفاع عن البلاد في 27 يونيو 2023، في إطار استراتيجية التعبئة العامة والاستنفار، فيما سبقه حاكم إقليم دارفور بدعوة المدنيين لحمل السلاح لحماية الممتلكات. ومنذ تلك الدعوة، تشكلت اللجان العليا للاستنفار في أغلب الولايات، بما في ذلك كسلا [10] التي شهدت خروج 2600 مستنفر في الأول من يونيو 2024. وفي شمال كردفان، أصدر والي الولاية قرارًا بتشكيل اللجنة الولائية للاستنفار والمقاومة الشعبية، في ضوء اللائحة التي أصدرها "البرهان" في 25 مايو 2024. وقد تضمن القرار الدعوة إلى تعبئة الطاقات في وقت السلم وفي وقت الحرب، وتدريب وتنسيق المستنفرين مع الفرقة 5 مشاة، وتوجيه لجان الاستنفار والمقاومة في الوحدات المحلية بالولاية [11] . وقد جاءت الدعوة إلى الاستنفار الشعبي في سياق تقدم قوات الدعم السريع في العديد من الولايات، وضمها لعدد من القبائل للقتال بجانبها مثل: "تمازج" في دارفور، وجماعة "أبو عاقلة" في الجزيرة، و"العمدة أبو شوتال" في النيل الأزرق [12]؛ مما يسلط الضوء على مخاطر الانزلاق إلى حرب أهلية واسعة النطاق.

أما ثاني هذه العناصر فهي الحركات المسلحة الموقعة على اتفاق جوبا للسلام، والتي كانت قد أعلنت في خلال أسبوعين من اندلاع الحرب، عن تشكيل قوة مشتركة لحماية المدنيين في إقليم دارفور وتأمين وصول المساعدات والمؤسسات المهمة في الفاشر بشمال دارفور. ولكن مع تطور الصراع، أعلنت في 16 نوفمبر 2023، حركات: تحرير السودان "مني أركو مناوي"، وحركة تحرير السودان "مصطفى تمبور"، وحركة العدل والمساواة "جبريل إبراهيم"، تخليهم عن الحياد وانحيازهم إلى جانب الجيش في معاركه ضد الدعم السريع، فيما تمسك كل من حركة تحرير السودان- المجلس الانتقالي بزعامة "الهادي إدريس" وتجمّع قوى تحرير السودان بقيادة "الطاهر حجر" ببقائهم على الحياد [13] .

ولم يتوقف الاستقطاب عند هذا الحد، بل طالت الانقسامات الحركات نفسها التي شهدت انقسامات داخلية بين منحازٍ للجيش وآخر لقوات الدعم السريع. فقد شهدت "حركة العدل والمساواة" انفصال فصيل تابع لسليمان صندل، والأمر نفسه مع فصيل آخر أعلن انفصاله عن حركة تحرير السودان بقيادة "مني أركو مناوي" لينضم إلى قوات الدعم السريع. كما امتد الأمر إلى "حركة الهادي إدريس" الذي انشق عنه فصيل بزعامة "صلاح رصاص" الذي أعلن انحيازه للبرهان. كما أعلن "عبد الله يحيى" الانفصال عن "الطاهر حجر" والانضمام إلى الجيش في قتاله ضد قوات الدعم السريع [14].

ولم يتوقف الأمر عند الحركات المسلحة؛ فقد ساهم تصعيد العامل الخارجي في تغذية المعارك، وبخاصة مع توظيف المُسيَّرات في المعارك التي عزا إليها البعض تقدم الجيش مؤخرًا في "أم درمان" بعد مشاركة القوات الخاصة الأوكرانية ومُسيَّرات من طراز بيرقدار أمدت بها الجيش السوداني [15] . وقد جاء هذا التدخل، إلى جانب تصاعد مؤشرات الدعم الروسي المُقدم للجيش، بعد اتهامات طال أمدها للدعم المقدم من مجموعة " فاغنر" إلى قوات الدعم السريع؛ مما منح الأخيرة ميزة إضافية، سعى الجيش لموازنتها من خلال مساعيه المتعددة لاستقبال الدعم. فقد تبادلت روسيا والسودان الزيارات الدبلوماسية مؤخرًا في سياق الحديث عن الدعم للجيش مقابل القاعدة البحرية [16]، وينصرف الأمر كذلك إلى كل من إيران وتركيا، وغير ذلك من الداعمين الإقليميين؛ مما يوفر فرصة لإطالة أمد الحرب باستقبال الدعم العسكري من مختلف الداعمين الإقليميين والدوليين.

ثانيًا: تعثر الموقف التفاوضي

تعددت المسارات وجهود الوساطة المطروحة لحل الأزمة من قبل عدد من الوسطاء الإقليميين والدوليين، رغم بروز مباحثات جدة كأبرز المنابر المقبولة، ليس فقط من قبل طرفي الأزمة، لكن أيضًا من مختلف القوى الإقليمية والدولية. وبعد ستة أشهر من تعطل الجولة الثانية من مباحثات جدة بين الطرفين، بعد تعلق المباحثات في مطلع ديسمبر 2023 [17]، تبدو هناك العديد من الجهود الرامية إلى إعادة الطرفين لطاولة مفاوضات جدة مع إشراك المزيد من الوسطاء، انطلاقًا مما نتج عنها من مخرجات قابلة للتنفيذ (إعلان جدة الإنساني) والتي يمكن البناء عليها لبلورة حل شامل للأزمة.

وانطلاقًا من أهمية توحيد الجهود الدبلوماسية، استقر الجميع على ضرورة توحيد كل الجهود في منبر جدة، وانضمام القوى الإقليمية الأخرى، وبدا ذلك في مشاركة ممثلين للإيجاد والاتحاد الأفريقي[18]؛ مما أكد مرجعية إعلان جدة الذي يستند إليه الأطراف في مضمار الحديث عن شروط استئناف المفاوضات. وقد تجلى ذلك في الحوار الذي أجرته الآلية الأفريقية رفيعة المستوى المعنية باستعادة الاستقرار في السودان (برئاسة "محمد شمباس" و"سيمبوسا ووانديرا") مع هيئة قيادة تنسيقية القوى الديمقراطية المدنية "تقدم" في 12 مارس 2024 في أديس أبابا، بهدف إنهاء النزاع من خلال التفاوض عبر منبر جدة[19].

وفي سياق المساعي الرامية لاستئناف المفاوضات، أجرى وزير الخارجية الأمريكي "أنتوني بلينكن" مكالمة مع "البرهان" في 29 مايو 2024، لبحث سبل إيصال المساعدات والعودة للمفاوضات في أوائل يونيو 2024، وهو ما قُوبل بتحفظ "البرهان" الذي طالب بتنفيذ اتفاق جدة الموقع في مايو 2023، وتحديد أجندة التفاوض مسبقًا، بينما رفض نائب رئيس مجلس السيادة "مالك عقار" دعوة الوزير الأمريكي دون إخطار الحكومة السودانية [20]. وفي السياق ذاته، أعلن المبعوث الأمريكي للسودان "توم بريلو"، في إطار جولته الإقليمية التي ضمت إثيوبيا وكينيا وأوغندا ومصر، أن هناك مفاوضات غير

مباشرة تجري بين الجيش وقوات الدعم السريع تمهيدًا للعودة للمفاوضات بعد عيد الأضحى[21].

ورغم مساعي استئناف المفاوضات، فإن الاتجاهات الراهنة تنذر بمزيد من التعنت الدبلوماسي؛ مما يدفع الوسطاء والأطراف المعنيين للبحث عن آليات جديدة للدفع بالأطراف نحو إبداء مزيد من المرونة. فقد أعلن الاتحاد الأوروبي عن مساعيه لفرض عقوبات على ستة أفراد من طرفي الصراع، بعد أن جمد أصول ست شركات في يناير 2024 [22]، وقد تزامن ذلك مع إعلان موقع وزارة الخزانة الأمريكية في 6 يونيو 2024 عن فرض عقوبات جديدة تتصل بالسودان.

وفي سياق موازٍ من التعنت السياسي والحشد العسكري، فإن هناك محاولات دبلوماسية تُجرَى لإعادة توحيد الجبهة المدنية، بهدف خلق ظهير سياسي مؤهل لقيادة المرحلة، في إطار اتفاق يضمن استئناف عملية الانتقال الديمقراطي. إذ كانت آخر تلك الجهود الإعلان عن المؤتمر التأسيسي لتنسيقية القوى الديمقراطية المدنية "تقدم"، الذي استضافته أديس أبابا خلال الفترة من 26 حتى 30 مايو 2024 [23]، تلاها الدعوة المصرية للقوى المدنية السودانية واجتماع جامعة الدول العربية لتنسيق مبادرات السلام في السودان[24]، علاوة على دعوة الاتحاد الأفريقي الأخيرة للقوى السودانية في الفترة من 10 إلى 15 يوليو 2024.

ثالثًا: تأزم الأوضاع الإنسانية

ساهمت المواجهات المسلحة في تعميق الأزمات الإنسانية المتجذرة، التي أدت إلى وفاة نحو 14 ألف وإصابة 33 ألفًا وفقًا بعض التقديرات، في واحدة من أسوأ أزمات النزوح عالميًا. فوفقًا لمنظمة الهجرة الدولية، من المرجح أن يصل عدد النازحين إلى 12 مليون (منهم 2.8 مليون قبل الحرب). هذا، ويبلغ عدد النازحين داخليًا 6.7 ملايين شخص، فيما يبلغ عدد النازحين داخليًا في السودان من دول الجوار (جنوب السودان وإريتريا وإثيوبيا) 920 ألف، من بينهم 200 ألف نزحوا عدة مرات؛ مما يجعل إجمالي عدد النازحين داخليًا 8.3 ملايين[25]. فيما وصل إلى دول الجوار السوداني 1.8 مليون شخص في مصر (25%)، وتشاد (37%)، وجنوب السودان (31%) [26].

وقد عمّق الصراع من الأزمات الإنسانية الممتدة قبل بدء هذا الصراع في ظل اقتصاد يعاني من التضخم وأوضاع صحية وغذائية بالغة السوء، والتي تفاقمت مع تعرض 70% من البنية التحتية الصحية إلى التدمير، وتعرض أكثر من نصف السكان لمستويات عالية من انعدام الأمن الغذائي، في الوقت الذي ستتعقد فيه الأوضاع الإنسانية خلال الأشهر المقبلة خلال موسم الجفاف، مع تقديرات تفيد بتراجع نسبة إنتاج المحاصيل بنحو 78% عن السنوات الخمس الماضية[27].

وتشير تقديرات أممية، بما في ذلك تقديرات برنامج الغذاء العالمي، إلى معاناة نحو 18 مليون شخص من أزمات الجوع الحاد، منهم 3.6 ملايين طفل يعانون من سوء التغذية الحاد، مع تحذيرات من تعرض الملايين للمجاعة في كل من الخرطوم والجزيرة وكردفان ودارفور[28]، في الوقت الذي لم يتلق فيه ما يقرب من 860 ألف شخص مساعدات إنسانية في كردفان ودارفور والخرطوم.

وقد حذّر المتحدث باسم مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشئون الإنسانية "أوتشا يانس لاركيه"، خلال مؤتمر صحفي في الحادي والثلاثين من مايو 2024، من احتمالات توطن المجاعة في أجزاء كثيرة من السودان، في الوقت الذي لا يزال فيه عمال الإغاثة يواجهون عوائقًا منهجية ويتعرضون للقتل والإصابة، كما يتم نهب المساعدات الإنسانية، فضلًا عن تعطل التنقلات عبر خطوط النزاع في أجزاء من الخرطوم ودارفور والجزيرة وكردفان منذ منتصف ديسمبر 2023، وإغلاق معبر "أدري" الحدودي من تشاد إلى دارفور في فبراير 2024؛ مما أدى إلى حرمان 860 ألف شخص من المساعدات الإنسانية في مارس 2024. وللمرة الأولى، تمكن برنامج الأغذية العالمي من العبور عبر معبر الطينة بتشاد وإيصال مساعدات تقدر بحوالي 1200 طن، موجهة إلى 116 ألف شخص في جميع أنحاء دارفور[29].

ومع اشتداد المواجهات في شمال دارفور، زادت المعاناة الإنسانية التي حذّرت منها المنظمات الإنسانية في وقت مبكر. وفي 27 مايو 2024، تحدثت الأمم المتحدة عن نزوح 505 آلاف شخص من الفاشر التي تئوي مليوني مواطن؛ إذ باتت مراكز الإيواء بكل أنحاء دارفور تكتظ بمن يعانون أوضاعًا إنسانية بالغة السوء، في الوقت الذي نزح فيه الكثير من الفاشر إلى مدينة "طويلة" الخاضعة لسيطرة حركة جيش تحرير السودان بقيادة "عبد الواحد نور" بمنطقة جبل مرة[30]، وقد جاء ذلك في إطار استمرار تبادل القصف المدفعي في الفاشر عاصمة ولاية شمال دارفور منذ 10 مايو 2024، وقد طالت تداعيات القصف المدفعي الأحياء الشرقية والجنوبية والشمالية، وتضررت مستشفى الفاشر الجنوبي، ونزح الآلاف لمناطق أخرى لا تقل هشاشة عن تلك التي ينزحون منها [31]. وحتى 5 يونيو 2024، وصل عدد المصابين بالمستشفى الجنوبي بالفاشر لحوالي 1200 مصاب [32]. وخلال الفترة من 10 مايو حتى 11 يونيو 2024، بلغ عدد المصابين 1414 في المستشفى الجنوبي، لقي منهم 226 مصرعهم، فيما بقي 800 ألف في أوضاع إنسانية شديدة السوء؛ مما دفع مجلس الأمن لمطالبة قوات الدعم السريع برفع الحصار عن الفاشر[33].

في النهاية، تبدو ديناميات الصراع في السودان بعيدة عن الحسم العسكري لصالح أي من الطرفين في الأمد المنظور، في الوقت الذي تسهم فيه مواقف الطرفين المتعنتة في إطالة أمد الصراع وعرقلة المسار التفاوضي، على نحوٍ يلقي بظلاله في نهاية الأمر على الأوضاع الإنسانية المتفاقمة؛ مما يفرض ضرورة تهيئة الظروف لوقف إطلاق النار غير المشروط من قبل وسطاء التفاوض.

المصـــــــــادر

1. الموت من المسافة صفر.. هكذا بدأت "مجزرة" ود النورة في السودان، صحيفة الراكوبة، 7 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/mH1QPx9J
2. معارك ضارية بين الجيش والدعم السريع في سنار والخرطوم، سودان تريبون، 29 مايو 2024، متاح على الرابط التالي: https://sudantribune.net/article286299/
3. عشرات القتلى والمصابين في قصف للدعم السريع على محافظة كرري، موقع الجزيرة، 7 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/aGfNGveJ
4. محمد أمين ياسين، السودان: قتلى وجرحى مدنيون في اشتباكات بالفاشر، الشرق الأوسط، 1 فبراير 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/pvrYWgjJ
5. مساعد البرهان يتوعد "الدعم السريع" بضربات عنيفة ويجدد رفض المفاوضات، صحيفة التغيير، 2 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي: https://www.sudanakhbar.com/1527375
6. خالد عويس، الفاشر .. معركة تنذر بتقسيم السودان، الشرق، 5 مايو 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/fQlaNXWt
7. معارك السودان.. كيف انتقال الصراع إلى إقليم دارفور؟، موقع العربي، 24 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/CJ439Q0v
8. تقرير خاص-قادة عسكريون سودانيون يشنون حربا على قبيلة المساليت في دارفور، Swiss Info، 28 ديسمبر 2023، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/JefmHkhw
9. السودان .. "الدعم السريع" يسيطر على الجنينة ويتوعد الفاشر وبورتسودان، الشرق، 5 نوفمبر 2023، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/9nLQ9MsF
10. والي كسلا يؤكد على دور المقاومة الشعبية في اسناد القوات المسلحة، وكالة أنباء السودان، 1 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/9ErfNyLh
11. الاستنفار والمقاومة الشعبية.. ولاية سودانية تتخذ هذا القرار، المندرة نيزو، 6 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي https://2u.pw/wR1lONRy
12. مزدلفة عثمان، هل تقلب مشاركة حركات دارفور بالحرب الموازين لصالح الجيش السوداني؟، الجزيرة، 27 مارس 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/DuIHxuMT
13. المرجع السابق، مصدر إلكتروني.
14. عبد الله يحيى، الرجل الثاني في حركة الطاهر حجر يعلن الانحياز للجيش ضد الدعم السريع، سودان تريبون، 20 نوفمبر 2023، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/kmdzgRDc
15. هل انتقلت تصفية الحسابات الأوكرانية الروسية إلى السودان، صحيفة الراكوبة، 9 مايو 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/41K1OpXb
16. النور أحمد النور، فهيم الصوراني، تقارب السودان وروسيا.. تحالف إستراتيجي أم زواج مصلحة؟، موقع الجزيرة، 29 إبريل 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/LiRzRRxM
17. انهيار مفاوضات جدة .. الدعم السريع يتمسك بالقبض على مطلوبي الجنائية والجيش يضع شروط، صحيفة التغيير، 4 ديسمبر 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/KtCLxRU4
18. "بالتزامن مع استئناف مباحثات جدة .. السعودية تطالب الجيش والدعم السريع بوقف القتال، صحيفة التغيير، 27 أكتوبر 2023، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/XbH1Q2fd
19. الاتحاد الأفريقي يعتزم تيسير حوار بين الفرقاء السودانيين خلال أسابيع، سودان تريبون، 3 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/6lEU9Yzj
20. Secretary Blinken's Call with Sudanese Armed Forces General Burhan", U.S. Department of State, May 28, 2024, Available on: https://2u.pw/rzDTMei9"
21. محمد أمين ياسين، مصادر تكشف عن محادثات غير مباشرة بين الجيش السوداني والدعم السريع، الشرق الأوسط، 12 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/eW1VHa6g
22. عبد الهادي حبتور، الاتحاد الأوروبي: الوضع في السودان مرعب... وندرس فرض عقوبات جديدة على أفراد، الشرق الأوسط، 30 مايو 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/9KbHGddh
23. خالد عويس، "تقدم" السودانية تختتم مؤتمرها في أديس أبابا وتضع "رؤية سياسية" لإنهاء الحرب، الشرق، 31 مايو 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/QmdpkKBg
24. فتحية الدخاخني، اجتماع إقليمي - عربي لتنسيق "مبادرات السلام" في السودان، الشرق الأوسط، 12 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/kU9TrLeY
25. Sudan Regional Displacement Crisis, Relifweb, 3 May 2024, Available at: https://reliefweb.int/topic/sudan-regional-displacement-crisis
26. Sudan and Neighbouring Countries Crisis Response Plan 2024, Relifweb, 8 May 2024, Available on: https://reliefweb.int/report/sudan/sudan-and-neighbouring-countries-crisis-response-plan-2024
27. Crisis in Sudan: What is happening and how to help, International Rescue community, 12 April 2024, Available at https://2u.pw/JMbowRWL
28. الأمم المتحدة تحذر من تهجير 10 ملايين سوداني في الايام المقبلة، الرأي السوداني، 7 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي: https://sudaray.com/119970
29. السودان: 19 منظمة إنسانية تناشد السماح بوصول المساعدات فيما تلوح المجاعة في الأفق، موقع الأمم المتحدة، 31 مايو 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/130zlQAu
30. الفاشر تشهد موجة نزوح جديدة الى المناطق المجاورة، دارفور 24، 2 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي: https://www.sudanakhbar.com/1527426
31. تعرض منطقة شرق مدينة الفاشر لغارات جوية جديدة، دافور 24، 2 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي: https://www.sudanakhbar.com/1527423
32. ارتفاع ضحايا النزاع في الفاشر لـ 1.280 مدنيًا ومخاوف من توقف المشفى العامل، سودان تريبون، 5 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/lkrF8CqH
33. كيف الوضع الأن في الفاشر عقب المواجهات الاخيرة بمحيط الفرقة السادسة مشاة؟، الأخبار السودانية، 16 يونيو 2024، متاح على الرابط التالي: https://www.sudanakhbar.com/1532645

ما دون الحرب: دور إيران ووكلائها في حرب غزة

أعلنت حركة حماس وإيران، وحتى بعض الجماعات الوكيلة للأخيرة، أن مرحلة التخطيط والاستعداد وحتى تنفيذ عملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023 تمت بمعرفة حركة حماس فقط دون معرفة أو إشراك إيران أو بقية وكلائها في المنطقة المنضوين تحت لواء محور المقاومة. وعلى الرغم من ذلك، اضطلعت إيران ووكلاؤها بدور مهم في المرحلة التي أعقبت طوفان الأقصى ودورة التصعيد والمعارك التي امتدت إلى أكثر من جبهة؛ فقد اشتركت إيران والجماعات الوكيلة والموالية لها في الهجمات والضربات التي تستهدف إسرائيل، وأحيانًا الوجود العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط، بما قاد في أكثر من مرة إلى الاقتراب حثيثًا من سيناريو الحرب الإقليمية.

أ. محمد عبد الرازق

الباحث الأول بالمرصد المصري

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

أولًا: أنماط الاشتباك

اتخذ انخراط إيران ووكلائها من الفاعلين من غير الدول في حرب غزة ما بعد السابع من أكتوبر 2023 عدة أنماط وأشكال، تراوحت ما بين الدعم الخطابي والدبلوماسي وصولًا إلى العمليات العسكرية ذات الأهداف المتعددة، وذلك على النحو التالي:

1. إظهـــار الدعـــم:

كان الانخراط الأول لإيران ووكلائها في حرب غزة انخراطًا خطابيًا ودبلوماسيًا تمثل في المواقف الداعمة لعملية طوفان الأقصى؛ إذ أعلنت الجمهورية الإسلامية من خلال مسئوليها كافّةً دعمهم لتحرك حركة حماس وهجومها على إسرائيل في مسعى لتقديم الدعم السياسي للحركة. ففي الساعات الأولى للعملية، أعلن مستشار المرشد الأعلى للثورة الإسلامية الإيرانية اللواء "رحيم صفوي" دعم إيران للعملية، مُبديًا ثقته بأن جبهة المقاومة ستنتصر في النهاية. ثم أجرى الرئيس الإيراني الراحل "إبراهيم رئيسي" في 8 أكتوبر 2023 اتصالين هاتفيين مع كل من رئيس المكتب السياسي لحركة حماس "إسماعيل هنية" والأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي "زياد النخالة". وقد أيد المرشد الأعلى "علي خامنئي" في 10 أكتوبر 2023 بشكل كامل هجوم حركة حماس، والذي وصفه بأنه يمثل هزيمة إسرائيل العسكرية والمخابراتية، رغم نفيه ضلوع طهران في هذا الهجوم.

وعلاوة على ذلك، أجرى وزير الخارجية الإيراني آنذاك "حسين أمير عبد اللهيان" عدة جولات في المنطقة، في إطار ما سُمّي بـ"دبلوماسية المقاومة"، شملت عدة دول منها تلك التي توجد بها الجماعات الوكيلة لإيران مثل لبنان والعراق وسوريا أو مقر إقامة القادة السياسيين لحركة حماس في قطر. ومن هذه الجولات، جولة يوم 12 أكتوبر 2023 التي شملت العراق ولبنان وسوريا، واختتمت بلقاء قادة حركة حماس في قطر يوم 14 أكتوبر 2023؛ لإرسال رسائل تُظهر الدعم القوي لحركة حماس في المعركة وتأكيد جاهزية محور المقاومة لدعم الحركة. وقد حذر "عبد اللهيان" في هذه الجولة من أن استمرار الحرب الإسرائيلية ضد الفلسطينيين في غزة سيلقى ردًا من باقي المحاور، وأن كل الاحتمالات ممكنة، وأن على الولايات المتحدة لجم إسرائيل إذا أرادت تجنب حرب إقليمية، وهو ما أتى ردًا على الدعم الكبير الذي أظهرته الولايات المتحدة لإسرائيل على المستويين السياسي والعسكري.

أما على مستوى الوكلاء، فقد سارع "حزب الله" إلى تأييد عملية طوفان الأقصى واصفًا إياها بالعملية البطولية واسعة النطاق، وأنها رد حاسم على جرائم الاحتلال المتمادية، وتأكيد جديد على أن إرادة الشعب الفلسطيني وبندقية المقاومة هي الخيار الوحيد في مواجهة العدوان والاحتلال، مؤكدًا أن قيادته على اتصال مباشر مع قيادة المقاومة الفلسطينية، وتجري معها تقييمًا متواصلًا للأحداث وسير العمليات. وكذا بارك "عبد الملك الحوثي" (زعيم حركة أنصار الله الحوثيين) العملية، واصفًا إياها بالنصر العظيم لا سابقة له في المسيرة الجهادية للمجاهدين الأبطال من شعب فلسطين، معلنًا أن الحركة في حالة متابعة مستمرة وتنسيق مستمر مع محور المقاومة، وستكون جاهزة للمشاركة في إطار هذا التنسيق بحسب المستويات المخطط لها. وتوازيًا مع ذلك، أعلن الحشد الشعبي في العراق عن مباركته لعملية طوفان الأقصى، ووصفها بالنصر المؤزر الذي أثلج صدور المؤمنين، وأنها الرد الحاسم والصوت الرافض لكل اعتداءات الاحتلال الصهيوني، معلنًا الدعم الكامل للمقاومين.

2. تشتيت وإشغال القوات الإسرائيلية:

يمثل هذا النمط أحد أهم أنماط عمليات الفصائل الموالية لإيران ضد إسرائيل، إذ يهدف إلى تكثيف الهجوم على إسرائيل على أكثر من جبهة، بما يؤدي إلى تشتيت القوات الإسرائيلية؛ كي تعزز انتشارها واستعداداتها العملياتية على أكثر من جبهة في آن واحد؛ مما يخفف الضغط عن قطاع غزة، ويشتت الجهود العسكرية والاستخبارية الإسرائيلية. وقد بدأ "حزب الله" هذا النمط سريعًا بعد عملية طوفان الأقصى من خلال إثارة التوترات على الجبهة الشمالية لإسرائيل من خلال الهجمات على أهداف عسكرية إسرائيلية أو أراضي فضاء أو القيام بعمليات تسلل على طول الحدود بإعلان مسئوليته المباشرة عنها فضلًا عن السماح لأجنحة الفصائل الفلسطينية في لبنان بالقيام بعمليات استهداف وتسلل دون أن يتورط في المسئولية. وقد أكد الأمين العام لحزب الله "حسن نصر الله" هذه الاستراتيجية في خطابه يوم 3 نوفمبر 2023، معلنًا أنها أسفرت عن حشد ثلث الجيش الإسرائيلي في الجبهة الشمالية مع جنوب لبنان.

وتوازيًا مع نشاط "حزب الله"، انخرطت التنظيمات والجماعات الوكيلة لإيران في ذات النمط من العمليات، من خلال الهجمات التي نفذتها حركة أنصار الله الحوثي في الأسابيع الأولى بعد عملية طوفان الأقصى بإطلاق صواريخ وطائرات مُسيَّرة بدون طيار باتجاه المدن الإسرائيلية، وقد بدأت أولى هذه الهجمات يوم 19 أكتوبر 2023 بإطلاق صواريخ وطائرات مُسيَّرة باتجاه إيلات، ولكن اعترضتها المدمرة الأمريكية "يو إس إس كارني"، ثم بدأت فعليًا مع هجوم يوم 31 أكتوبر 2023 بإطلاق دفعة من الصواريخ البالستية طويلة المدى وعددًا من الطائرات المُسيَّرة التي وصلت إلى عدة أهداف في العمق الإسرائيلي. يضاف إلى ذلك العمليات التي تستهدف المدن الإسرائيلية وبخاصة إيلات وحيفا، والتي نفذتها ما أطلقت على نفسها "المقاومة الإسلامية في العراق" وهي إطار عام يضم مجموعة من الفصائل المسلحة في العراق الموالية لإيران وعلى رأسها: كتائب حزب الله، وحركة النجباء، وكتائب سيد الشهداء.

3. تكريس حالة انعدام الأمن:

أسهمت عملية طوفان الأقصى في ضرب عقيدة الأمن الإسرائيلية، وإظهار مكامن الضعف لدى

إسرائيل، وعدم قدرتها على حماية مواطنيها؛ مما أعطى شعورًا عامًا لدى الإسرائيليين بانعدام الأمن، وهو ما زاد -بطبيعة الحال- مع استمرار الهجمات والعمليات منذ 7 أكتوبر 2023 سواء من فصائل المقاومة الفلسطينية أو من جانب الجماعات والتنظيمات الموالية لإيران. وقد هدفت هذه الأخيرة من خلال نمط معين من العمليات إلى تكريس حالة انعدام الأمن لدى الإسرائيليين ولا سيّما من خلال عمليات "حزب الله"، التي بلغ عددها منذ 8 أكتوبر 2023 وحتى منتصف يونيو 2024 نحو 2100 عملية حسبما أعلنه "حزب الله"، وأدت إلى جعل المستوطنات الإسرائيلية على الحدود مع جنوب لبنان شبه مهجورة.

ويأتي تكريس حالة انعدام الأمن لدى الإسرائيليين من خلال عاملين أساسيين، وذلك على النحو التالي:

الأول أن نطاق عمليات "حزب الله" قد تمدد تدريجيًا على مستوى العمق وبنك الأهداف وطريقة التنفيذ خلال الشهور الماضية بصورة واضحة؛ فمن حيث العمق تخطت الهجمات والاشتباكات بين "حزب الله" وإسرائيل معادلة الاشتباك التي ظلت قائمة بين الطرفين لفترة طويلة، وهو عمق 8 كيلو مترات من الحدود، فوصلت إلى مسافة 20 إلى 30 كيلو مترًا. وعلى مستوى بنك الأهداف، توسعت الأهداف التي استهدفها "حزب الله" لتطال أهدافًا عسكرية حساسة لإسرائيل تشمل أبراج مراقبة ورادارات وثكنات عسكرية وتحصينات للجنود وحتى بطاريات منظومة القبة الحديدية. وقد حرص "حزب الله" على إيصال رسالة واضحة لإسرائيل بأنه يملك بنك أهداف واسع من خلال بث مقاطع مصورة التقطتها طائراته المُسيَّرة لمجموعة من الأهداف المدنية والعسكرية المهمة في عمق إسرائيل دون أن تلتقط رادات الجيش الإسرائيلي هذه الطائرات.

وعلى مستوى طريقة التنفيذ، بات "حزب الله" يعتمد على طرق متعددة لتنفيذ هجماته انطلاقًا بالهجمات المباشرة بالصواريخ أو الطائرات المُسيَّرة مرورًا بالهجمات المركبة التي تُنفذ بأكثر من نوع من أنواع الصواريخ والطائرات المسيرة مثل التنفيذ بطائرات انقضاضية وإشغالية أو بصواريخ مُوجّهة ومدفعية وأسلحة أخرى أو بالصواريخ الموجهة والمُسيَّرات الانقضاضية، ذلك وصولًا إلى إشعال الحرائق على الحدود الإسرائيلية-اللبنانية؛ مما يحدث أضرارًا جسيمة بشرية ومادية وصلت إلى إحراق نحو 3500 فدان في إسرائيل حتى 11 يونيو 2023، وبما يجعل المستوطنات الإسرائيلية على الحدود مع لبنان وفي هضبة الجولان المحتلة غير قابلة للحياة، وبالتالي إجلاء المزيد والمزيد من المستوطنين، فيتراوح عدد النازحين من شمال إسرائيل ما بين 60 و80 ألف نازح.

أما العامل الثاني، فهو تكريس التخوف من زيادة انخراط "حزب الله" بشكل فعلي في حرب مع إسرائيل وعدم الوقوف عند الحد الراهن من الاشتباكات والهجمات المتبادلة، وذلك انطلاقًا من قناعة أن حركة حماس قد استطاعت في هجوم السابع من أكتوبر إحداث أضرار جسيمة بإسرائيل على المستويات كافة، وهي الأقل تدريبًا وتسليحًا بكثير من "حزب الله"، فماذا يمكن أن يحدث إذا ما اندلعت هذه الحرب معه وهو يملك قوات أكثر تدريبًا تتمثل في "قوات الرضوان" التي تعد قوات النخبة لديه، وأسلحة أكثر تطورًا، تشمل عشرات الآلاف من الصواريخ، منها الصواريخ الموجّهة التي لا تمتلكها حركة حماس.

4. زيادة تكلفة الحرب على إسرائيل و حلفائها :

سعت إيران ووكلاؤها إلى رفع تكلفة الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة ماديًا وبشريًا على إسرائيل، وزيادة التكلفة المادية وأحيانًا البشرية على الحلفاء الرئيسيين لإسرائيل في هذه الحرب وتحديدًا الولايات المتحدة الأمريكية. ويعد هذا النمط من أهم أنماط الاشتباك الإيراني مع حرب غزة؛ بالنظر إلى تأثيره الواسع في إسرائيل وحلفائها وربما منطقة الشرق الأوسط بأكملها، وتعدد المسارح التي تُنفذ من خلالها العمليات واجتماع أكثر من وكيل إيراني في تنفيذ هذا النمط بشكل متشابك ومتزامن على عكس أنماط أخرى كان لوكيل واحد أو اثنين التأثير الأكبر فيها، فضلًا عن امتلاك وكلاء إيران القدرة على الاستمرار فيه لأطول فترة ممكنة، بل وإظهارهم قدرة على المرونة والتصدي للعمليات المضادة له.

ويتحقق هذا النمط العملياتي من خلال ما يلي:

- شل الاقتصاد الإسرائيلي: فقد تسببت العمليات العسكرية التي يقوم بها "حزب الله" في الجبهة الشمالية لإسرائيل في نزوح عشرات الآلاف من المستوطنين من مستوطنات شمال إسرائيل وهضبة الجولان المحتلة، مثلما تمت الإشارة إليه سابقًا، وهو أمر يفرض تكاليف إضافية على الحكومة الإسرائيلية، لأنها أعادت تسكين هؤلاء النازحين في أماكن إقامة بديلة. ويؤدي استمرار هذه العمليات إلى عرقلة عودة هؤلاء النازحين إلى مستوطناتهم، الأمر الذي يؤدي إلى شل قطاعات من الاقتصاد الإسرائيلي والتسبب في خسائر مباشرة تضاف إلى الخسائر المباشرة وغير المباشرة التي تتسبب فيها الحرب منذ السابع من أكتوبر بطبيعة الحال على الاقتصاد الإسرائيلي. فقد طالت الخسائر الناجمة عن فتح الجبهة الشمالية مع "حزب الله" قطاعات الزراعة والصناعة والسياحة، وخاصة قطاع الزراعة بالنظر إلى أن هذه المنطقة تتسم بطبيعتها الزراعية بشكل أكبر، ويؤدي استمرار العمليات العسكرية إلى الإضرار بالمزارع الموجودة بها وتلف المحاصيل ووقف الإنتاج.

- فرض حصار على إسرائيل: يقوم هذا النمط على مهاجمة المصالح التجارية الإسرائيلية لتقويض الاقتصاد الإسرائيلي وفرض عملية أشبه بالحصار الاقتصادي على تل أبيب، وهو ما عبر عنه بوضوح المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران "علي خامنئي" في خطاب يوم 1 نوفمبر 2023، قال فيه: "يجب إغلاق مسارات صادرات النفط والغذاء إلى النظام الصهيوني". وقد انخرطت في هذا النمط العملياتي حركة أنصار الله الحوثي بشكل أساسي من خلال عملياتها التي بدأت في 19 نوفمبر 2023 بالسيطرة على السفينة "جالاكسي ليدر" المملوكة لرجل أعمال إسرائيلي، ثم توالت بعد ذلك الهجمات الحوثية على السفن الإسرائيلية، وتطورت لتشمل الهجوم على أي سفينة شحن متجهة إلى إسرائيل أيًا كانت جنسيتها قائلة "أي سفينة متجهة إلى الكيان الصهيوني ستكون هدفًا مشروعًا"، وهو ما بدأ عمليًا في 12 ديسمبر 2023 باستهداف سفينة النفط النرويجية "إستريندا" التي كانت متجهة إلى إسرائيل، وقد أدت هذه العمليات إلى انخفاض النشاط التجاري في الموانئ الإسرائيلية بشدة.

- استهداف سفن حلفاء إسرائيل: بدأ هذا النمط بعد إعلان الولايات المتحدة تشكيل تحالف "حارس الازدهار" في 18 ديسمبر 2023، بهدف التصدي للهجمات الحوثية التي تستهدف السفن التجارية من إسرائيل وإليها عبر البحر الأحمر، فهدد الحوثيون بمهاجمة سفن الدول المشاركة فيه واستهداف ملاحتها ومصالحها. وقد بدأت العمليات الحوثية التي تستهدف السفن الأمريكية وغيرها من الدول المشاركة في التحالف أو المساندة لإسرائيل في يناير 2024، ومنها استهداف الحركة لسفينة أمريكية في البحر الأحمر، قالت إنها تقدم الدعم لإسرائيل يوم 10 يناير 2024. وكذلك شاركت إيران رمزيًا في هذا النوع من الهجمات من خلال سيطرتها على ناقلة نفط أمريكية قبالة سواحل عمان يوم 11 يناير 2024. ويسهم هذا النمط في زيادة الأعباء الاقتصادية على الدول الداعمة لإسرائيل في حربها على غزة من عدة نواحٍ، منها: زيادة تكلفة رحلات الشحن الخاصة بشركات هذه الدول للجوئها إلى اتخاذ مسار بديل للبحر الأحمر وكذا زيادة تكلفة التأمين على هذه السفن، يضاف إلى ذلك التكلفة العسكرية الخاصة بالعمليات التي تنفذها هذه الدول ضد الحوثيين لوقف هجماتهم المهددة للملاحة في البحر الأحمر.

- استهداف الوجود الأمريكي بالمنطقة: كثف وكلاء إيران هجماتهم على القواعد الأمريكية في العراق وسوريا على اعتبار أن ذلك قد يمثل ضغطًا على الولايات المتحدة يدفعها إلى الضغط على إسرائيل لوقف الحرب على غزة وسرعة التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار. وقد كان هذا النمط حاضرًا دائمًا في معادلة الاشتباك الأمريكية الإيرانية وخاصة بعد اغتيال قائد فيلق القدس بالحرس الثوري الإيراني الجنرال "قاسم سليماني" في يناير 2020، وهو أحد الأسباب التي ربما دفعت الولايات المتحدة إلى التفكير في فك الارتباط بالمنطقة، وتركيز الاهتمام على مناطق أخرى من العالم ذات أهمية للمصالح الاستراتيجية الأمريكية. ولذلك، نجد أن الفصائل المسلحة في العراق وسوريا الموالية لإيران زادت من هجماتها على القواعد الأمريكية في كلا البلدين، فبلغت حسب إحصاء المقاومة الإسلامية في العراق فقط وحتى 25 أبريل 2024 نحو 90 هجومًا في العراق و65 هجومًا في سوريا، فيما قال البنتاجون إن عدد الهجمات على القواعد في العراق وسوريا بلغ أكثر من 150 هجومًا حتى 22 يناير 2024. وبالإضافة إلى أن الهجمات قد زادت عددًا، فإنها كذلك قد زادت من حيث الجرأة، وصولًا إلى استهداف قاعدة البرج 22 بالأردن على الحدود مع سوريا في 28 يناير 2024؛ مما أسفر عن مقتل ثلاثة عسكريين أمريكيين وإصابة 34 آخرين، قبل أن تلتزم الفصائل بهدنة بالاتفاق مع إيران واستبدالها الهجمات المتواصلة على القواعد الأمريكية بهجمات متفرقة بين حين وآخر تحسبًا لرد الفعل الأمريكي.

ثانيًا: المحددات والدوافع

ارتكز دور إيران ووكلائها في حرب غزة وانخراطهم من خلال الأنماط العملياتية المختلفة على مجموعة من المحددات الحاكمة لهذا الانخراط والتي تسعى طهران إلى عدم تجاوزها، وهي المحددات التي ترتبط بشكل أساسي بالدوافع التي انخرط من أجلها إيران ووكلاؤها في هذه الحرب بالأساس. **ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:**

1. الإسناد دون التورط:

يتمثل المحدد الأساسي لانخراط إيران ووكلائها في حرب غزة في العمل على ضمان ألا يؤدي هذا الانخراط إلى اندلاع حرب تتورط فيها إيران بشكل مباشر ومن ثَمّ وكلاؤها بما يرتب تداعيات بالغة الخطورة عليهم وعلى المنطقة برمتها؛ إدراكًا لأن هذه الحرب وإن اندلعت بالصورة التي تعني تدخلًا إيرانيًا مباشرًا لن تكون حربًا إيرانية-إسرائيلية، وإنما ستكون حربًا تواجه فيها إيران الولايات المتحدة بشكل مباشر، وهو أمر تدرك إيران هي والولايات المتحدة خطورته، ولذلك يمكن القول إن كلا الداعمين الأساسيين لطرفي الحرب لا يريدان التدخل المباشر فيها.

وبناءً على ذلك، كان هناك تدخل إيراني لضبط حدود المواجهة ما دون الحرب في أكثر من مرة، منها التدخل ما بعد استهداف الفصائل العراقية لقاعدة البرج 22 الأمريكية بالأردن؛ مما أسفر عن تهدئة استمرت نحو شهرين بشكل كامل، وجعلت العمليات التي تستهدف القواعد الأمريكية في العراق وسوريا تتم بصورة غير منتظمة على عكس ما كان سابقًا. أما التدخل الأبرز على الإطلاق، فهو الصورة التي تم عليها الرد الإيراني يوم 13 أبريل 2024 على استهداف إسرائيل لقنصليتها بدمشق يوم 1 أبريل 2024، والذي أدى إلى مقتل عدة قادة إيرانيين أبرزهم العميد "محمد رضا زاهدي" (مسئول عمليات الحرس الثوري الإيراني بسوريا ولبنان).

وعلى الرغم من هذا التخوف الإيراني من اندلاع الحرب وبذل كل الجهد للبقاء فيما دون الحرب، فإنه لم يكن بمقدور إيران تجاهل هذه الحرب أو عدم القيام بدور فيها سواء مباشرة أو من خلال وكلائها، لما لذلك من تأثيرات آنية ومستقبلية على جوهر العقيدة التي قام عليها محور المقاومة وعلى مدى ثقة الوكلاء في إيران بعد ذلك، إضافة إلى التأثير على مبدأ مهم من مبادئ المحور وهو مبدأ "وحدة الساحات" الذي جرى التأكيد عليه أكثر من مرة، خاصة بعدما دعا القائد العسكري لكتائب عز الدين القسام "محمد الضيف" في كلمته المسجلة يوم 7 أكتوبر 2023 قائلًا: "يا إخواننا في المقاومة الإسلامية، في لبنان وإيران واليمن والعراق وسوريا، هذا هو اليوم الذي تلتحم فيه مقاومتكم مع أهلكم في فلسطين، ليفهم هذا المحتل الرعديد أنه قد انتهى الزمن الذي يعربد فيه، ويغتال العلماء والقادة".

ولكن يبقى تطبيق هذا المبدأ في حدوده الدنيا أكثر من كونه تطبيقًا فعليًا، ولا سيّما وأن تقارير قد أشارت إلى أن المرشد الأعلى "علي خامنئي" قد أبلغ رئيس المكتب السياسي لحركة حماس "إسماعيل هنية" خلال زيارته طهران في مطلع نوفمبر 2023 أن إيران لن تدخل الحرب نيابة عن الحركة، لأن الأخيرة لم تبلغهم بالهجوم. وذكرت تقارير أخرى أن "خامنئي" أمر قادته العسكريين بممارسة الصبر الاستراتيجي لتجنب المواجهة المباشرة مع الولايات المتحدة. وفي المقابل، ربما استغلت إيران حرب غزة ودورها ومحور المقاومة فيها على هذا النحو لإظهار أهمية ذلك المحور من حيث التماسك والقدرات.

2. تعزيز النفوذ الإقليمي لإيران:

تنطلق إيران في دورها وتدخلاتها في حرب غزة على النحو المبين سلفًا وبالصورة التي تبقى فيما دون الحرب من دافع مهم بالنسبة لها وهو الرغبة في استغلال تلك الحرب لتعزيز نفوذها الإقليمي، وذلك من خلال إظهار قيادتها لمحور المقاومة وقدرتها في التأثير في معطيات الحرب وفي أي تحرك جيوسياسي في منطقة الشرق الأوسط من خلال وكلائها وبالصورة التي تحددها؛ مما يكسبها أوراق قوة كبيرة في أي من ملفات المنطقة، على اعتبار أن قوة هؤلاء الوكلاء أو قوة محور المقاومة إنما تصب في المحصلة في القوة السياسية والعسكرية لإيران. يضاف إلى ذلك أن هذا الدور الإيراني يظهر طهران بمظهر المدافع عن القضية الفلسطينية، ويحقق لها مجموعة من الأهداف الاستراتيجية التي تخدم الركائز الأيديولوجية لإيران وأهدافها الإقليمية؛ إذ يمثل هذا الدور تطبيقًا لشعارات الثورة الإسلامية التي تمحورت حول العدل والمساواة والحرية ونصرة المستضعفين في كل مكان ومواجهة القوى الاستكبارية، وهو ما يتيح لها فضاءات تمددية انطلاقًا من أن فلسطين أيديولوجيا في حد ذاتها تلتف حولها مختلف المواقف وتستغلها إيران في الترويج لها.

ويؤدي كل ذلك إلى ثقل مكانة إيران الإقليمية بشكل قد تستغله طهران لتضع لها مكانًا في اليوم التالي للحرب وتفرض نفسها طرفًا أساسيًا من أطراف إدارة الصراع أو أحد الوسطاء الإقليميين فيه انطلاقًا من دعمها لفصائل المقاومة الفلسطينية من جانب ومكانتها الإقليمية من جانب آخر. وعلاوة على ذلك كله، قد يكون الانشغال العالمي بحرب غزة وبإيران من زاوية دعمها ووكلائها لفصائل المقاومة الفلسطينية فقط أعطى الفرصة لإيران للتركيز على برنامجها النووي وإحراز تقدم فيه بعيدًا عن الرقابة الدولية.

3. الحصول على مكاسب فردية:

توجد مجموعة من المحددات الفردية الخاصة التي دفعت كل وكيل من وكلاء إيران للانخراط في جهود إسناد فصائل المقاومة الفلسطينية في الحرب، أملًا في أن يؤدي هذا الانخراط إلى نتائج تعود بالنفع على هذا الوكيل مستقبلًا أو تحقق له أحد الأهداف المهمة بالنسبة له، وهو ما ينطبق على كل الوكلاء المنخرطين في الحرب تقريبًا، وذلك على النحو التالي:

- "حزب الله": ويرى في المواجهة الدائرة بين الفصائل الفلسطينية وإسرائيل فرصة من شأنه استثمارها لتضاف إلى رصيده الذي راكمه خلال الأشهر الأخيرة ما قبل السابع من أكتوبر فيما يتعلق بالمواجهة مع إسرائيل لتحقيق هدفه، وهو التوصل إلى اتفاق لترسيم الحدود البرية مع إسرائيل، وهو الهدف الذي كانت من أجله كل التحركات العسكرية على الحدود خلال الشهور التي سبقت طوفان الأقصى. ولمّا كان تلويح "حزب الله" بما يمتلكه من قدرات عسكرية ذات تأثير كبير في إسرائيل سببًا أساسيًا من أسباب التوصل إلى اتفاق لترسيم الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل، يرى "حزب الله" في إسناده لفصائل المقاومة الفلسطينية وكذلك تصعيد التوترات مع إسرائيل فرصة لتأكيد قوته بما يخدم هدفه ما بعد الحرب بالتأكيد أن التوصل إلى اتفاق لترسيم هذه الحدود سيُعد ضمانة للاستقرار،

وهو أمر قد تشجعه الولايات المتحدة، وكان محل نقاشات خلال لقاءات لمبعوث الرئيس الأمريكي "عاموس هوكشتاين" في لبنان.

- الفصائل العراقية: يتمثل الهدف الأساسي للفصائل المسلحة العراقية الموالية لإيران في إنهاء الوجود الأمريكي في العراق، وقد استغلت هذه الفصائل حرب غزة لتكثيف استهداف القواعد الأمريكية في العراق وسوريا للضغط من أجل تحقيق هذا الهدف. ونجد في هذا الإطار أن هذه الفصائل قد هدأت نسبيًا من هذا الاستهداف قبيل زيارة رئيس الوزراء العراقي "محمد شياع السوداني" إلى واشنطن في منتصف أبريل 2023 حتى لا يؤثر في نتائج الزيارة التي كانت تناقش ضمن ملفاتها مسألة انسحاب القوات الأمريكية من العراق، ولمّا لم تنجح الزيارة في تحقيق أهدافها عادت الفصائل المسلحة مجددًا إلى استهداف القواعد الأمريكية.

- الحوثيون: تستغل حركة أنصار الله الحوثي هجماتها التي تستهدف إسرائيل أو تستهدف سفن إسرائيل وحلفائها في البحر الأحمر لتعزيز القبول الشعبي لها في الداخل اليمني، ولا سيّما أن القضية الفلسطينية بطبيعة الحال تعد قضية جامعة للعرب، وبالتالي فإن رؤية اليمنيين للحوثيين يدافعون -ولو نظريًا- عن غزة، ويساندون فصائل المقاومة بها، قد يعزز قبولهم للحركة ومكانتها في داخل اليمن ومستقبله، وبخاصة وأن هذا القبول أو الرضا الشعبي عن الحركة قد تراجع كثيرًا بفعل عدم قدرتها على حل مجموعة من المشكلات المستعصية في مناطق سيطرتها باليمن، ومنها مسألتي رواتب الموظفين وتردي الخدمات. يضاف إلى ذلك أن هذه العمليات التي ينفذها الحوثيون تؤدي إلى إثبات قوة الحركة كقوة لا يمكن تخطيها في أي معادلات تخص مستقبل اليمن، ويمنحها أوراق قوة في أي مفاوضات.

إجمـالًا، سعت إيران ووكلاؤها إلى ممارسة دور داعم لفصائل المقاومة الفلسطينية في حرب غزة، ولكن دون أن ينصرف هذا الدور إلى دعم حقيقي للفصائل، يحول الحرب إلى حرب إقليمية مفتوحة. إلا أن ما قامت به طهران ووكلاؤها خلال هذه الحرب، بالإضافة إلى المواجهة المباشرة ما بين إسرائيل وإيران التي ظهرت في الهجوم الإيراني على إسرائيل يوم 13 أبريل 2024، قد أحدث تغييرات كبيرة في معادلة الاشتباك بالدخول فيما يمكن تسميته "عصر ما بعد الردع"، لأن ما شهدته هذه الحرب لم يبقِ شيئًا لردع أي طرف عن استهداف الطرف الآخر؛ فأسهمت هذه الهجمات في تآكل الردع الذي كان قائمًا بين إسرائيل من جهة وإيران ووكلائها من جهة أخرى وخاصة "حزب الله" بصورة تامة، الأمر الذي قد يقود إلى جرأة أكبر في المواجهة تجعل من احتمالات انفلات الأمور إلى الحرب قائمة وبقوة.

المسارات المختلفة للمساعدات الإنسانية لغزة

تسبب التصعيد الإسرائيلي وعدم وقف الحرب في التدهور التام للأوضاع الإنسانية والمعيشية والأمنية لسكان قطاع غزة، في ظل الانهيار شبه الكامل للقطاع الصحي، وسط تحذيرات أممية ودولية من مخاطر المجاعة. ولما كانت المساعدات الإنسانية هي الوسيلة الوحيدة للتخفيف من حدة الأوضاع الإنسانية المتدهورة، تعددت مساراتها على الرغم من التحديات الجمة التي تواجهها.

لواء. أ.ح.د/ عز الدين عبد الرحمن عوف

مستشار مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة

أكاديمية ناصر العسكرية العليا

أولًا: الأمم المتحدة والمساعدات الإنسانية الفلسطينية

أنشأت الجمعية العامة عام 1975 لجنة الأمم المتحدة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف، عملا بقرارها 3376، وطلبت إليها أن توصي بوضع برنامج تنفيذ من أجل تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه دون تدخل خارجي (الاستقلال والسيادة والعودة إلى دياره). وقد أيدت الجمعية العامة توصيات اللجنة، واستحدثت شعبة حقوق الفلسطينيين لتقوم بمهام أمانة اللجنة، ووسّعت تدريجيًا نطاقها، ورحبت بعقد مؤتمر مدريد للسلام في عام ١٩٩١، وبإعلان المبادئ الصادر في عام 1993، وبالاتفاقات اللاحقة التي توصلت إليها إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، وأيدت الهدف الذي أكده قرار مجلس الأمن رقم (1397) عام 2002 المتمثل في حل الدولتين. كما رحبت بخريطة الطريق التي وضعتها المجموعة الرباعية ومبادرة السلام العربية، ودعت إلى تنفيذها. هذا، وتجدد الجمعية العامة ولاية اللجنة سنويًا، وتعقد يوم 29 نوفمبر من كل سنة اجتماعًا خاصًا للاحتفال باليوم الدولي للتضامن مع الشعب الفلسطيني[1].

هذا، ويعمل مكتب تنسيق الشئون الإنسانية مع الشركاء في الأرض الفلسطينية المحتلة لتحديد أكثر الاحتياجات أهمية واستجابات الخطة وتحديد الميزانيات المطلوبة، وتتركز على الاحتياجات الإنسانية وخطة الاستجابة الإنسانية كجزء من دورة البرامج الإنسانية. إذ يدير هذا المكتب صندوق التبرعات الإنسانية في فلسطين بإشراف من المجلس الاستشاري، وتمويل صندوق التبرعات الإنسانية بغرض تقديم الاستجابة الإنسانية الاستراتيجية المحددة في إطار خطة الاستجابة الإنسانية من خلال التخصيصات المعيارية، مع الاحتفاظ بالمرونة في تخصيص الأموال للأحداث غير المتوقعة. وهو أداة تابعة للأمم المتحدة يديرها مكتب تنسيق الشئون الإنسانية عالميًا، وتتوفر تخصيصات صندوق التمويل المركزي لمواجهة الطوارئ للوكالات التابعة للأمم المتحدة من خلال منحة الاستجابة السريعة، أو من خلال نافذة حالات الطوارئ التي تعاني من نقص التمويل مرتين في السنة[2].

ثانيًا: المساعدات الدولية لغزة في أعقاب الحرب

يشهد الوضع الحالي تحديات كبيرة تقوض وصول المساعدات الإنسانية إلى غزة في أعقاب إغلاق معبر رفح الحدودي، وتحول معبر "كرم أبو سالم" إلى معبر شبه مغلق بسبب العمليات العسكرية. وقد ذكرت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA) أن جميع ملاجئها في مدينة رفح جنوب غزة فارغة، بالرغم من أنه قد تم في الأشهر الأخيرة، استئناف الدعم الأمريكي لها بقيمة 150 مليون دولار كدعم أولي، بالإضافة إلى ما يقرب من 33 مليون دولار كمساعدات إنسانية استجابةً للعنف في الضفة الغربية وغزة. وقد قدمت دول عدة (مثل: مصر، تركيا، الإمارات العربية المتحدة، قطر، الأردن، وتونس) مساعدات إلى غزة.

وقد أفادت الأمم المتحدة بأن حجم المساعدات الإنسانية التي تدخل قطاع غزة قد انخفضت بمقدار الثلثين منذ أن بدأت إسرائيل عملياتها العسكرية في منطقة رفح جنوب القطاع، وأن كمية الطعام والمساعدات الأخرى التي تدخل غزة غير كافية لتلبية الاحتياجات المتزايدة، الأمر الذي أدى إلى زيادة الانخفاض في حجم المساعدات الإنسانية منذ 7 مايو 2024 إلى نسبة 67% بالمقارنة بالنسبة ذاتها قبل اجتياح رفح. وهذه النسب لا تشمل بضائع القطاع الخاص والوقود، ويرجع ذلك إلى إغلاق معبر رفح من ناحية، وعدم القدرة على نقل السلع بشكل آمن ومستمر من خلال معبر "كرم أبو سالم" من ناحية ثانية، ومحدودية عمليات التسليم عبر نقاط الدخول الأخرى من ناحية ثالثة[3].

وبشكل عام، يمكن الوقوف على أهم الممرات والمسارات الإنسانية التي يتم من خلالها إدخال المساعدات إلى قطاع غزة من خلال النقاط التالية:

1. المسارات البرية:

منذ بداية حرب غزة، كان معبر رفح هو المعبر الوحيد المفتوح أمام حركة المسافرين خلال أول يومين من الحرب. ولكن خلال الأسبوعين التاليين، استهدفت إسرائيل الجانب الفلسطيني منه، ليتوقف عن العمل في ظل تنامي الضرر الذي لحق به. وقد شهد الجانب المصري من المعبر تكدس عدد من الشاحنات طيلة عدة أيام انتظارًا لفتح أبوابه، لتتوقف حركته كلية أمام الأفراد والبضائع مع إحكام الحصار الإسرائيلي على القطاع.

ومع تنامي الضغوط الغربية الرامية إلى إخراج الرعايا الأجانب العالقين في غزة، سعت مصر للضغط على إسرائيل كي تسمح بدخول المساعدات الإنسانية للقطاع، واستقبلت مساعدات إنسانية دولية عبر مطار العريش (على بعد 50 كم إلى الغرب). وقد أعلن الرئيس الأمريكي "جو بايدن"، في ختام زيارته لإسرائيل عن فتح المعبر لدخول المساعدات بشرط تفتيشها من قبل السلطات الإسرائيلية في نقطة "نتسانا" (على بعد 40 كم جنوب رفح).

واعتبارًا من 21 أكتوبر 2024، دخلت 20 شاحنة إلى القطاع، ثم ازداد معدل الشاحنات تدريجيًا، ليصل إلى 200 شاحنة بالمتوسط في نوفمبر 2023. وقد دخلت أولى شاحنات الوقود للقطاع في منتصف نوفمبر 2023 بعد شكاوى متكررة من المنظمات الإنسانية بالقطاع من تعطل خدماتها بسبب نفاد الوقود. وفي يناير 2024، دخلت أكثر من 6500 شاحنة متنوعة إلى القطاع. ولاحقًا، سمحت إسرائيل باستخدام معبر "كرم أبو سالم" (على بعد 5 كم إلى الجنوب من معبر رفح) كنقطة تفتيش إضافية، ومن ثم دخلت بعض المساعدات منه على مدار يومين، حيث ضمت 74 شاحنة منها 8 شاحنات وقود، و66 شاحنة مساعدات إغاثية وإنسانية وأدوية وأطعمة ودقيق. كما استقبل مطار العريش الدولي 784 طائرة منذ 12 أكتوبر 2023 حتى يناير 2024، وقد حملت الطائرات على متنها 24 ألف طن مساعدات مقدمة من 48 دولة عربية وأجنبية ومنظمة

إقليمية ودولية. كما دخلت للمرة الأولى47 شاحنة مساعدات برًا من الأردن إلى إسرائيل عبر جسر الملك حسين بالتنسيق مع إسرائيل وبرنامج الأغذية العالمي عبر معبر "كرم أبو سالم" [4].

وبالشراكة مع الهلال الأحمر المصري، قدَّمت هيئة الأمم المتحدة للمرأة في مصر بعض المساعدات الإنسانية التي استهدفت النساء والأطفال في غزة، وأرسلت من خلال قافلة ضمت عدة شاحنات عبر معبر رفح الحدودي ما يزيد على 7 آلاف حقيبة، ضمت مواد أساسية. وبالشراكة مع الهلال الأحمر المصري أيضًا، تم تقديم الدعم للنساء في القطاع تلبية لاحتياجاتهم. ومع استمرار الحرب، يتم تنفيذ خطة استجابة متعددة القطاعات لمدة 6 أشهر، تركِّز على تقديم المساعدات الإنسانية العاجلة ودعم تعزيز التنسيق الإنساني للوفاء باحتياجات النساء والفتيات[5].

2. المسارات الجوية:

قامت القوات الجوية المصرية على مدار أيام الحادي والثلاثين من مارس والأول والثاني من أبريل 2024 بمهامها الإنسانية في إسقاط أطنان من المساعدات الإغاثية بشمال قطاع غزة، بمشاركة إماراتية وأردنية، وقد تم إسقاط أكثر من 100 طن من المساعدات الإنسانية. كما واصلت القوات الجوية المصرية مع نظيراتها تنفيذ طلعاتها من الأردن لإسقاط المساعدات الإنسانية والإغاثية على شمال قطاع غزة. وبالتوازي لذلك، استحدث الأردن ممرًا جويًا لإنزال المساعدات للمستشفيات الميدانية في شمال غزة وجنوبها، وقد تخلل ذلك إنزال جوي إنساني على كنيسة بالقطاع.

كما بدأت الولايات المتحدة في إسقاط وجبات الطعام جوًا على غزة في محاولة لمساعدة السكان؛ لتنضم بذلك إلى دول أخرى مثل فرنسا والأردن ومصر والإمارات. وقد أتى ذلك على خلفية تصريح الرئيس الأمريكي "جو بايدن" بأن المساعدات التي تتدفق إلى غزة "غير كافية على الإطلاق". وقد أصرّ على أن تفتح إسرائيل المزيد من المعابر البرية، وتسهل مرور المزيد من شاحنات الإمداد. كما بحثت مديرة الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID)"سامنثا باور" مع رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو" ووزير الدفاع "يوآف جالانت" وغيرهما ضرورة زيادة دخول المساعدات الإنسانية إلى غزة، بما في ذلك إنزال معونات أمريكية جوًا. وهو ما أتى بدوره على خلفية التحذيرات الأممية من أن المجاعة في قطاع غزة "أصبحت شبه حتمية" [6].

3. المسار البحري:

اقترحت قبرص خلال مؤتمر في باريس توفير ممر إنساني بحري من ميناء لارنكا إلى سواحل غزة، وقد درس وزير الخارجية المقترح وقبله بشرط تفتيش الشحنات من الجانب الإسرائيلي. أما الجانب الفلسطيني، فقد رفض المقترح في البداية لعدم وضوح أهدافه، قبل أن يعلن إخضاعه للدراسة. إذ يتخوف الجانب الفلسطيني من تهجير الفلسطينيين خارج غزة عبر ذلك الممر. اتصالًا بهذا، عرض الجانب البريطاني سفنًا برمائية يمكنها الوصول إلى ساحل القطاع دون بنية تحتية خاصة [7].

وعلى صعيد آخر، في مارس 2024، أعلن "بايدن" عن مشروع لبناء ميناء عائم قبالة سواحل غزة، بهدف إيصال المساعدات عبر البحر إلى القطاع. وهو الإعلان الذي أتى في أعقاب مرور نحو 5 أشهر من الحرب على قطاع غزة، وفي أعقاب تحذيرات أممية من خطر المجاعة، بسبب العقبات التي تحول دون إيصال إمدادات الإغاثة وتوزيعها في أنحاء القطاع. وبشكل عام، يتكون ذلك الميناء من رصيف بحري يخضع للرقابة الإسرائيلية، ويضم منصة في عرض البحر مخصصة لاستقبال السفن الكبيرة، ورصيف مثبت على الشاطئ بتكلفة بلغت 320 مليون دولار. وقد بدأ تشغيله في 17 مايو 2024، واستغرق بناؤه شهرين. وقد تزامن مع تقديم الأسلحة والذخائر للجيش الإسرائيلي؛ مما أثار الشكوك بشأنه. وقد استخدم الممر البحري من قبل عدة دول، بيد أن الرصيف العائم قبالة سواحل غزة يدار من جانب الجيش والبحرية الأمريكية، ويسمح للسفن بتفريغ حمولاتها. ومن المفترض أن يوفر الرصيف ما يصل إلى مليوني وجبة يوميًا لسكان القطاع. ومن المقرر أن يكون الموزعون فلسطينيين محليين تحت إشراف الأمم المتحدة، وأن تفحص جميع السفن القادمة إلى الرصيف العائم مسبقًا لأسباب أمنية [8].

وفي رأيي، يبشّر الميناء العائم بتخفيف الأزمة الإنسانية في القطاع، إلا أنه يشير إلى طول أمد الحرب بالمقارنة بما هو متوقع، خصوصًا أن واشنطن أقنعت رئيس الوزراء الإسرائيلي بفوائد الميناء المتعددة؛ كونه يستوعب مساعدات ضخمة تفوق تلك التي ترسلها منظمات الإغاثة دون تدخل حركة حماس، ويظهر قدرة الإدارة الأمريكية على التأثير في الموقف العام للأحداث على نحو يرضي الحزب الديمقراطي الذي تضم قاعدته أمريكيين مسلمين ومؤيّدين للفلسطينيين. بيد أن الرصيف العائم لن يحل مشكلة توزيع المساعدات داخل غزة خاصة في الشمال، حيث تمنع إسرائيل دخول الشاحنات؛ فقد أدت عمليات التفتيش الإسرائيلية إلى انخفاض ملحوظ في حجمها. والجدير بالذكر أن المساعدات عبر الجو أو البحر لا تصلح أن تكون بديلًا عن المسار البري الذي يعد السبيل الوحيد للوفاء بحجم الاحتياجات الكبير للسكان البالغ عددهم 2.3 مليون شخص.

ختامًا، تواجه المساعدات الإنسانية على اختلاف مساراتها تحديات هائلة، بالنظر إلى التضييق على المعابر من ناحية، وعمليات التفتيش الإسرائيلية من ناحية ثانية، وقيام المستوطنين بإضرام النيران في بعض الشاحنات من ناحية ثالثة. ومع إحكام الحصار الإسرائيلي على القطاع، تتعدد التحذيرات من مخاطر المجاعة وتردي الأوضاع الإنسانية في القطاع. لذا، تصر مصر على موقفها الثابت بشأن ضرورة الوقف الفوري لإطلاق النار في غزة، وتسهيل دخول المساعدات الإنسانية إلى المناطق المتضررة.

المصـــــــــادر

1. لجنة الأمم المتحدة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف، الأمم المتحدة، متاح على: https://www.un.org/unispal/ar/about-unispal/committee/
2. عملية تمويل المساعدات الإنسانية، الأمم المتحدة، متاح على: https://www.ochaopt.org/ar/page/how-humanitarian-aid-funded
3. انخفاض المساعدات الإنسانية لغزة بنسبة الثلثين منذ دخول إسرائيل رفح بحسب الأمم المتحدة، بي بي سي، 30 مايو 2024 متاح على: https://www.bbc.com/arabic/articles/clllqpr4zr5o
4. عبد البصير حسن، لماذا يتعثر وصول المساعدات الإنسانية إلى غزة؟ وما أهم الممرات المستخدمة؟، بي بي سي القاهرة، 8 يناير2024، متاح على: https://www.bbc.com/arabic/articles/c3gy6w5l3pro
5. هيئة الأمم المتحدة للمرأة والهلال الأحمر المصري يُقدّمان المساعدات الإنسانية للنساء والأطفال في غزة، هيئة الأمم المتحدة للمرأة، 4 فبراير 2024، متاح على: https://shorturl.at/HQlkS
6. واشنطن إلى مسار الإنزال الجوي لمساعدات غزة خلال أيام، الشرق، متاح على: https://shorturl.at/8f2RA
7. عبد البصير حسن، مرجع سبق ذكره.
8. ميناء غزة العائم.. رصيف بحري أميركي للمساعدات تحت رقابة إسرائيل، الجزيرة، 30 مايو 2024، متاح على: https://shorturl.at/W3eaC

تهديدات غير تقليدية: لماذا تآكلت القدرة على ردع الفاعلين من غير الدول؟

لقد بذل العلماء والمفكرون الاستراتيجيون الجهود لتكييف نظريات ومفردات "الردع" مع سياق ما بعد الحرب الباردة الذي يختلف تمامًا عن السياق الذي تم فيه تطوير نظرية الردع وسياسته، حيث ركز هيكلُ النظام الدولي ثنائي القطب الذي حافظت فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على سلام غير مستقر خلال الحرب الباردة نظريةَ الردع وسياسته على جوانبه النووية، بينما بدت العمليات النووية فيما بعد الحرب الباردة، أقل واقعية في عالم يتميز بتحديات متنوعة مثل الدول الفاشلة، والإرهاب، والصراع غير المتماثل أو غير النظامي أو صراع "المنطقة الرمادية"، وتهديدات الفاعلين من غير الدول، وكذلك الكوارث الإنسانية، ونزاع الإبادة الجماعية، ومكافحة/عدم الانتشار.. إلخ، وهو ما دفع البعض للتشكك في أهمية الردع بوصفه نهجًا استراتيجيًا، في حين ذهب البعض الآخر للتأكيد على ضرورة أن تركز الأسئلة المعاصرة على ربط الردع بالآثار المرجوة منه،

أ. مهاب عادل

الباحث المتخصص في الشأن الإسرائيلي والأمن الإقليمي، بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية

وبخاصة أن تنوع التحديات اليوم يزيد من تعقيد صياغة استراتيجيات الردع وتراجع فاعليته في بعض الحالات، وهو ما يبدو واضحًا بشكل خاص بالنسبة للفاعلين من غير الدول أو القوات غير النظامية. وفي هذا الإطار، تستهدف هذه الدراسة استعراض العوامل المفسرة لتآكل قدرة ردع الدول في مواجهة التهديدات الهجينة، وإلى أي مدى يمكن التعامل معها وفق استراتيجيات ردع محددة ترتكز على مجموعة واسعة من الأدوات.

أولًا: معضلة الردع وتحدياته المعاصرة

يواجه مفهوم «الردع» في الوقت الراهن العديد من التعقيدات والتحديات، التي تؤدي بدورها إلى تآكل تأثيره، وذلك نتيجة البيئة الأمنية المعقدة وطبيعة التهديدات غير التقليدية التي يشهدها النظام الدولي في الوقت الحالي. فقد بات الردع اليوم أكثر صعوبة، نظرًا لتغير تفاعلات النظام الدولي وطبيعة التهديدات الأمنية، وصعوبة التنبؤ بسلوك الأعداء والخصوم أو قدراتهم العسكرية. ولا شك أن محاولة تطبيق الردع كنموذج دون فهم الخصائص الاجتماعية والثقافية والحكومية والعسكرية المحددة للخصم يمكن أن تكون غير مجدية في أحسن الأحوال وكارثية في أسوأ الأحوال، اعتمادًا على نوايا وقدرات الخصم في الوقت الحالي[1].

كما أن مسألة التهديدات الوجودية لم تعد ضخمة ومرئية ومتناظرة، بل إن تهديدات اليوم منتشرة ومعقدة وغير متماثلة. حتى مصادر التهديدات وأسبابها وأهدافها يصعب تحديدها وتقييمها، وهذا ينطبق على الإرهاب الدولي، وانتشار أسلحة الدمار الشامل، والصراعات الإقليمية والأهلية، إلى جانب جميع المخاطر الأخرى، مثل انهيار الدول، وبروز الفاعلين من غير الدول، والجريمة المنظمة، وتدمير البيئة، والأوبئة، والفقر، وما إلى ذلك. هذا فضلًا عن تأثير العولمة التي جعلت التهديدات والمخاطر متداخلة ولها صلة عابرة للحدود[2].

يأتي هذا كله مع إشكالية الافتقار إلى نظام دولي فعال، وسياسات أمنية تعاونية، وسلطة شرعية لتنفيذ العقوبات وإنفاذها، وهي كلها شروط مسبقة للاستخدام الفعال للردع كأداة سياسية يمكنها التأثير في سلوك الوكلاء. كما برزت جهات فاعلة جديدة وأشكال غير متبلورة من العنف في عالم معولم ومجزأ، مثل الفاعلين من غير الدول والقوات غير النظامية التابعة للتنظيمات الإرهابية، على النحو الذي تضاءلت معه قدرة الدول على الردع. فعلى سبيل المثال، يصعب قياس نوايا الإرهابيين وما يعرف باسم «الدول المارقة» والحركات القومية والدينية المتعصبة والمشاركين في الحروب الأهلية من قوات غير نظامية، ومن ثم، يصعب التأثير فيهم وردعهم.

وفي هذا السياق، تشير بعض الدراسات إلى أن هجمات 11 سبتمبر 2011 جعلت الفاعلين من غير الدول هم التهديد الرئيسي للأمن الدولي وأصبح القضاء على القاعدة والشبكات الإرهابية الأخرى هدفًا للسياسة الخارجية والعسكرية الأمريكية، رغم كونها كيانات غير عقلانية وغير قابلة للاختراق تعمل خارج قوانين الصراع المقبولة[3]. ومن ثم، فإن تطوير طرق لردع الفاعلين من غير الدول يتطلب مزيدًا من البحث، بهدف فهم أهدافها وقيمها، وهو ما يساعد على استهداف ما تقدره من أمور لردعها. وبالتالي، سيتطلب ردع الخصوم الحاليين والمستقبليين مجموعة موسعة من الأدوات التي ستعتمد بشكل أكبر على العناصر الاستخباراتية والدبلوماسية والإعلامية والاقتصادية للقوة الوطنية.

ثانيًا: تآكل الردع في ظل التهديدات غير التقليدية

يُعرّف البنتاغون الأمريكي الحرب غير النظامية بأنها «حملة لطمأنة أو إكراه الدول أو المجموعات الأخرى من خلال أنشطة غير مباشرة أو غير منسوبة أو غير متماثلة»[4]. ويشير ذلك إلى الأنشطة التي تقع تحت مستوى الصراع المسلح التقليدي بين الدول القومية، ويُشار إليها غالبًا أيضًا باسم الأنشطة «الهجينة» أو «المنطقة الرمادية». وهذا النمط من الحروب الذي يتخذ شكل الوكالة، يؤكد على أهمية الشراكات المحلية مع الوكلاء واكتساب الشرعية والنفوذ بين السكان المحليين، بدلًا من تطهير الأراضي أو احتلالها[5].

بينما تشير بعض الأدبيات الأخرى إلى «الحرب غير النظامية» بأنها «صراع عنيف بين الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية من أجل الشرعية والتأثير في السكان المحليين، وغالبًا ما يسعى الفاعلون من غير الدول إلى خلق حالة من عدم الاستقرار وتعطيل وإنكار شرعية الدولة وحوكمتها للسيطرة أو التأثير في السكان ودعمهم»[6]. وفي سبيل تعزيز رسوخ هؤلاء الفاعلين أو القوات غير النظامية في مواجهة أدوات الدول القومية، ولإفقادها القدرة على الردع، تستخدم الأساليب السياسية والنفسية والاقتصادية، معززة بأنشطة عسكرية. وفي هذا الإطار، يُفضل هؤلاء الفاعلون الأساليب غير المباشرة والوسائل غير المتكافئة لتعقيد عملية الردع، حيث تتطلب مواجهة هذه الأساليب عقلية وقدرات مختلفة عن أساليب الحرب التقليدية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا النمط من الحروب لا يقوم به فقط الفاعلون من غير الدول، بل تلجأ إليه أيضًا وأحيانًا الدول الأقل قوة على صعيد القدرات النظامية أو المتماثلة. فعلى سبيل المثال، استخدمت إيران وهي دولة فاعلة للحرب غير النظامية في العديد من العمليات من خلال وكلاء محليين من تنظيمات ومليشيات مسلحة موالية لها في العديد من الصراعات بدول منطقة الشرق الأوسط، لتعزيز استراتيجية الردع الخاصة بها في مواجهة الولايات المتحدة وإسرائيل، حيث لا يستطيع الجيش الإيراني التنافس في قتال متماثل، والإبقاء على صراعها مع تلك القوى دون عتبة الحرب، لذلك تستخدم إيران هؤلاء الوكلاء للقيام بعمليات الحرب غير النظامية التي تعطل أو تتحايل على تدابير الردع الأمريكية[7].

وفي هذا السياق، يُمكن الإشارة إلى عدد من الأنماط والأشكال الحديثة التي تنشط من خلالها الحروب غير النظامية التي تقوّض بدورها قدرة الدول القومية وقواتها النظامية على الردع، وتقود في الأخير إلى فشل الردع وتآكله في مواجهة الفاعلين من غير الدول والقوات غير النظامية التي تعتمد عليها، ومن أبرز هذه الأنماط:

1. الإرهاب الجديد:

تشير بعض الدراسات إلى اشتراك الإرهاب والردع في شيء واحد، وهو خلق الخوف باستخدام العنف في حالة الأول، وباستخدام التهديد بالعنف في حالة الثاني. وفي هذا السياق، ينظر إلى الإرهاب الجديد على أنه تهديد مزعج، لأن الشكل الجديد للحرب غير المتكافئ الذي يجسده يشكل عائقًا أمام استخدام الردع، حيث إن الانتقام الهائل وخطاب الحرب يخدمان عن غير قصد مصالح الإرهابيين فقط [8]. وبالتالي، قد يكون دعم الإرهاب أداة سياسية؛ حيث قد ترغب بعض الدول القومية في استخدام الأنشطة المرتبطة بالإرهاب للتغلب على أوجه القصور التي لا تستطيع تحقيقها عبر أدوات السياسة الأخرى [9].

2. الحروب الأهلية:

ينظر إلى الحروب الأهلية باعتبارها واحدة من التحديات الأمنية الأكثر صعوبة في القرن الحادي والعشرين؛ لأنها تدمر الهياكل التي تجعل من الممكن إجراء تقييم دقيق لأهداف ونوايا أطراف النزاع وكذلك التأثير فيها بتهديدات موثوقة في إطار استراتيجيات الردع. وفي مثل هذه الصراعات، يواجه الردع وضعًا مشوشًا [10]. وبالنظر إلى الحروب الأهلية التي تشهدها المنطقة العربية خلال العقد الأخير، نجد أن معظم هذه الحروب شهدت تصاعدًا في نشاط الفاعلين من غير الدول الذين اعتمدوا على ما يُعرف باسم «تكتيكات الضعفاء» في إطار الحروب غير النظامية التي شُنت ضد الدول المتصارعة معها. وقد تراجعت قدرة تلك الدول على ردع تلك الجهات، حيث كان ينظر إليها على أنها غير عقلانية وغير قابلة للاختراق؛ لأنهم يعملون خارج قوانين الصراع المقبولة [11].

على سبيل المثال، كان التحالف الذي تقوده المملكة العربية السعودية يأمل في أن تتمكن القوة العسكرية وحدها من هزيمة جماعة الحوثيين عندما بدأت حربها في عام 2015، حين حاصرت القوة العسكرية الساحل ودمرت المطارات وقصفت أهدافًا للحوثيين. ومع ذلك، لم يستسلم الحوثيون، وتعثرت مهمة التحالف بسبب عدم وجود استراتيجية سياسية مصاحبة، وتحول الوضع إلى أزمة إنسانية [12]. وهو ما يبرز أيضًا في الوقت الراهن في حالة التصعيد العسكري الذي تقوم به جماعة الحوثي ضد المصالح الأمريكية والإسرائيلية في البحر الأحمر، وهو ما لم تتمكن الولايات المتحدة والقوات المتحالفة معها عبر ضرباتها العسكرية من ردع تلك الهجمات أو تحييدها.

وفي هذا الإطار، يفسر بعض المراقبون عدم فاعلية الردع في مواجهة هؤلاء الفاعلين الذي يتبعون في الغالب «تكتيكات الضعفاء»، نتيجة فشل القوي في ردع الضعيف، حيث تشير إحدى الدراسات العلمية إلى أن ما يقرب من 30%من النزاعات يبدأها الضعيف بهجوم على القوي، وعلى الرغم من احتمال هزيمة أو إبادة الضعيف، تفشل الدول القوية في كثير من الأحيان في ردع الخصوم الأضعف لقوة دوافعهم [13].

ووفقًا لعدد من الدراسات التي ركزت على تحليل هياكل التنظيمات والفاعلين من غير الدول، من ناحية مدى الفاعلية واحتمالات الردع، وذلك اعتمادًا على دراسات الحالة، فإنه يمكن الإشارة إلى ثلاث ركائز تجعل أنشطة هذه التنظيمات والقوات غير النظامية فعالة؛ مما يؤدي إلى تآكل ردع الدول، **وهو ما يمكن إيضاحه على النحو التالي:**

1. الافتقار إلى الجهد والعمل الموحد:

يمثل العمل الموحد الأنشطة المتزامنة والمنسقة والمتكاملة للكيانات الحكومية مع أنشطة الجيش لتحقيق أهداف مشتركة، وهو أمر ضروري لتحقيق الأهداف؛ لأن العقيدة العسكرية الأمريكية تعترف بأن النزاعات نادرًا ما يتم حلها عن طريق العمل العسكري وحده، حيث أن التزامن بين جميع الوكالات المعنية مطلوب لتحقيق هدف مشترك، وأن الافتقار إلى وحدة الجهد ووحدة العمل يضعف بشكل كبير الجهود المبذولة لهزيمة استراتيجية الحرب غير النظامية [14]. فعلى سبيل المثال، أدى غياب التنسيق بن العمل العسكري والسياسي في البلقان واليمن إلى نشاط الفاعلين من غير الدول على غرار تنظيم فيلق القدس، بينما أدى في حالة الاحتلال الأمريكي للعراق إلى بروز العديد من الفاعلين من غير الدول منها المليشيات المسلحة التي تكثر في المشهد العسكري الراهن في العراق. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الفاعلين من غير الدول أدركوا أن الاشتباك العسكري وحده لا يكفي في الحرب الحديثة، وأن ترسيخ أيديولوجية معينة سيتطلب ثقلًا سياسيًا لحكومة الإقليم.

2. الافتقار للإرادة السياسية لمواجهة الفاعلين غير النظاميين:

تواجه استراتيجيات الردع الخاصة بالدول القومية في مواجهة الفاعلين من غير الدول، وبخاصة في الدول ذات الأنظمة الديمقراطية، بعض التحديات المرتبطة بالإرادة السياسية لمواجهة أنشطتهم في إطار الحرب غير النظامية [15]، حيث تقود التكتيكات الموجودة في الحرب غير النظامية إلى مزيد من خسائر الخصم بمرور الوقت، وهو ما يؤدي إلى استمرار التصعيد وفق مفهوم «توماس شيلينج» عن «تكتيكات السلامي»(Salami Tactics) [16]، والتي تعكس تخليًا تدريجيًا من جانب الخصم عن قواعد الردع المحددة تجاه هؤلاء الفاعلين، والتي تؤدي في النهاية إلى استسلام الخصم (الدولة القومية). أيضًا، تشكل عدم الاستدامة السياسية أحد التحديات التي تواجه التحالفات العسكرية في مواجهة هؤلاء الفاعلين [17].

ووفقًا للعقيدة الأمريكية المتعلقة بالحرب غير النظامية، فإن «النقطة الاستراتيجية للحرب غير النظامية هي اكتساب أو السيطرة أو التأثير ودعم السكان المحليين»، وصعوبة تحقيق هذه النقطة الاستراتيجية تقود إلى تعقد ديناميكيات المواجهة خاصة إذا ما كان لهؤلاء الفاعلين حاضنة شعبية كبيرة في المجتمع المحلي، لأن الفاعل الأضعف في الحرب غير النظامية سيسعى إلى خلق عدم الاستقرار وإضعاف شرعية الدولة والحكم وكسب دعم السكان المحليين[18].

ومن ثم، فإن استراتيجية الحرب غير النظامية التي يقابلها خصم يفضل نهجًا تقليديًا ويفتقر إلى الدعم السياسي للتكيف مع الديناميكيات المتغيرة، تؤدي إلى تآكل الإرادة السياسية للدولة؛ حيث تشعر الديمقراطيات أن التأثير الأكبر هو العجز عن تحقيق نتائج تلعب دورًا في الدعم الشعبي الانتخابي، بينما يتطلب التصدي للتهديد غير النظامي استراتيجية قابلة للتكيف، تستخدم جميع عناصر السلطة الوطنية، وتدعمها الإرادة السياسية لتحقيق النصر.

3. اعتماد استراتيجيات ردع الدول في مواجهة الحروب غير النظامية:

تلجأ بعض الدول والفاعلين من غير الدول إلى نمط حروب الوكالة والحروب غير النظامية عبر الوكلاء كإحدى أدوات الردع معتمدة في ذلك على تفعيل قاعدة «الإنكار المعقول» (Plau-sible deniability) لزيادة فاعلية استراتيجيتها، بحيث تتنصل بشكل معقول من أي مسئولية عن العمليات التي يقوم بها هؤلاء الوكلاء، وهو ما يساعد تلك الدول على تعزيز مساحة حركتها وتوفير مرونة لردع الخصم دون عتبة الحرب الشاملة، ولعل المثال الأبرز هنا، ما تقوم به الدولة الإيرانية عبر وكلاءها المحليين في مناطق الهلال الشيعي من عمليات عسكرية تستهدف المصالح الأمريكية والإسرائيلية مع الإبقاء على قاعدة الإنكار التي لا تقود الخصم لتصعيد المواجهة معها[19].

كما يبرز أيضًا الدور الذي تلعبه قوات «فاجنر» العسكرية التابعة لروسيا، والتي تسمح لها بالقيام بالعديد من العمليات التي تستهدف تأمين المصالح الروسية وتعزيز نفوذها في الخارج مع الإبقاء في الوقت نفسه على قاعدة التنصل والإنكار لهذه العمليات. إذ تريد الدول التي تتبنى هذا النمط أن تظهر أنه بدلًا من منافسة الفوز والخسارة، فإنه يمكن تحويل هذا إلى ديناميكية خاسرة للجميع، وهو ما يتحقق معه الردع، وبخاصة أن الرد على هذه الأنشطة يجلب معه التصعيد المحتمل والحرب الشاملة [20].

على سبيل المثال، في اليمن، تمكن تنظيم فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، إبان الحرب العسكرية التي كانت تقودها المملكة العربية السعودية ضد الحوثيين، من تطوير الأسلحة التي يتسلمها الحوثيون، وزيادة حجم الهجمات على الأهداف السعودية، وتراجعت قدرة التحالف الذي كانت تقوده السعودية على ردع تلك الهجمات، وهو ما أرجعه بعض المراقبين إلى غياب الفعل الجماعي من المجتمع الدولي لردع جماعة الحوثي دون تحميل إيران المسئولية، وكذلك عدم اهتمام بعض الفاعلين بالصراع ما دام معزولًا عن مصالحهم المباشرة[21].

ختامًا، يُمكن القول إن استمرار تعقد البيئة الدولية الأمنية وتصاعد التهديدات الهجينة التي باتت تمثل إحدى أدوات الردع التي تعتمدها الدول من أجل حماية مصالحها وموازنة نفوذ خصومها دون عتبة الحرب الشاملة، هذا بالإضافة إلى بروز تحديات جديدة واتساع نطاقها على غرار ظاهرة الإرهاب الجديد والحروب الأهلية، أدى إلى تآكل قدرة الدول القومية على ردع القوات غير النظامية التي تعمل في إطار التنظيمات والفاعلين من غير الدول وكذلك التنظيمات الهجينة[22]. ومع تسارع التطور التكنولوجي، ستتآكل قدرة الدول على ردع هؤلاء الفاعلين القادرين على شراء أدوات الذكاء الاصطناعي المتطورة؛ مما قد يمدهم بطرق جديدة ومبتكرة لإكراه الأقوياء ومواجهتهم [23]. وينطبق المنطق ذاته على التنظيمات الإرهابية والجماعات المسلحة القادرة على شراء الذكاء الاصطناعي وتعديله واستخدامه للاستفادة من أشكال جديدة من الإكراه غير المتماثل.

هذه التغييرات وتنوع التحديات تزيد بدورها من تعقيد صياغة استراتيجيات الردع، حيث تجعل من الصعب إدراك التهديدات المشتركة والاتفاق على خطط السياسة الأمنية. وبعبارة أخرى، يجب أن يكون الردع، كأي استراتيجية، محددًا لسياق التهديد وخصائصه، وذلك من خلال ركائز محددة؛ منها إجراء مزيد من البحث لتطوير فهم دوافع الفاعلين من غير الدول، وتشكيل بعض المواقف دون اللجوء إلى الصراع المتأصل في تفاعلات الردع، وقيام صانعي القرار بتحديد أدوات الردع المناسبة التي تعمل بالتنسيق مع الإعداد العسكري، وتعزيز القدرة على تقييم سلوك الخصم والتحركات المضادة المحتملة لضمان نجاح الردع؛ فبدون تدابير التقييم هذه، سيظل الردع بناءً نظريًا لا علاقة له بظروف الخصوم الفعلية[24].

المصـــــــادر

1. Anthony C. Cain, Deterrence in the Twenty-first Century, In: Anthony C. Cain (ed.), Deterrence in the twenty-first century: U.S. Department of Defense proceedings, 18–19 May 2009, pp. 297 - 301, Available at: https://media.defense.gov/2017/Apr/05/2001727306/-1/-1/0/B_0118_DETERRENCE_TWENTYFIRST_CENTURY.PDF
2. Kaus-Dieter Schwarz, The Future of Deterrence, Stiftung Wissenschaft und Politik (SWP) German Institute for International and Security Affairs, June 2005, Available at: https://www.swp-berlin.org/en/publication/the-future-of-deterrence
3. Adam Lowther, Framing Deterrence in the Twenty-first Century: Conference Summary, In: Anthony C. Cain (ed.), Deterrence in the twenty-first century: proceedings, U.S. Department of Defense, 18–19 May 2009, pp. 1- 15, Available at: https://media.defense.gov/2017/Apr/05/2001727306/-1/-1/0/B_0118_DETERRENCE_TWENTYFIRST_CENTURY.PDF
4. Alexander Noyes and Daniel Egel, Winning the Irregular World War, RAND, Nov 6, 2023, Available at: https://www.rand.org/pubs/commentary/2023/11/winning-the-irregular-world-war.html
5. I Bid.
6. Christopher B. Smith, The Quds Force Model: What Makes Irregular Warfare Effective in Asymmetric Conflict, Naval postgraduate school, California, 2020, Available at: https://apps.dtic.mil/sti/citations/AD1127101
7. Iran Action Group, Outlaw Regime: A Chronicle of Iran's Destructive Activities, U.S. Department of State, September 25, 2018, Available at: https://2017-2021.state.gov/outlaw-regime-a-chronicle-of-irans-destructive-activities-2018/
8. Kaus-Dieter Schwarz, Op.cit.
9. Daniel L. Byman, How terrorism helps – and hurts – Iran, Brookings, January 6, 2020, Available at: https://www.brookings.edu/articles/how-terrorism-helps-and-hurts-iran/
10. Kaus-Dieter Schwarz, Op.cit.
11. Adam Lowther, Op.cit.
12. Christopher B. Smith, Op.cit.
13. Adam Lowther, Op.cit.
14. Christopher B. Smith, Op.cit, pp.145-146.
15. D. Scott Bennett and Allan C. Stam, The Declining Advantages of Democracy: A Combined Model of War Outcomes and Duration, The Journal of Conflict Resolution, Vol. 42, No. 3, 1998, pp. 344-66, Available at: http://www.jstor.org/stable/174518.
16. Christopher B. Smith, Op.cit, pp.139-141.
17. I Bid.
18. I Bid.
19. Thomas Seibert, Deniability Risky Tack in Iran's Foreign Policy as U.S. Mulls Strike, The Arab Weekly, September 21, 2019. Available at: https://thearabweekly.com/deniability-risky-tack-irans-foreign-policy-us-mulls-strike
20. I Bid.
21. Christopher B. Smith, Op.cit.
22. يشير مفهوم "التنظيمات الهجينة" إلى الفاعلين المسلحين من غير الدول الذين يتميزون بطبيعة مركبة أو هجينة، حيث تستند هذه التنظيمات في هذه الحالة إلى أكثر من هوية، وتقوم بعدة أدوار في الوقت نفسه، ويمثِّل "حزب الله" في لبنان وجماعة الحوثي في اليمن نموذجين لذلك. إذ تصنف بكونها تنظيمات مسلحة من غير الدول، ومن ناحية أخرى، تمتلك قدرات عسكرية كبيرة، ولديها أجهزة تنفيذية وإدارية ضخمة، وتتولى إدارة المناطق الواقعة تحت سيطرتها، كما أن لها أجهزتها ومؤسساتها الإعلامية، وتنتهج سياسة خارجية خاصة بها.

انظر: حسنين توفيق إبراهيم، الفاعلون المسلحون من غير الدول: الوضع الراهن وآفاق المستقبل، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، 26 أكتوبر 2021، متاح على:/https://www.idsc.gov.eg/Article/details/6238
23. Alex Wilner, AI and the Future of Deterrence: Promises and Pitfalls, The Centre for International Governance Innovation (CIGI), November 28, 2022, Available at: https://www.cigionline.org/articles/ai-and-the-future-of-deterrence-promises-and-pitfalls/
24. Anthony C. Cain, Op.cit.

تقـــــارير

يناقـش قسـم "تقاريـر" أحـد التطـورات اللافتـة علـى صعيـد الحـرب الروسـية-الأوكرانية، والمتمثـل فـي التهديـدات الروسـية المتكـررة باسـتخدام الأسـلحة النوويـة غيـر الاسـتراتيجية (التكتيكيـة)، ومـا يتصـل بهـا مـن تدريبـات عسـكرية روسـية تُسـتخدم فيهـا أسـلحة نوويـة غيـر اسـتراتيجية. كمـا يناقـش أيضًـا "مبـادرة إسـطنبول للتعـاون" (ICI) بعـد مـرور عقديـن عليهـا؛ ولا سـيما أنهـا كانـت أحـد مخرجـات قمـة حلـف الناتـو التـي عُقـدت فـي تركيـا عـام 2004 لإرسـاء نمـط جديـد مـن الشـراكة مـع دول الخليـج عمـاده الحـوار السياسـي والتعـاون الأمنـي والدفاعـي. وأخيـرًا، يسـلط هـذا القسـم الضـوء علـى التطـورات الهائلـة التـي أحدثهـا الـذكاء الاصطناعـي فـي المجـال العسـكري.

التهديدات الروسية بالأسلحة النووية التكتيكية: بين الردع والتكتيك والتصعيد

في مايو عام 2024، أعلنت وزارة الدفاع الروسية أن قواتها بدأت المرحلة الأولى من مناورات عسكرية تتضمن تدريبًا عمليًا على تجهيز الأسلحة النووية غير الاستراتيجية (التكتيكية) واستخدامها في المنطقة العسكرية الجنوبية التي تتكون من: مناطق روسية في الجنوب، وشبه جزيرة القرم التي تم ضمها من أوكرانيا في عام 2014، وأربع مناطق أوكرانية احتلتها روسيا بشكل جزئي في عام 2022. كما أعلنت وزارة الدفاع الروسية في بيان أن التدريبات تهدف إلى رفع جاهزية أفراد ومعدات الوحدات المعنية بالاستخدام القتالي للأسلحة النووية التكتيكية، بهدف مواجهة أي تهديدات وضمان سلامة أراضي الدولة الروسية وسيادتها من دون قيد أو شرط، وأن التحرك الروسي غير المسبوق بحجمه ومضمونه يعد "ردًا على التصريحات الاستفزازية والتهديدات الصادرة عن بعض المسئولين الغربيين ضد روسيا".

لواء.أ.ح.طيار/عماد عبد المحسن

مستشار مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة

أكاديمية ناصر العسكرية العليا

وقد سبق أن أمر الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" بإطلاق تدريبات عسكرية تُستخدم فيها أسلحة نووية غير استراتيجية، في خطوة وُصفت بأنها التحذير الأقوى في مضمونه ورد قوي على تلويح بلدان غربية باحتمال إرسال قوات إلى أوكرانيا والانخراط بشكل مباشر في الصراع في أوكرانيا [1].

وكان المتحدث باسم الرئاسة الروسية "ديمتري بيسكوف" قد أكد أن تصريحات الرئيس الفرنسي "إيمانويل ماكرون" ومسئولين بريطانيين وأعضاء بمجلس الشيوخ الأمريكي هي ذات الصلة باستعدادهم وحتى نيتهم إرسال قوات مسلحة إلى أوكرانيا؛ مما يعني عمليًا وضع جنود حلف شمال الأطلسي (الناتو) أمام الجيش الروسي، بدء مرحلة جديدة تمامًا من تصعيد التوتر، وتتطلب اهتمامًا وإجراءات خاصة من جانب روسيا [2].

أولًا: تطورات العقيدة النووية الروسية

حدثت تطورات كثيرة للعقيدة النووية الروسية المحددة لاستخدامات السلاح النووي خلال العقود القليلة الماضية، نتيجة لتطور الأسلحة الغربية التقليدية من حيث الدقة وقوة التدمير مقابل قصور التسليح الروسي في ذات المجال. ففي عقد الثمانينيات، كان لدى السوفيت عقيدة مفصلة لاستخدام الأسلحة النووية تضمنت: المبادرة بالضربة الأولى، وضمان التفوق الكمي، واستهداف كل القوى المضادة، وإجراء عمليات معاونة من كل أفرع القوات المسلحة لاستكمال الضربات النووية.

صاروخ اسكندر

وفي نوفمبر 1993، أصدر الرئيس الروسي الأسبق "بوريس يلتسن" وثيقة "الأحكام الرئيسة للعقيدة العسكرية الروسية" [3]، والتي حددت مهمة الأسلحة النووية بأنها "إزالة خطر الحرب النووية عن طريق ردع الدول الأخرى عن شن عدوان على روسيا الاتحادية وحلفائها" [4]، وأشارت إلى إمكانية استخدام السلاح النووي حتى في صراع محدود من الممكن أن يتصاعد إلى حرب عالمية، وإمكانية استخدامها في تبادل نووي شامل غير مقيد، وهذا يمثل جوهر الردع في أي صراع.

وقد بدأت روسيا في تطوير الصواريخ البالستية قصيرة المدى، لتتتوج جهودها في النهاية بصاروخ إسكندر البالستي قصير المدى الذي تم اعتماده عام 2006. وبحلول عام 2019، كان لدى روسيا ما بين 10 إلى 12 لواء إسكندر في جميع أنحاء البلاد. ومع نجاح تلك المنظومة بدأ الاستراتيجيون الروس في مراجعة عقيدتهم النووية ومناقشة أهمية الردع غير النووي أو "ما قبل النووي" وحاجة الجيش الروسي إلى قدرات تقليدية متقدمة دقيقة، يمكنها أن تسهم بشكل فعال في ردع التهديدات التقليدية دون الحاجة إلى استخدام الأسلحة النووية إلا في حالات الضرورة القصوى. ومن ثَمّ، بدأ الجدل الروسي حول فائدة الأسلحة النووية، وفرقت القيادة العسكرية الروسية بين الحروب المحلية والإقليمية والحروب واسعة النطاق.

وفي عام 2000، أصدر "بوتين" وثيقة جديدة تحدد -من وجهة نظره- العقيدة النووية الروسية التي احتوت على بعض التغييرات الدقيقة والمهمة، **وكان أبرز ما ورد فيها ما يلي:**

- يعد الاتحاد الروسي الأسلحة النووية وسيلة لردع أي عدوان، وتضمن تحقيق الأمن العسكري لروسيا وحلفائها والحفاظ على الاستقرار والسلام الدوليين.
- يحتفظ الاتحاد الروسي بالحق في استخدام السلاح النووي ردًا على استخدام الأسلحة النووية أو أسلحة الدمار الشامل الأخرى ضده أو ضد حلفائه، وأيضًا ردًا على أي عدوان بأسلحة تقليدية واسعة النطاق يهدد أمن روسيا القومي وحلفائها.
- لن يستخدم الاتحاد الروسي الأسلحة النووية ضد الدول الأعضاء في معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية التي لا تمتلك أسلحة نووية، إلا في حالة الغزو أو أي هجوم آخر ضد الاتحاد الروسي أو أراضيه أو قواته المسلحة أو غيرها [5].

ثانيًا: لماذا هددت موسكو باستخدام السلاح النووي؟

جاءت ردود فعل روسيا المتكررة بشأن الأسلحة النووية التكتيكية في سياق عدة تطورات، منها تلويح دول أوروبية بنشر قوات في أوكرانيا؛ فقد قال "ماكرون" في مايو 2024: "إنه لم يعد ممكنًا استبعاد مبدأ نشر قوات فرنسية في أوكرانيا". وفي السياق ذاته، قال قائد رئيس الأركان الفرنسي، في مقال نشرته صحيفة "لوموند" الفرنسية في مارس 2023، إن جيش بلاده جاهز ويستطيع إرسال فرقة (20 ألف فرد) إلى أوكرانيا خلال 30 يومًا [6]. كما أعلن وزير الخارجية البريطاني أنه يترك لكييف تحديد أوجه استخدام الأسلحة البريطانية التي تصل إليها واستخدام الصواريخ في ضرب روسيا.

ولذلك، هدفت موسكو إلى تحقيق جملة من الأهداف؛ حيث أن العقيدة العسكرية الروسية تتضمن ما أطلق عليه البعض استراتيجية "التصعيد لوقف التصعيد" (Escalate to Deescalate)، وهي استراتيجية تسعى إلى وقف صراع عسكري تقليدي من خلال التهديد بالاستخدام المحدود للسلاح النووي التكتيكي. كما أكد نائب رئيس مجلس الأمن القومي الروسي في 22 سبتمبر 2022، أي بعد يوم واحد من خطاب "بوتين"، أن الأقاليم الجديدة المنضمة إلى روسيا سوف يتم الدفاع عنها باستخدام أي سلاح روسي، بما في ذلك الأسلحة الاستراتيجية. كما حذر نائب وزير الخارجية الروسي في 23 سبتمبر 2022 من مخاطر التدخل الغربي في الحرب الأوكرانية، مطالبًا

"الإدارة الأمريكية بتجنب وضع قد يؤدي إلى صدام عسكري مباشر مع روسيا"، وأكد أن موسكو سترد بشكل ملائم، بما في ذلك بشكل "غير متكافئ". كما هدفت موسكو أيضًا إلى مجابهة الهجوم الذي شنه الإعلام الغربي ضد الجيش الروسي بعد استيلاء القوات الأوكرانية على مدينة "خاركيف"، إذ تعمدت وسائل الإعلام الغربية التهوين من قدرات الجيش الروسي ومعداته العسكرية، ولم تقتصر الدعاية الغربية على ذلك، ولكنها امتدت إلى محاولة إهانة موسكو[7].

ثالثًا: سيناريوهات الاستخدام الفعلي للسلاح النووي

من المؤكد أن روسيا لا تريد صراعًا عسكريًا مباشرًا مع الولايات المتحدة أو مع حلف شمال الأطلسي، وأن القوات المسلحة في موسكو سوف تستغرق عدة سنوات للتعافي من الخسائر الفادحة في المعدات والأفراد خلال حرب أوكرانيا، لذلك من المستبعد تطور الأمر إلى استخدام السلاح النووي في أوكرانيا، **وذلك للاعتبارات التالية:**

1. **التفوق النوعي العسكري الروسي:** نظرًا لامتلاك القوات الروسية اليد العليا على القوات المسلحة الأوكرانية في كثير من النواحي، بل وتسيطر على العديد من الأراضي في شرق أوكرانيا، لن تحتاج موسكو إلى حسم الحرب باستخدام الأسلحة النووية. يضاف لذلك، أنه حتى في أثناء الحرب الباردة، عندما كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في خضم صراعهما، إلا أنهما قد تعاملا بحذر في استخدام الأسلحة النووية، وقد تجلى ذلك إبان أزمة الصواريخ الكوبية عام 1962[8].

2. **تراجع الاهتمام بالرد على المناورات الروسية:** لم يُثِرْ الإعلان الروسي ردود فعل تذكر في أوكرانيا، حيث قال المتحدث باسم وكالة الاستخبارات العسكرية الأوكرانية: "إن الابتزاز النووي ممارسة معتادة لنظام بوتين، ولا يشكل خبرًا كبيرًا". وفي السياق ذاته، قال المتحدث باسم البنتاجون: "التدريبات النووية الروسية مثال آخر على الخطاب غير المسئول من جانب روسيا"، مشيرًا إلى أن السلطات الأمريكية لم تشهد أي تغيير في القوات النووية الاستراتيجية الروسية، واكتفى بعض المسئولين الغربيين بإلقاء اللوم فقط على روسيا في التهديد بحرب أوسع نطاقًا من خلال أعمالها النووية الاستفزازية.

3. **تعدد المحاذير الأمريكية على الأسلحة الأوكرانية:** تضع واشنطن محاذير على كييف من حيث استخدام الأسلحة الأمريكية ضد أهداف روسية، ومن أهمها منع كييف من استخدام الصواريخ في استهداف أراضٍ روسية، والاكتفاء باستخدامها داخل الأراضي والمجال الجوي الأوكراني فقط. وبطبيعة الحال، فإن استمرار هذه السياسة سيقلل من الضغوط المفروضة على موسكو، وبالتالي لن يجعلها في موقف حرج عسكريًا يدفعها للتفكير الفعلي في استخدام السلاح النووي.

4. **انعدام رغبة الناتو في التصعيد النووي:** بالرغم من الخطابات التصعيدية التي يتبناها أعضاء حلف الناتو، وكذلك عرض الرئيس البولندي "أندريه دودا" لاستضافة أسلحة نووية من الناتو على أراضيه، فمن الواضح أن الحلف يحاول تجنب التصعيد النووي الحاد مع موسكو بهدف عدم الوصول إلى حافة الهاوية، والتي حينها ستخرج الأمور عن السيطرة على النحو الذي يهدد العديد من دول الحلف وأمنها.

5. **السيطرة الأمريكية على الحلفاء:** ويظهر ذلك من الجدل الذي أثارته تصريحات وزير الدفاع البريطاني "جرانت شابس" في 22 مايو 2024، بأن الصين ترسل "مساعدات فتاكة" إلى روسيا لاستخدامها في حربها ضد أوكرانيا، وهي التصريحات التي اعترض عليها مستشار الأمن القومي الأمريكي "جيك سوليفان" الذي ذكر أن "احتمال قيام الصين بتقديم أسلحة بشكل مباشر ومساعدات فتاكة لروسيا كان مصدر قلق في وقت سابق، لكننا لم نرَ ذلك حتى الآن"[9].

تعليـــــق عـــــام:

يعمل الغرب على محاصرة "بوتين" وجعله منبوذًا دوليًا، فبعد صدور مذكرة التوقيف التي أصدرتها الجنائية الدولية بحقه، وعدم تجاوب الولايات المتحدة وحلفائها مع مبادرة الوساطة الصينية، ودفع أوكرانيا للتشدد في موقفها من السلام مع روسيا، إلى جانب خطوات الغرب الرامية إلى استفزاز روسيا، وما يُمكن أن يلي ذلك من إرسال أسلحة هجومية قد تهدد الداخل الروسي، يمكن الدفع بأن الناتو لا يرغب في تصعيد المواجهة ضد روسيا مباشرة، فقد اختلفت لهجته كثيرًا، وتغيرت تصريحات الرئيس الفرنسي رأسًا على عقب، إلى حد إرسال جنود فرنسيين إلى أوكرانيا، ويبدو أن الموضوع لا يتعلق بأوكرانيا بقدر ما يتعلق بتغيير في موازين القوى والخارطة الجيوسياسية دوليًا بإرادة الناتو والولايات المتحدة، تدعمها دول البلطيق وبعض دول أوروبا الشرقية التي كانت في وقت سابق ضمن الاتحاد السوفيتي.

وعليه، يتعامل "بوتين" بحذر شديد تجاه التصعيد الغربي، ويدرك خطورة استخدام السلاح النووي في أوكرانيا، ولذلك، فهو يستخدم تلك الورقة لتهديد الغرب، ودفع أوكرانيا لقبول صفقة سلام، تضمن له صون الأمن القومي الروسي بتأمين حدود روسيا الشرقية بعد ضمه لمناطق من إقليم دونباس الاستراتيجي، وكذلك شبه جزيرة القرم. ويتأكد هذا السيناريو بعدم إقدام موسكو على استخدام أسلحة نوعية (كيميائية أو بيولوجية) في معركتها مع أوكرانيا حتى الآن، وكذلك تأكيد روسيا أنها لن تنقل السيطرة على الأسلحة النووية التكتيكية إلى بيلاروسيا، وبذلك تُؤكد التزامها بنظام عدم نشر أسلحة الدمار الشامل في العالم. وقد يصل "بوتين" إلى خيار استخدام السلاح النووي في حالة فشل الجيش الروسي في الحفاظ على تقدمه في أوكرانيا، ففي ذلك تهديد للدولة من الداخل وقدرتها على البقاء[10].

المصـــــــــادر

1. روسيا تبدأ تدريبات على استخدام الأسلحة النووية، سكاي نيوز عربية، 21 مايو 2024، متاح على: https://shorturl.at/GKban
2. فهيم الصوراني، ما الأسلحة النووية التكتيكية التي تجري روسيا تدريبات لاستخدامها؟، الجزيرة، 9 مايو 2024، متاح على: https://shorturl.at/vGoUG
3. وحدة الدراسات والتقارير، الإرهاب النووي، العقيدة النووية والسيناريوهات المحتملة في أوكرانيا – ملف، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، ألمانيا وهولندا، مارس 22, 2023، متاح على: https://shorturl.at/3nIwC /
4. العقيدة النووية الروسية، الحدود والمؤثرات، المركز الدولي للدراسات الاستراتيجية، 27 أكتوبر 2022، متاح على: https://shorturl.at/fdlrE
5. المرجع السابق.
6. توفيق الكيمنديوس، ردع الغرب: هل تلجأ روسيا للخيار "النووي التكتيكي" في أوكرانيا؟، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 18 مايو، 2024، متاح على: https://shorturl.at/xXzRr
7. شادي عبد الوهاب، الردع بالتصعيد: هل تتحول الحرب الأوكرانية إلى صراع نووي؟، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 27 سبتمبر، 2022، متاح على: https://t.ly/e-488
8. إنتريجونال للتحليلات الاستراتيجية، تحذير الغرب: ما دلالات المناورات العسكرية النووية الروسية على حدود أوكرانيا؟، إنتريجونال للتحليلات الاستراتيجية، 28 مايو 2024، متاح على: https://www.interregional.com/article/%D8%AA%D8%AD%D8%B0%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8:/2502/Ar
9. المرجع السابق.
10. ألكسندر دوغين: أمام بوتين خياران النصر أو القتل، مركز الدراسات العربية الأوراسية، 30 نوفمبر 2022، متاح على: https://eurasiaar.org/alexander-dugin-putin-has-two-options-victory-or-death/

«مبادرة إسطنبول للتعاون» بعد عقدين: إلى أين؟

ساهمت البيئة الأمنية الدولية المتغيرة في تبني حلف شمال الأطلسي "الناتو" نهجًا استراتيجيًا أكثر مرونة، قادرًا على التكيف والاستجابة للتهديدات الأمنية غير التقليدية التي تواجه الحلفاء، فضلًا عن ضمان الحفاظ على مبدأ الدفاع الجماعي وحماية أمن ومصالح الدول الأعضاء، وبخاصة بعد نهاية الحرب الباردة التي أسفرت عن ترتيبات أمنية جديدة، أثرت بدورها في توجهات الحلف، وهو ما قد تمثل في تعهده خلال قمة لندن عام 1990 بمد "يد الصداقة" لخصومه السابقين إبّان الحرب الباردة، وقد ترجم هذا التعهد بشكل عملي عبر إطلاق برامج للشراكة قائمة على الحوار والتعاون الثنائي تحت صيغة (حلف شمال الأطلسي1+) أو عبر الشراكة متعددة الأطراف، لتحسين الفهم المشترك بشأن التحديات العالمية، بما يحقق الأمن والاستقرار الدوليين.

أ. آية عبد العزيز

الباحثة بوحدة الدراسات الأوروبية

بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

وقد تمثلت أبرز مظاهر برامج الشراكة في إطلاق الحلف لما عرف باسم "الشراكة من أجل السلام" في يناير 1994، والتي كانت معنية بالتعاون الثنائي العملي مع بعض دول أوروبا الوسطى والشرقية، ثم إطلاق "الحوار المتوسطي" في العام نفسه، ليكون بمثابة منتدى شراكة، يساهم في تعزيز الاستقرار والأمن في منطقة البحر المتوسط. هذا إلى جانب "مبادرة إسطنبول للتعاون" (ICI) التي كانت أحد مخرجات قمة الحلف التي عُقدت في تركيا عام 2004، لإرساء نمط جديد من الشراكة مع دول الخليج عماده الحوار السياسي والتعاون الأمني والدفاعي [1]. كما شهد الحلف عدة تطورات تواكبت مع التحولات الإقليمية على مدار العقدين الماضيين، الأمر الذي يُثير تساؤلًا حول دوافع إطلاق تلك المبادرة، وكيف ساهمت في بناء علاقات أوثق بين حلف الناتو ودول الخليج بعد عقدين من إطلاقها؟

أولًا: السياق الحاكم

جاء إطلاق "مبادرة إسطنبول للتعاون" مدفوعًا بمجموعة من التطورات المتتالية التي شهدها النظام الدولي منذ أحداث 11 سبتمبر 2001، وبخاصة في ظل قيادة الولايات المتحدة الأمريكية للتحالف الدولي للحرب على الإرهاب، وغزو العراق في 2003 [2]. وهو ما مثّل تحديًا أمام الحلف تطلب إعادة النظر في دوره الأمني، وقد انعكس ذلك على أجندة قمة براغ التي عُقدت في نوفمبر 2002، وجاءت أولوياتها استجابة للمتغيرات الدولية والإقليمية؛ إذ تم التأكيد على الالتزام بسياسة "الباب المفتوح" عبر دعوة سبع دول جدد للانضمام إلى الحلف بحلول عام 2004، بجانب تحديث المفهوم الاستراتيجي لعام 1999، ليشمل الالتزام بالحرب ضد الإرهاب، والعمليات "خارج المنطقة"، وإنشاء قوة الرد التابعة للحلف (NRF)، علاوة على مجموعة من التدابير الداعمة للمفهوم الاستراتيجي الجديد منها التطرق إلى التعاون المتزايد مع الشركاء باعتباره موضوعًا رئيسيًا للمستقبل [3].

اعتمادًا على مخرجات براغ، استهدفت قمة إسطنبول لعام 2004 تعزيز الأمن عبر إظهار الاستقرار، وهو ما تطلب تحديد مجموعة من الأولويات الاستراتيجية منها؛ مراجعة عمليات حلف الناتو آنذاك، والتأكيد على أهمية امتلاك الحلفاء لقدرات عملياتية وعسكرية تمكنهم من التصدي للتهديدات بما يدعم قدرة الحلف على تحقيق الاستقرار، وتوسيع سياسة الشراكات التي ينتهجها الحلف مع الدول غير الأعضاء باعتبارها ركيزة أساسية لتحقيق الاستقرار [4].

وكنتيجة لذلك، تم إطلاق مبادرة إسطنبول للتعاون خلال اجتماع قمة الحلف في الثامن والعشرين من يونيو 2004 بالعاصمة التركية إسطنبول، باعتبارها نموذجًا للشراكة الثنائية المرتكزة على المنفعة المتبادلة، وتعزيز الأمن والاستقرار الإقليمي بين حلف الناتو ودول الخليج [5]؛ حيث انضمت الكويت وقطر والبحرين رسميًا للمبادرة في الربع الأول من عام 2005، تلتهم الإمارات في يونيو من العام نفسه. أما السعودية وعمان، وعلى الرغم من عدم انضمامهما رسميًا للمبادرة، فقد شاركتا في بعض أنشطتها [6].

ثانيًا: أهمية الاستراتيجية للمبادرة

ارتكزت المبادرة على جُملة من المبادئ الرئيسة منها؛ إتاحة أسس مُوحدة لنمط التعاون والمناقشة مع حلف "الناتو" أمام جميع شركاء المبادرة، بجانب تلبية احتياجات كل شريك وفق نهج مخصص، مع الأخذ في الاعتبار واحترام السياقات الإقليمية والثقافية والسياسية المحددة للشركاء الذين يمتلكون حرية اختيار طبيعة تعاونهم مع الحلف. فيما يسعى الأخير للحصول على مساهمات من الشركاء من خلال التشاور المنتظم. هذا، ويعبر الشركاء عن احتياجاتهم وأهدافهم للحلف؛ لذلك تعد هذه المبادرة بمثابة منتدى للشراكة مُكمل لمنتديات المنظمات الدولية الأخرى في المنطقة [7].

واتصالًا بذلك، تكمن أهمية المبادرة في عضويتها المتاحة لجميع دول المنطقة المتوافقة مع أهدافها لا سيما في مجالي الأمن والدفاع، فضلًا عن تطوير وتحديث الأنشطة المقترحة أمام شركاء الناتو، بما يضمن تحقيق أهدافها للجانبين، بجانب التأكيد على أهمية الأمن التعاوني في المفهوم الاستراتيجي الصادر في قمة لشبونة التي انعقدت في نوفمبر 2010، باعتباره أحد المهام الأساسية للحلف. ووفقًا للمفهوم، يولي الحلف أهمية كبيرة للسلام والاستقرار في منطقة الخليج، ويهدف إلى تطوير شراكة أمنية أعمق مع الخليجيين مع الاستعداد للترحيب بشركاء جدد في المبادرة [8].

واستمرارًا لحرص الحلف على تعزيز مستوى التعاون مع شركاء الناتو، جددت الدول الأعضاء، خلال قمة شيكاغو التي انعقدت في عام 2012، التزامها بشأن تعزيز الحوار السياسي والتعاون العملي، وانفتاحها على توسيع عضوية المبادرة عبر انضمام أعضاء جدد لا سيما السعودية وعمان، مع الترحيب بعرض الكويت استضافة المركز الإقليمي للمبادرة [9]. وعقب مرور عقد على إطلاق المبادرة، أكدت قمة ويلز لعام 2014، استمرار سياسة الشراكات بما في ذلك مبادرة إسطنبول للتعاون [10]. كما تضمنت قمة الحلف، التي انعقدت في وارسو في عام 2016، تأكيد الدول الأعضاء في الناتو على سعيهم للمساهمة في الجهود الدولية الرامية لتعزيز الاستقرار والأمن خارج أراضي الحلف بشكل أكبر. فيما أوضح الحلفاء خلال قمة بروكسل لعام 2018 إمكانية مساعدة شركاء الناتو -بناءً على الطلب- على "بناء مؤسسات دفاع أقوى، وتحسين الحكم الرشيد، وتعزيز المرونة، وتوفير أمنهم، والمساهمة بشكل أكثر فاعلية في الحرب ضد الإرهاب" [11].

كما جاء المفهوم الاستراتيجي لعام 2022 خلال قمة مدريد، ليؤكد على أن الأمن التعاوني لا يزال إحدى المهام الأساسية للحلف، بجانب الردع والدفاع ومنع الأزمات وإدارتها [12]، كما أوضح أن الحوار السياسي والتعاون العملي مع الشركاء، على أساس الاحترام المتبادل والمنفعة المتبادلة، يساهم في تحقيق الاستقرار خارج الحدود، ويعزز الأمن في الداخل، ويدعم المهام الأساسية لحلف شمال الأطلسي؛ لأن الشراكات ضرورية لحماية

المشاعات العالمية وتعزيز القدرة على الصمود ودعم النظام الدولي القائم على القواعد"[13].

ثالثًا: مشاركات عملية

شهدت العلاقات بين حلف الناتو والشركاء في مبادرة إسطنبول للتعاون تقدمًا تدريجيًا في العديد من المجالات بما في ذلك التعليم والتدريب العسكري، والذي تعزز مع إطلاق مبادرة التعاون التدريبي للحلف (NTCI) خلال قمة ريجا عام 2007، استكمالًا للأنشطة التعاونية التي تم تطويرها في إطار المبادرة من خلال مجموعة الإجراءات مثل: إنشاء كلية مخصصة للشرق الأوسط في كلية دفاع الناتو (NDC) ومقرها في روما، **هذا بالإضافة إلى تنامي العلاقات على المستوى السياسي والعملي على النحو التالي:**

1. **الحوار السياسي:** ساهمت اللقاءات والاجتماعات الثنائية الرسمية بين حلف الناتو وشركاء المبادرة في تقريب وجهات النظر بشأن الملفات الأمنية ذات الاهتمام المشترك، هذا إلى جانب تطوير التعاون متعدد الأطراف بداية من نوفمبر 2008؛ حين عُقد أول اجتماع بصيغة (الناتو + 4)، تلاه اجتماعات أخرى في أعوام 2009 و2010 و2012. هذا علاوة على حضور شركاء الناتو للعديد من الاجتماعات على المستوى الوزاري منها؛ الاجتماعات الوزارية الدورية لقوة المساعدة الأمنية الدولية، ومشاركة وزراء خارجية الإمارات والبحرين وقطر في قمة شيكاغو التي عُقدت في مايو 2012 عبر تمثيل حكوماتهم في اجتماعات مختلفة خلال القمة[14]. كما اجتمع وزراء خارجية الحلف مع نظرائهم من دول المبادرة لأول مرة في أبريل 2014 لمناقشة سبل تعميق الشراكة بين الجانبين. وفي هذا الإطار، قال السيد "أندرس فوغ راسموسن" (الأمين العام للحلف): إنه "بينما نتطلع إلى قمة ويلز في سبتمبر المقبل، سنعمل على إيجاد السبل لتعميق حوارنا السياسي وتعاوننا العملي، وسنناقش كيف يمكننا تصميم تعاوننا، بحيث يتناسب مع الاحتياجات الأمنية المحددة لشركائنا في الخليج" [15].

وفي إطار تعزيز الحوار السياسي بين الحلف وشركاء المبادرة، كانت الإمارات الدولة الأولى والوحيدة التي قامت بفتح بعثة لدى الحلف في عام 2012 [16]. هذا إلى جانب عقد اجتماعات المجموعة السياسية الاستشارية للمبادرة التابعة للحلف؛ حيث استضافت تركيا الاجتماع الأول في عام 2014، ثم استضافت الكويت الاجتماع الثاني في عام 2015 [17] ، فيما عُقد الاجتماع الثالث في قطر في 2016 ليركز على التحديات الأمنية في المنطقة، بجانب تقديم المشورة لشركاء الحلف في القضايا ذات الأولوية في العديد من القضايا مثل: إصلاح القطاع الأمني، والمعلومات الاستخباراتية، والحرب على الإرهاب. وذلك بعد أن استضافت قطر المؤتمر السنوي للحلف الخاص بالحد من ومكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل في مارس 2015، وهي المرة الأولى التي عُقد فيها المؤتمر بالمنطقة وخارج أوروبا[18]. فيما عقد الاجتماع الرابع بالكويت في يناير 2018 بعد نحو عام من افتتاح المركز الإقليمي[19]. كما استضافت البحرين في مايو 2023 الاجتماع الخامس، والأول منذ جائحة (كوفيد - 19)، الذي شهد مجموعة من النقاشات ذات الصلة بقضايا الأمن الإقليمي، مثل: مكافحة الإرهاب، والدفاع والأمن البحري، وأمن الطاقة، والأمن السيبراني، والتغير المناخي، والدور المحوري للمرأة في هذا الصدد[20].

2. **مساهمات متتالية:** انطلاقًا من تركيز المبادرة على التعاون الدفاعي ومكافحة الإرهاب وتعزيز الاستعداد المدني وأمن الحدود ومكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل، شاركت دول المبادرة الأربع في المهام والعمليات التي يقودها حلف الناتو؛ حيث انضمت البحرين والإمارات إلى قوة المساعدة الأمنية الدولية (إيساف) في أفغانستان، فضلًا عن كونهما عضوتين في مبادرة التشغيل البيني لحلف الناتو. كما شاركتا في الدورات التدريبية في كلية دفاع الناتو بروما. كما شاركت الإمارات وقطر في عملية "الحامي الموحد" في ليبيا عام 2011. كما وقّعت الكويت أول اتفاقية عبور على الإطلاق في الخليج مع الحلف عام 2012؛ مما سمح بحركة المعدات العسكرية عبر البلاد، وهي أيضًا جزء من آلية الوعي المشترك وتفادي التضارب (SHADE)، وهي مبادرة دولية لمكافحة القرصنة في المحيط الهندي[21]. كما وقّعت قطر اتفاقية أمنية مع الحلف في يناير 2018 بشأن حماية تبادل المعلومات السرية[22].

3. **تأسيس المركز الإقليمي للحلف:** كجزء من تعزيز التعاون العملي، تم تأسيس مركز إقليمي لحلف الناتو، بجانب مبادرة إسطنبول للتعاون في الكويت في عام 2017، لتحسين الفهم المشترك للتحديات الأمنية، وتعزيز التعاون العملي لا سيما التحليل الاستراتيجي، والاستعداد المدني، والتعاون العسكري، والدبلوماسية العامة، مع إتاحة أنشطته لجميع الدول المشاركة في المبادرة بالإضافة إلى عمان والسعودية ومجلس التعاون الخليجي [23]. وقد قال الأمين العام للحلف "ينس ستولتنبرغ" خلال افتتاح المركز إنه: "سيكون مركزًا حيويًا للتعاون بين التحالف وشركائنا الخليجيين". مضيفًا: "إننا نواجه تهديدات أمنية مشتركة مثل الإرهاب وانتشار الأسلحة والهجمات السيبرانية. ولدينا التطلعات نفسها للسلام والاستقرار". وتابع قائلًا إن: "المركز سيعزز التعاون العسكري ومكافحة الإرهاب والتطرف. وسيساعد دول الخليج من خلال تقديم دورات تدريبية متقدمة في الأمن السيبراني وأمن الطاقة والأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية"[24]؛ ليكون بذلك المركز الأول من نوعه في المنطقة. وعلى الرغم من

تأخـر تلـك الخطـوة، التـي جـاءت بعـد أكثـر مـن عقـد علـى إطـلاق المبـادرة، فإنهـا تعـد خطـوة مهمـة نحـو تعزيـز علاقـة الحلـف بـدول المنطقـة، وبخاصـة أنهـا ستسـمح للـدول غيـر الأعضـاء فـي المبـادرة بالمشـاركة في أنشـطتها. ويذكـر، إنـه خـلال العـام الأول، نفـذ المركـز نحـو 14 دورة ونشـاط قـام بهـا 149 خبيـرًا مـن الحلـف، وشـارك فيهـا 478 مشـاركًا مـن دول المبـادرة والسـعودية وعمـان ودول مجلـس التعـاون الخليجي[25].

ختامًـا، لا تـزال المبـادرة مفتوحـة أمـام كل دول مجلـس التعـاون الخليجي، بيـد أن عـدم انضمـام السـعودية وعمـان يظـل تحديًـا أمـام بلـورة نمـط للتعـاون الفعـال بيـن الحلـف والـدول الخليجيـة، على نحـو يسـهم في تعزيـز الأمـن والاسـتقرار الإقليمي، وذلـك في ظـل غيـاب الرؤيـة الاسـتراتيجية للحلـف تجـاه منطقـة الشـرق الأوسـط بشـكل عـام، وأيضًـا الولايـات المتحـدة، فـلا تـزال توجهاتهمـا نحـو المنطقـة تتسـم بنـوع من الغمـوض وتراجـع الانخراط في أزمـات المنطقـة، مـا يحـد مـن فاعليـة مبـادرات التعـاون التـي تسـتهدف القضايـا الأمنيـة ذات الاهتمـام المشـترك[26]. واتصـالًا بذلـك، فقـد برهنـت الأزمـات المتتاليـة، والاضطرابـات المتزامنـة التـي تشـهدها المنطقـة خـلال العقديـن الماضييـن علـى أن تحقيـق الأمـن والسـلم الدولييـن والحفـاظ علـى مصالـح الحلفـاء مرهـون بشـكل مباشـر بضمـان عـودة الأمـن والاسـتقرار الإقليمي بشـكل مسـتدام، وهـو مـا أظهرتـه الحـرب الأخيـرة فـي غـزة التـي أثـرت بشـكل كبيـر في إعـادة تشـكيل العلاقـات العربيـة-الأطلسـية.

المصـــــــــادر

1. NATO's partnerships, NATO, 7 March 2024, Available at: https://www.nato.int/cps/en/natohq/topics_84336.htm#md
2. Erik Reichborn-Kjennerud, NATO in the 'New' MENA: Region Competing Priorities amidst Diverging Interests and Financial Austerity, Norwegian Institute of International Affairs, 2013, pp. 19-20, Available at: https://nupi.brage.unit.no/nupi-xmlui/bitstream/handle/11250/276505/NUPI%2BReport-SIP-1-13-Reichborn-Kjennerud.pdf?sequence=3
3. Claire Taylor, NATO: The Istanbul Summit, The House of Commons Library, July 26, 2004, p. 7, Available at: https://researchbriefings.files.parliament.uk/documents/RP04-60/RP04-60.pdf
4. I bid. pp. 8-9.
5. Istanbul Summit Reader's Guide, NATO, 2004, pp. 100-101, Available at: https://www.nato.int/docu/rdr-gde-ist/rdr-gde-ist-e.pdf
6. Istanbul Cooperation Initiative (ICI), NATO, September 1, 2022, Available at: https://www.nato.int/cps/en/natohq/topics_52956.htm
7. Ibid.
8. Strategic Concept for the Defence and Security of the Members of the North Atlantic Treaty Organization, NATO Summit in Lisbon, November 2010, pp. 31-32, Available at:https://www.nato.int/nato_static_fl2014/assets/pdf/pdf_publications/20120214_strategic-concept-2010-eng.pdf
9. The Istanbul Cooperation Initiative (ICI), NATO, April 2014, p. 1, Available at:https://www.nato.int/nato_static_fl2014/assets/pdf/pdf_2014_04/20140331_140401-fact-sheet-ICI_en.pdf
10. Ulrich Karock, NATO after the Wales Summit: Back to collective defence, European Parliament, November 2014, Available at: https://www.europarl.europa.eu/RegData/etudes/BRIE/2014/536430/EXPO_BRI%282014%29536430_EN.pdf
11. NATO's partnerships, Op.cit.
12. NATO 2022 Strategic Concept, NATO Summit in Madrid, June 29, 2022, p. 1, Available at: https://www.nato.int/nato_static_fl2014/assets/pdf/2022/6/pdf/290622-strategic-concept.pdf
13. I bid, p. 10.
14. The Istanbul Cooperation Initiative (ICI), Op.cit, p. 2.
15. NATO and Gulf countries determined to deepen cooperation, NATO, April 2, 2014, Available at: https://www.nato.int/cps/en/natohq/news_108674.htm
16. NATO and UAE determined to enhance cooperation in addressing common challenges, NATO, March 2, 2016, Available at: https://www.nato.int/cps/en/natohq/news_128753.htm
17. "مملكة البحرين تستضيف الاجتماع الخامس للمجموعة الاستشارية للسياسات لمبادرة إسطنبول للتعاون لحلف الناتو"، وكالة أنباء البحرين، 10 مايو 2023، متاح على: https://www.bna.bh/news?cms=q8FmFJgiscL2fwIzON1%2BDr5oHS204VmvVi%2FpdYHRf%2FQ%3D
18. "انطلاق أعمال الاجتماع الثالث للمجموعة الاستشارية لمبادرة إسطنبول للتعاون"، المركز الإعلامي بوزارة الخارجية القطرية، 20 نوفمبر 2016، متاح على: https://shorturl.at/3aRiY
19. Istanbul Cooperation Initiative (ICI) Policy Advisory Group in Kuwait, NATO, January 25, 2018, Available at: https://www.nato.int/cps/uk/natohq/photos_151142.htm
20. - Bahrain hosts meeting of NATO Advisory Group, Bahrain News Agency, May 10, 2023, Available at: https://www.bna.bh/en/BahrainhostsmeetingofNATOAdvisoryGroup.aspx?cms=q8FmFJgiscL2fwIzON1%2BDgQ2v94yLosGCAN1Ks%2FNh2w%3D
21. - Istanbul Cooperation Initiative (ICI), September 2022. Op.cit.
22. - Joanne Stocker, Qatar signs security agreement with NATO, The Defense Post, January 17, 2018, Available at: https://www.thedefensepost.com/2018/01/17/qatar-nato-security-agreement/
23. - Istanbul Cooperation Initiative (ICI), Op.cit.
24. - NATO opens new center in Kuwait to boost Gulf ties, Kuwait Times, January 24, 2017, Available at: https://kuwaittimes.com/nato-opens-new-center-kuwait-boost-gulf-ties/
25. - NATO-ICI Regional Centre Holds First Annual Review in Kuwait, NATO, October 18, 2018, Available at: https://www.nato.int/cps/en/natohq/news_159600.htm
26. - Alessandro Minuto-Rizzo, NATO and the Gulf: the new Regional Centre in Kuwait, Italian Institute for International Political Studies, March 2, 2017, Available at: https://www.ispionline.it/it/pubblicazione/nato-and-gulf-new-regional-centre-kuwait-16405

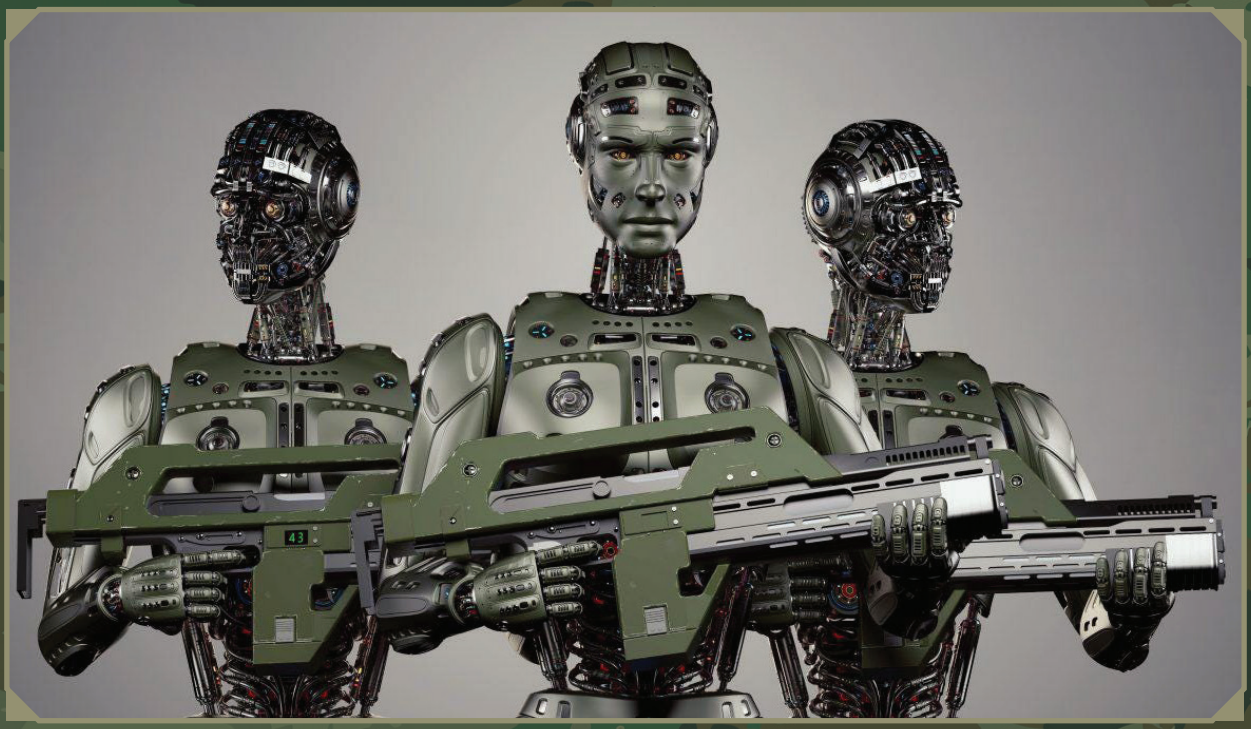

التطبيقات العسكرية للذكاء الاصطناعي: مجالات واستخدامات

لقد أضحى الذكاء الاصطناعي في عالم اليوم حقيقة واقعة في عصر الثورة الصناعية الرابعة، إذ نتج عنه تعدد استخدامات الذكاء الاصطناعي في المجالات المختلفة، وبخاصة في المجال العسكري بداية من صيانة الآلات والمعدات وحتى اتخاذ القرارات مرورًا بالتقييم الاستخباراتي الناتج عن مسح كميات كبيرة من البيانات (البيانات الضخمة) في وقت قصير. يمكن لأنظمة الذكاء الاصطناعي العسكرية القيام بمهام متعددة؛ إذ يمكنها معالجة المزيد من البيانات بشكل أكثر فعالية من الأنظمة التقليدية، كما يزيد الذكاء الاصطناعي أيضًا من الضبط والتنظيم والتشغيل الذاتي لأنظمة القتال، نظرًا لقدراته الفائقة على القيام بالحوسبة واتخاذ القرار.

د. سامح شعبان

الباحث ببرنامج السياسات العامة،

بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

وفي الآونة الأخيرة، يمكن القول إن الذكاء الاصطناعي بات يستخدم معظم التطبيقات العسكرية إن لم يكن كلها، ومن المتوقع أن تؤدي جهود البحث والتطوير من قبل وكالات ومراكز الأبحاث العسكرية لتحديث تقنيات الذكاء الاصطناعي وابتكار تطبيقات جديدة ومتقدمة، ومن المتوقع أيضًا زيادة الطلب على الأنظمة التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي في الجيوش النظامية. وفي هذا الإطار، تبرز أهمية الكتاب المعنون "تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي وتحولات القوة العالمية" الصادر عن المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، والذي يمكن تسليط الضوء من خلاله على الأنماط السبعة للذكاء الاصطناعي، بالإضافة إلى تطبيقاته في المجال العسكري، والإمكانات الحالية والمستقبلية لتطوير خوارزمياته.

أولًا: أنماط الذكاء الاصطناعي

تشمل تطبيقات الذكاء الاصطناعي كلًا من: برامج المحادثة الآلية، والطائرات بدون طيار، والتعرف على الوجوه، والمساعدين الافتراضيين، والأتمتة المعرفية، وكشف الاحتيال، والمركبات ذاتية القيادة، وتطبيقات التحليلات التنبؤية. وعلى الرغم من تنوع التطبيقات، فإن كل حالة استخدام للذكاء الاصطناعي تندرج ضمن فئة واحدة أو أكثر من سبع فئات موضحة في الشكل التالي.

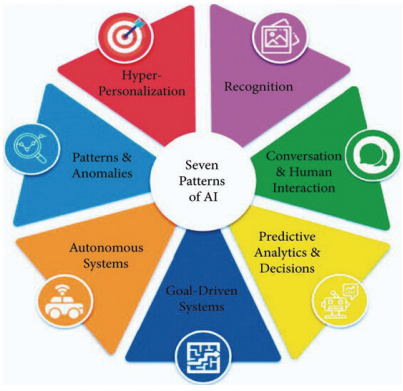

شكل (1): الأنماط السبعة للذكاء الاصطناعي

تعرف الأنماط السبعة للذكاء الاصطناعي بأنها هي الأنظمة الموجهة نحو: الأهداف، والأنظمة المستقلة، والأنماط والشذوذ، والتفاعلات الحوارية/البشرية، والتحليلات التنبؤية، والتخصيص المفرط، ودعم القرار. فقد أحدثت تلك الأنماط ثورة في العمليات العسكرية في السنوات الأخيرة، حيث قدمت تطبيقات جديدة لمهام؛ مثل اكتشاف الأشياء ودعم القرار والتفاعلات الحوارية. ويوضح الجدول التالي مساهمات الذكاء الاصطناعي بأنماطه السبعة في الابتكارات والتقنيات العسكرية.

أنماط الذكاء الاصطناعي	المعدات/التكنولوجيا المبتكرة الحديثة
الأنظمة الموجهة نحو الأهداف	الطائرات بدون طيار ذاتية التحكم (على سبيل المثال MQ-9 reaper)
الأنظمة المستقلة	المركبات العسكرية ذاتية القيادة (على سبيل المثال KF51 Panther)
التفاعلات الحوارية/الإنسانية	روبوتات الدردشة للاتصالات العسكرية (على سبيل المثال برنامج Sgt. Star التابع للجيش الأمريكي)
التحليلات والقرارات التنبؤية	الصيانة التنبؤية للمعدات العسكرية (على سبيل المثال F-35)
التخصيص المفرط	شبكات GAN للتدريب الشخصي للجنود
دعم القرار	اتخاذ القرارات بمساعدة الذكاء الاصطناعي في العمليات العسكرية (على سبيل المثال SAGE)
التعرف على الأنماط والشذوذ	اكتشاف الأشياء في المراقبة العسكرية (على سبيل المثال طائرة بدون طيار Raven)

جدول (1): مساهمات الأنماط السبعة للذكاء الاصطناعي في الابتكارات والتقنيات العسكرية.

تجدر الإشارة إلى أن أي نهج شخصي للذكاء الاصطناعي سوف يتطلب البرمجة والتصميم، لأنه بغض النظر عن كيفية دمج هذه الاتجاهات والابتكارات المذكورة أعلاه، فإنها تتبع مبادئ مماثلة. بعد ذلك، يتم استخدام هذه الأنماط السبعة بمفردها أو في مجموعات مختلفة، اعتمادًا على القضية المحددة التي يتم تطبيق الذكاء الاصطناعي عليها.

ثانيًا: تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال الدفاع

أصبح الذكاء الاصطناعي أكثر انتشارًا في ساحات المعارك، ولهذا فإن المؤسسات العسكرية شأنها شأن الشركات الصناعية والمطورين، بدأت في التركيز بشكل أكبر على تطوير الذكاء الاصطناعي بغية الحصول على تطبيقات قادرة على إنجاز المهام العسكرية بدقة متناهية وبأقل درجة ممكنة من المخاطر.

1. الأسلحة المستقلة:

تُعرف الأسلحة المستقلة بأنها أنظمة أسلحة تستخدم الذكاء الاصطناعي لتحديد الأهداف البشرية واختيارها وقتلها دون تدخل بشري، وتسمى أيضًا "أنظمة الأسلحة المستقلة" أو "الروبوتات القاتلة". وتختلف هذه الأسلحة عن الطائرات بدون طيار؛ ففي الأخيرة يتخذ قرار الاستهداف عن بُعد بواسطة مُشغّل بشري، فيما تتخذ الخوارزميات وحدها قرار الأسلحة المستقلة. وبشكل عام، يُبرمج نظام الأسلحة المستقلة مُسبقًا لقتل "ملف تعريف الهدف"، ثم يتم نشر السلاح في بيئة، حيث يبحث الذكاء الاصطناعي عن ذلك الملف باستخدام بيانات الاستشعار مثل التعرف على الوجه، وعندما يواجه السلاح شخصًا أو شيئًا تدرك الخوارزمية أنه يتطابق مع ملف تعريف هدفه، فإنه يطلق النار ويقتل.

ولذا، يوجه النقد لتلك النوعية من الأسلحة لما لها من مساوئ وأضرار، لأنها لا تخضع لحكم

البشـر وغيـر أخلاقيـة، وتشـكل تهديـدًا خطيـرًا للأمـن الوطنـي والعالمـي. إن الخوارزميـات غيـر قـادرة علـى فهـم قيمـة الحيـاة البشـرية، وبالتالـي لا ينبغـي أن يتـرك لهـا تحديـد مـن يعيـش ومـن يمـوت. وفـي هـذا السـياق، قـال الأميـن العـام للأمـم المتحـدة "أنطونيـو جوتيريـش" إن "الآلات التـي تتمتـع بالسـلطة والتقديـر اللازميـن لقتـل الأرواح دون تدخـل بشـري غيـر مقبولـة سياسـيًا، ومثيـرة للاشـمئزاز أخلاقيًـا، ويجـب حظرهـا بموجـب القانـون الدولـي". كمـا أن اتخـاذ القـرارات مـن قِبـل الخوارزميـات يسـمح للأسـلحة باتبـاع مسـار برمجيـات أسـرع وأرخـص وعلـى نطـاق أوسـع، وهـذا مـن شـأنه أن يـؤدي إلـى زعزعـة الاسـتقرار علـى المسـتويين الوطنـي والدولـي، لأنـه يزيـد مـن تهديـدات الانتشـار والتصعيـد السـريع وعـدم القـدرة علـى التنبـؤ. كمـا يثيـر تفويـض قـرار اسـتخدام القـوة المميتـة إلـى الخوارزميـات تسـاؤلات مهمـة حـول مـن هـو المسـئول فـي نهايـة المطـاف عـن اسـتخدام القـوة بواسـطة الأسـلحة المسـتقلة.

وتجـدر الإشـارة إلـى أن أفضـل الأسـلحة المسـتقلة ذات القـدرة الأكبـر علـى اكتشـاف الأهـداف بدقـة آليـة حـول العالـم وفقًـا لآراء بعـض الخبـراء هـي: نظـام صواريـخ باتريـوت، ونظـام الأسـلحة فالانكـس، ونظـام الأسـلحة البحريـة إيجيـس. ويشـير الخبـراء إلـى أنـه علـى الرغـم مـن التقـدم المحـرز فـي هـذا الصـدد فإنـه لا تـزال مسـألة اكتشـاف الأجسـام فـي هـذه النوعيـة مـن الأسـلحة بحاجـة إلـى الكثيـر مـن التحسـين والتطويـر.

2. المراقبة:

يتزايـد اسـتخدام الـذكاء الاصطناعـي فـي مجـال المراقبـة يومًـا بعـد يـوم، ومـن المرجـح أن يتـم تطبيقـه فـي كل الصناعـات بمـرور الوقـت؛ فهنـاك آلاف مـن بـراءات الاختـراع الجديـدة فـي هـذا المجـال عالميًـا. وفـي هـذا السـياق، يلعـب قطـاع الدفـاع وحـده دورًا كبيـرًا فـي تطبيـق وتنفيـذ أنظمـة المراقبـة المعـززة بالـذكاء الاصطناعـي، وهنـاك العديـد مـن البرامـج المسـتخدمة بالفعـل فـي هـذا القطـاع فـي جميـع أنحـاء العالـم، ومـن المرجـح أن تشـهد مزيـد مـن التطـورات قريبًـا، ولا سـيما أنهـا تزيـد مـن كفـاءة ودقـة القـوات العسـكرية.

ومـن الأمثلـة البـارزة فـي هـذا الصـدد اكتشـاف مواقـع الألغـام تحـت المـاء، واسـتخدام أنظمـة ملاحـة تقديريـة تعتمـد علـى الشـبكات العصبيـة المتطـورة بحيـث تكـون مثاليـة للظـروف والقـرارات المتغيـرة بسـرعة، كذلـك بعـض التطبيقـات مثـل B5G التـي تمكـن مـن بـث فيديـو عالـي الجـودة للطاقـم الطبـي العسـكري لتشـخيص المرضـى عـن بُعـد بكفـاءة. كمـا تفيـد أيضًـا تقنيـات الـذكاء الاصطناعـي فـي تتبـع آثـار العـدو ومعرفـة خطواتـه التاليـة المحتملـة واتخـاذ القـرارات بنـاءً علـى معلومـات المراقبـة، كمـا تفيـد أيضًـا فـي التمييـز بيـن المدنييـن والعسـكريين مـن أجـل اتخـاذ قـرارات أفضـل، وإيجـاد الاتجـاه الصحيـح.

ثالثًا: استخدامات الذكاء الاصطناعي في مجال النقل والخدمات العسكرية

تعـد عمليـة النقـل فـي المجـال العسـكري عنصـرًا أساسـيًا فـي توفيـر الخدمـات اللوجسـتية، وتشـمل عمليـة النقـل حركـة الأفـراد والمعـدات والإمـدادات فـي البـر والبحـر والجـو. ويمثـل التخطيـط والتنفيـذ الفعـال للنقـل أمـرًا ضروريًـا لضمـان وصـول المـوارد إلـى المـكان المناسـب فـي الوقـت المناسـب، وغالبًـا مـا يتـم إجـراء هـذه العمليـات فـي بيئـات مليئـة بالتحديـات المتغيـرة. ولقـد سـاعدت تطبيقـات الـذكاء الاصطناعـي فـي دعـم عمليـات النقـل العسـكري وتقديـم الخدمـات اللوجسـتية علـى جبهـات القتـال بفضـل الأنظمـة التـي يتـم تزويـد المعـدات والآلات العسـكرية بهـا.

تسـاعد التقنيـات المعـززة بالـذكاء الاصطناعـي القـوات المسـلحة مـن خـلال تمكيـن العديـد مـن أنـواع الأنظمـة الجويـة غيـر المأهولـة (UAVs) وغيرهـا مـن منصـات الاسـتخبارات والمراقبـة والاسـتطلاع (ISR). وتجـدر الإشـارة إلـى أن الجيـوش الحديثـة تحـدد الطـرق الأكثـر فعاليـة للسـائقين بواسـطة المركبـات التـي تعمـل بمسـاعدة الـذكاء الاصطناعـي. كذلـك يسـاعد الـذكاء الاصطناعـي فـي برامـج التدريـب للمجنديـن الجـدد فـي القـوات المسـلحة وفـي تعزيـز الواقـع الافتراضـي ومحاكاة عمليـات القتـال الجـوي. وبالنسـبة للنقـل البحـري، فـإن الألغـام المائيـة تعـرض حركـة ونقـل السـفن الحربيـة للخطـر بشـكل كبيـر وبمسـاعدة المركبـات الجويـة غيـر المأهولـة (UAV) والمركبـات تحـت المـاء غيـر المأهولـة (UUV)، والمعروفـة أيضًـا باسـم المركبـات تحـت المـاء المسـتقلة (AUV)، والتـي تـم إنشـاؤها خصيصًـا لهـذا الغـرض.

رابعًا: المركبات ذاتية القيادة

تُعـرف المركبـات ذاتيـة القيـادة باسـم "الروبوتـات المتنقلـة"، وقـد تـم نشـر هـذه النوعيـة مـن المركبـات فـي كلا القطاعيـن العسـكري والخـاص، ومـن أمثلتهـا: المركبـات الأرضيـة غيـر المأهولـة (UGV)، والمركبـات الفضائيـة غيـر المأهولـة، والمركبـات الجويـة غيـر المأهولـة (UAV)، والمركبـات تحـت المـاء غيـر المأهولـة. ولتوضيـح مـدى أهميـة الـذكاء الاصطناعـي فـي هـذا النـوع مـن المركبـات، فـإن مركبـة أرضيـة غيـر مأهولـة (UGV) يتـم اسـتخدامها لنقـل معـدات الفصائـل الكبيـرة والبنـادق والإمـدادات الطبيـة والحصـص الغذائيـة. وبالمثـل، يوجـد أيضًـا برنامـج نظـام BAE فـي الجيـش الأمريكـي والـذي لا يـزال يمثـل تحسـنًا ينقـل أكثـر مـن جنـدي جريـح علـى مركبـة إخـلاء طبـي غيـر مأهولـة. كمـا يوجـد أيضًـا روبوتـات سـريعة الحركـة يمكنهـا عبـور أي سـطح وبيئـة مثـل الربـوت The spot، ويحتـوي الروبـوت علـى كاميـرات وأجهـزة استشـعار فـي الأمـام والخلـف والجوانـب. وفـي عـام 2003، تـم إنتـاج مركبـة قتاليـة ذات ثمانـي عجـلات تعـرف باسـم سـترايكر تـم اسـتخدامها مـن قبـل الجيـش الأمريكـي لسـد الفجـوة فـي القـدرات بيـن أبرامـز وبرادلـي (وهمـا مركبـات مدرعـة ثقيلـة)، والمركبـات ذات العجـلات متعـددة الأغـراض عاليـة الحركـة (وهـي مركبـات

مدرعة خفيفة كلاهما معزز بالذكاء الاصطناعي).

خامسًا: التدريب القتالي والمحاكاة

يمثل الطيار الذكي الآلي أحد أفضل الأمثلة على إضافة الذكاء الاصطناعي إلى التدريب القتالي والمحاكاة. ومن أفضل الأمثلة للطائرات المعتمدة على الذكاء الاصطناعي "STOW 97" و"Roadrunner 98"، وكلاهما متمركز في مختبر "ويسارد" بقاعدة جوية في فيرجينيا بيتش. ففي الولايات المتحدة، يتم نشر فرق إطفاء مكونة من أربعة أفراد من مشاة البحرية الأمريكية في منطقة حضرية محاكية وتكليفهم بتطهير مبنى يمكن أن يستوعب جنود العدو، وفي مثل هذه التمارين هناك حاجة إلى خصوم افتراضيين لملء البيئة واختبار المتدربين. وفي ذات السياق، تجدر الإشارة إلى أن سلسلة ألعاب كمبيوتر تجارية تُسمى (MOUTbot) المعززة بالذكاء الاصطناعي تتضمن محاكاة مستخدمة الآن في الابتكار العسكري، لذا تعد خيارًا عمليًا وفعالًا للتدريب القتالي للدول ذات الجيوش المتقدمة.

سادسًا: الروبوتات المدعومة بالذكاء الاصطناعي

تعد حماية صحة الجنود وحياتهم في ساحة المعركة هي أحد الأهداف الرئيسة للتكنولوجيا الحديثة، وعلى هذا فإن إحدى الاستراتيجيات التي يتم طرحها عادةً في هذا السياق هي "إحضار الآلات إلى ساحة المعركة". وقد يحل استخدام الروبوتات في العمليات العسكرية محل الأسلحة التقليدية؛ إذ يمكن لها تحمل درجات الحرارة القاسية ونقص الطعام والشراب والمجهود، كما أنها أكثر قدرة على تحمل مخاطر ساحات القتال.

وفي هذا المضمار، فإن شركة بوسطن داينماكس الأمريكية تعد رائدة في مجال الروبوتات المتنقلة التي يمكنها التحرك بحرية، والعثور على العوائق وتجنبها، واتباع مسار محدد مسبقًا، والتعرف على الإشارات من محيطها والتصرف بناءً عليها. وكمثال على الروبوتات المستوحاة من الكائنات الحية المدعومة بالذكاء الاصطناعي والتي يمكن استخدامها في ساحة المعركة الربوتين (Spot) و(Atlas). وتوجد أنظمة روبوتية لاستخراج الضحايا وتقييم حالاتهم وإخلائهم، كما توجد منصات استخراج المركبات الأرضية غير المأهولة (UGV) المزودة بأنظمة الكشف عن المواد الكيميائية والبيولوجية والمتفجرة (CBE) المعتمدة على التحليل الطيفي "رامان".

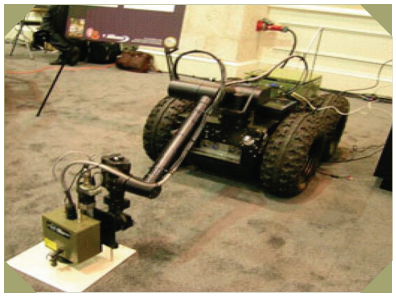

شكل (2): ربوتات مزودة بمطياف رامان للكشف عن المواد الكيميائية والبيولوجية والمتفجرات

سابعًا: الرعاية الصحية

قد تتمكن التكنولوجيا القابلة للارتداء ذات قدرات الذكاء الاصطناعي من تقييم البيانات الطبية للجنود والمساعدة في تشخيص الحالات الحرجة؛ إذ يمكن استخدام شبكة استشعار الجسم (BSN) لمراقبة الحالة الصحية للجندي لحظيًا من خلال الاعتماد على المعايير الفسيولوجية والطبية الحيوية، بما في ذلك: درجة حرارة الجسم، ومعدل ضربات القلب، وتخطيط كهرباء الدماغ، وتخطيط كهرباء القلب. ولا يقتصر استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي على تحديد الحالة الصحية للجنود فحسب، وإنما يتم أيضًا عبر دمج أجهزة استشعار وأجهزة إنترنت الأشياء في الخوذات والنظارات وفي الملابس التي يرتدونها لتنبيه الجنود على الرصاص أو القنابل أو الموجات المدمرة التي تقترب منهم. كما يمكن لهذه الخوذات والملابس الذكية حماية الجنود من إصابات الدماغ.

وختامًا، تمهد الأنماط السبعة للذكاء الاصطناعي طريقها إلى تعزيز القدرات العسكرية للدول. وفي الآونة الأخيرة، بدأت مرحلة جديدة ومثيرة من التطور السريع لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي، ومن المعترف به الآن أن تطبيقاته لديها قدر كبير من الإمكانات لتغيير المشهد التكنولوجي في المستقبل. كما أصبح استخدامها لتحسين الاستراتيجيات والأصول الوطنية أمرًا شائعًا للغاية. إذ يعد الذكاء الاصطناعي هو العمود الفقري لعملية اتخاذ القرار العسكري، لقدرته على إنشاء واجهات مستخدم بسيطة تعتمد على الرسومات والتي يمكن للمتخصصين استخدامها مع القليل من التدريب.

ومع ذلك، ينبغي أن تأخذ الاستخدامات العسكرية للذكاء الاصطناعي في الاعتبار: الثغرات التي قد تضر بشكل كبير بأداء النظام، والشفافية لضمان أداء النموذج بما يتماشى مع المواصفات العسكرية، وبيانات تدريب التعلم الآلي غير الكافية، وتأثيرات الذكاء الاصطناعي على المخاطر النووية والاستقرار الاستراتيجي العالمي. وبناءً على ما تقدم، إذا لم يتم توظيف الذكاء الاصطناعي بشكل صحيح في القطاع العسكري، فمن المرجح أن يصبح سلاحًا ذا حدين.

بروفـــــايل

يُسلط قسم "بروفايل" الضوء على السيرة الذاتية للفيلسوف والمحارب العسكري الصيني "صن تزو"، الذي عُرف بخبرته في مجال الاستراتيجية الحربية ونصائحه التي وجّهها للملوك والقادة العسكريين. وينُسب إليه أقدم كتاب معروف في أصول الحرب والعلوم العسكرية والمعنون "فن الحرب"، وهو الكتاب الذي لا يزال يحظى بأهمية كبرى، بالنظر إلى صلاحية تطبيق أفكاره حتى وقتنا المعاصر، ليس فقط في المجالات العسكرية، بل في المجالات السياسية والتجارية أيضًا. ومن أبرز ما ورد فيه من عبارات ما يلي: "لا فائدة قط من حرب طال أمدها"، و"مَنْ يحرك جيشًا بأكمله لتحقيق هدف معين فلن يظفر به"، و"إذا أردت ألا تُهزم، فعليك بالدفاع، أما إذا أردت الانتصار فليس أمامك سوى الهجوم".

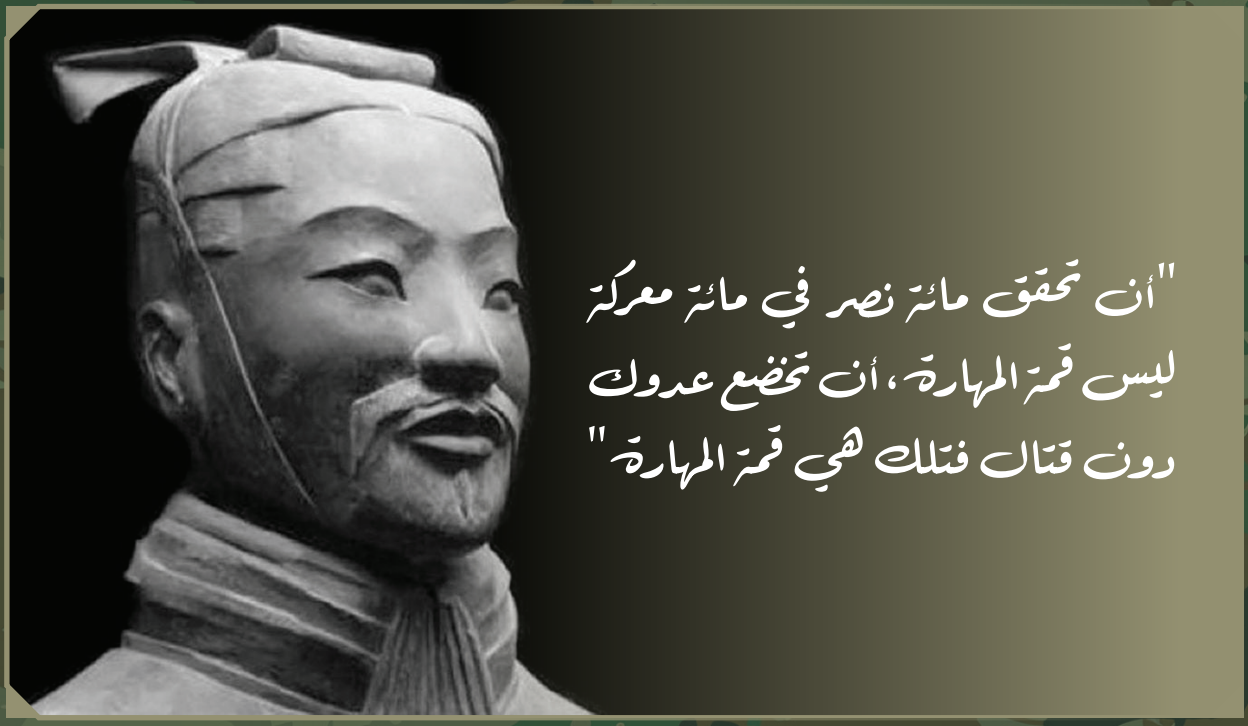

الفيلسوف والمحارب «صن تزو» وسبل إدارة الصراعات والحروب

إن تلك هي إحدى المقولات الشهيرة للخبير الاستراتيجي الصيني "صن تزو"، الذي اشتهر بأنه مؤلف أقدم وأشهر عمل في الاستراتيجية العسكرية، ألا وهو كتاب "فن الحرب" (The Art of War) في عام 600 قبل الميلاد. وعلى الرغم من قِدَم ذلك الكتاب، فإنه لا يزال مصدر إلهام للعديد من القادة والاستراتيجيين حتى اليوم.

أ. نرمين ناصر

الباحثة بوحدة الدراسات العربية والإقليمية

بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

أولًا: العوامل المؤثرة في نشأته

يُرجّح المؤرخون أن "تـزو" وُلد تقريبًا في عام 544 قبل الميلاد، وأنه تُوفي سنة 496 قبل الميلاد. ووفقًا للثقافة الصينية وثقافات شرق آسيا، فإنه لا يعدو كونه مفكرًا استراتيجيًا وقائدًا عسكريًا أسطوريًا. والجدير بالذكر أن اسمه الحقيقي هو "سون وو"، ولكن تكريمًا له ولمكانته بات لقبه هو "صن تزو" بعد وفاته. وتعني كلمة "تزو" في اللغة الصينية الرجل الذي بلغ المراتب العليا في العلم والفلسفة. وقد اعتمد المؤرخون لمعرفة الحقائق حوله على مصدرين أساسيين؛ يكمن أولهما: في كتاب "شي جي" للمؤرخ "سيما كيان"، ويتمثل ثانيهما: في مجموعة من الكتابات التي تحمل اسم "حول عصر الربيع والخريف"، وهي كتابات قديمة جدًا وتُعرف بالصيني "تشو كوين".

لقد عاصر "تزو" نهايات "عصر الربيع والخريف" الذي شهد تحول المجتمع الصيني من مجتمع العبيد إلى المجتمع الإقطاعي، حيث كثرت الحروب بين أكثر من 130 مملكة صغيرة، أدت الحروب فيما بينها إلى ظهور سبع ممالك قوية تصارعت على السلطة والحكم. ولم يكن "تزو" بمعزل عن تلك الحروب التي ساهمت في بناء خبرته العسكرية وصقل مواهبه.

والجدير بالذكر أن "تزو" رحل إلى مملكة "وو" في شرق الصين، حيث شرع في كتابة النسخة الأولى من مؤلفه المعنون "فن الحرب". وقد بلغت شهرة كتاباته، التي بلغت 13 مقالة حول "فن الحرب"، الملك الذي عينه قائدًا عامًا لجيش مملكة "تشي". كما قام "تزو" بتدريب الجنود وصقل مهاراتهم، ونجح في توسيع أطراف المملكة. ومع توالي الانتصارات من ناحية، وتزايد غرور الملك من ناحية ثانية، توقف الملك عن الاستماع إلى اقتراحات المحيطين به، الأمر الذي دفع "تزو" إلى الرحيل والعيش في قرية بعيدة. ومع تراكم خبراته المكتسبة من تدريب القوات، عدل كتابه "فن الحرب" وجعله كاملًا.

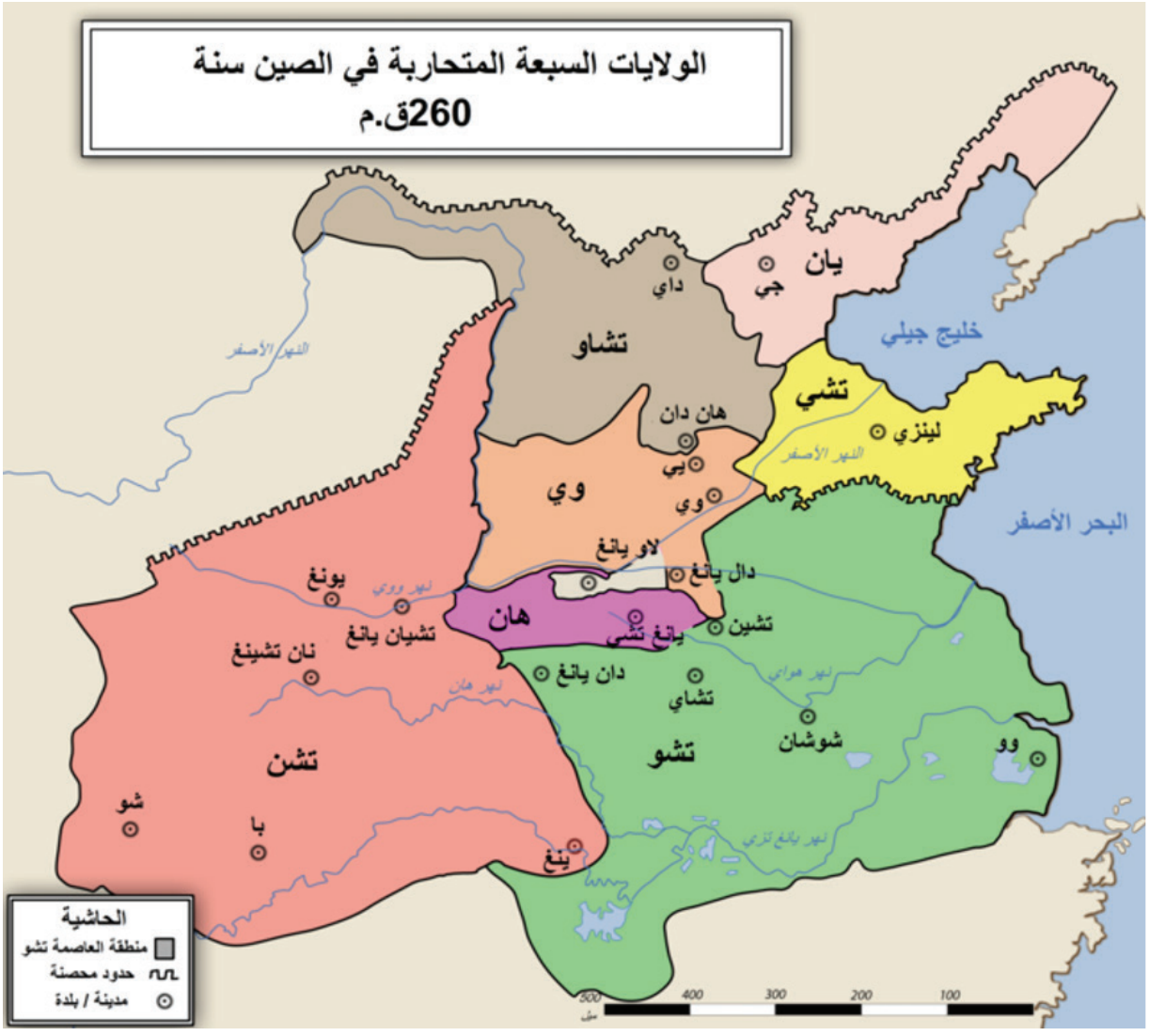

ثانيًا: أبـــرز أفكـــاره

يعد كتاب "فن الحرب"، الذي يحتوي على حوالي ستة آلاف جملة ضمن 13 فصل، يتطرق كل منها لإحدى خصائص الحرب، أحد أشهر أعمال "تزو"، الذي ذاعت شهرته في المحافل العسكرية وبين المتخصصين في العلوم الاستراتيجية؛ حتى عُرف باسم "الكتاب المقدس" للدراسات العسكرية. وقد استخدمت الأفكار النظرية والفلسفية الواردة فيه في العديد من المجالات سواء العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية أو الإدارية. وفي كتابه، أوضح "تزو" أن هناك 5 عوامل ثابتة يجب أن تُؤخذ في الاعتبار عند وضع الخطط العسكرية في ميادين المعارك، وهذه العوامل هي: القانون الأخلاقي، والسماء، والأرض، والقائد، والنظام العام. وعلاوة على ذلك، فإن شن الحرب يجب أن يكون حاسمًا، فإن تأخر النصر، فقد الجندي روح القتال وانهار معنويًا. وإن طال أمد الحرب، لن تواكب موارد الدولة نزيف النفقات العسكرية. ولذلك، شدد "تزو" على أنه يجب أن يتمثل هم المقاتل الأول في تحقيق النصر لا إطالة أمد الحملات العسكرية.

وفي هذا السياق، أكد "تزو" أن التطبيق الأفضل لفن الحرب هو احتلال مدينة العدو كاملة وسالمة دون تقسيمها أو تدميرها، مشيرًا أنه من الأفضل ضرب استراتيجية العدو ثم ضرب تحالفاته ثم مهاجمة جيوشه، مع تجنب مهاجمة المدن المحصنة إلا عند الضرورة.

ومن أشهر مقولاته: "إذا كنت تعرف العدو وتعرف نفسك، فلا حاجة بك للخوف من نتائج مئة معركة. وإذا عرفت نفسك لا العدو، فكل نصر تحرزه سيقابله هزيمة تلقاها. وإذا كنت لا تعرف نفسك أو العدو، ستنهزم في كل معركة". فوفقًا له، معرفة العدو تكفل للمحارب المعرفة بكيفية الدفاع، ومعرفة النفس تكفل للمحارب المعرفة بكيفية الهجوم الذي هو سر الدفاع (أي التخطيط للهجوم).

بالإضافة إلى ذلك، شدد "تزو" على أن التحصن ضد الهزيمة يستلزم اتباع التكتيكات الدفاعية، مشيرًا إلى أن قمة التميز هي: التخطيط بسرية كاملة، والتحرك بحذر شديد، وإفساد مخططات العدو. كما حدد "تزو" خمسة عناصر لفن الحرب، هي: تقدير قوة العدو، وحساب حالة العدو، ووضع قيمة رقمية لقوة العدو، ومقارنة قوة الخصمين، وتحليل نتيجة تلك المقارنة.

كما أوضح أن من يصل أولًا إلى أرض المعركة يشعر بالراحة، وأن من يصل متأخرًا ويندفع للقتال يشعر بالإنهاك. لذلك، فإن المقاتل الجيد يستدرج العدو إلى أرض المعركة، ولا يدع العدو يستدرجه. كما رأى أنه يجب مراقبة العدو لمعرفة قدراته وعيوبه واستفزازه لمعرفة النهج العام لتحركاته واختباره بمناورة صغيرة لمعرفة نقاط ضعفه ونقاط قوته. كما أكد أنه يجب الذهاب إلى حيث لا يتوقع العدو، كما يجب الهجوم بأعداد كبيرة ضد قوات العدو القليلة العدد دون معرفة أحد بموقع الهجوم، حيث يجب على العدو أن يستعد للهجوم في أكثر من مكان مختلف، فتكون قواته متفرقة ومشتتة في اتجاهات مختلفة، فيقل عددها.

وفي سياق متصل، أكد "تزو" أنه من لا يعرف خطط العدو لا يمكنه الاقتراب منه قبل المعركة، ومن يجهل معالم الغابات والجبال والممرات الضيقة الوعرة والمستنقعات لا يمكنه قيادة جيشه نحو العدو، مشيرًا إلى أن من يستطع استغلال الطرق الملتوية والطرق المستقيمة يحرز النصر، وهذا هو فن المناورة في التقدم. وقد حذّر من عدة أمور منها: وجود طرق لا يفترض المرور بها تجنبًا لأي فخ، ووجود جيوش لا ينبغي مهاجمتها، ووجود مدن لا ينبغي حصارها، ووجود أوامر تصدر عن الحاكم دون الحاجة إلى تنفيذها في بعض الأحوال. علاوة على ذلك، أشار "تزو" إلى أن هناك خمسة أخطاء تؤثر في القائد العسكري وعلى قدرته على إدارة الحرب، هي: التهور، والجبن، وحدة الطبع، والحساسية الزائدة، والقلق المفرط.

وفي هذا الإطار، رأى أنه عندما يفاوض العدو بكثير من التواضع في الوقت الذي يتابع فيه استعداداته فإنه سيهاجم، وعندما يتحدث العدو بشكل مخادع واستفزازي في الوقت الذي تتقدم فيه وحداته بشكل استعراضي فإنه على وشك الانسحاب. كما أوضح "تزو" عددًا من القواعد للتعامل مع العدو، وهي: اختراق الجبال، والبقاء بالقرب من الوديان، وعدم مهاجمته عند

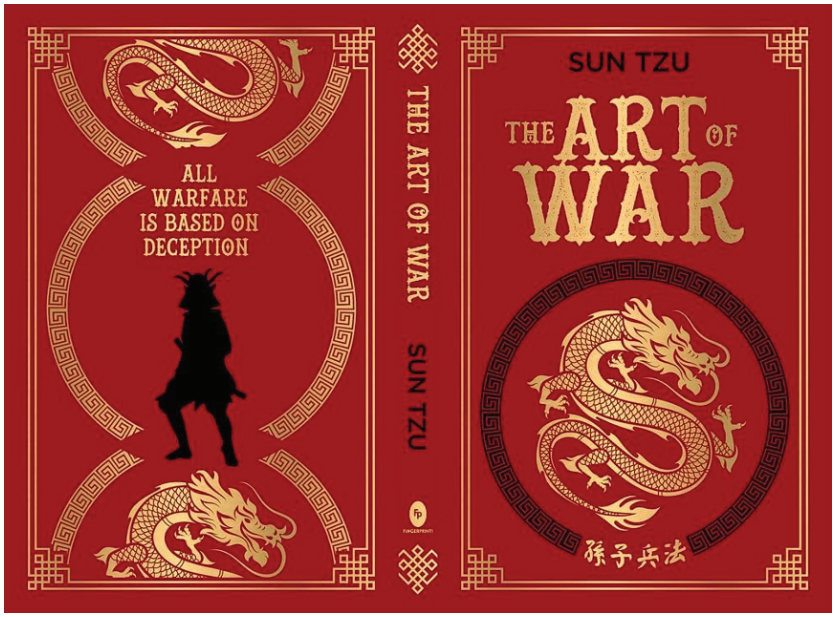

حافـة النهـر. كمـا أكـد أن مشـاهدة العصافيـر وهـي تتطاير مـن إحـدى الغابـات تعنـي أن العـدو يعـد كمينًـا، وأن مشـاهدة سـحب الغبـار المرتفعـة عموديًـا بشـكل مفاجـئ تعنـي أن العربـات قادمـة، وأن ارتفـاع سـحب الغبـار المنخفضـة والكثيفـة والعريضـة يعنـي أن مشـاة العـدو يقتربـون.

كمـا أكـد أنـه إن عـرف المقاتـل عـدوه ونفسـه، فالنصـر لـن يصبـح محـلًا للشـك، وإن عـرف طبيعـة سـماء وأرض المعركـة، فسـيكون انتصـاره انتصـارًا كاملًا. كما أوضـح أنـه على القائـد أن يضع الجنـود فـي مواقـف لا مهـرب منهـا، لأنهـم فـي ذلـك الوقـت سـيفضلون المـوت علـى الفـرار، عندئـذ سـيبذل الجنـود والضبـاط معًـا أقصـى مـا لديهـم مـن طاقـات. عـلاوة علـى ذلـك، أشـار "تـزو" إلـى خمـس طـرق للحـرق بالنـار، هـي إحـراق: جنـود العـدو في معسـكراتهم، ومخـازن العـدو، ووسـائل النقـل والإمـدادات، وأسـلحة العـدو، وأخيـرًا إشـعال النـار بيـن صفـوف العـدو.

كمـا حـدد أيضًـا خمسـة أنـواع مـن العمـلاء السـريين الذيـن يمكـن اسـتخدامهم، هـم: العمـلاء المحليـون، وعمـلاء الداخـل، والعمـلاء المزدوجـون، والمضللـون، والاسـتراتيجيون. وعندمـا تبـدأ تلـك الأنـواع الخمسـة مـن العمـلاء بالعمـل معًـا دون أن يعـرف أحـد أسـاليبها فتسـمى "شـبكة مقدسـة" تشـكّل كنـزًا للحاكـم.

ثالثًا: أهمية أفكاره وتداعياتها

تُعـد أفـكار "تـزو" أقـدم مرجـع تاريخـي منـوط بالتفكيـر الاسـتراتيجي والخطـط العسـكرية، وقـد تُرجـم كتابـه "فـن الحـرب" إلـى 29 لغـة، وهنالـك أكثـر مـن نسـخة عربيـة منـه. وقـد اسـتطاع "تـزو" أن يؤكّـد مـن خـلال كتابـه أن الحـرب فكـر وفـن لا قتـال ودمـاء، وأن القائـد المثالـي هـو الـذي يعـرف كيـف يجمـع بيـن صلابـة الموقـف والثبـات علـى المبـدأ وبيـن المرونـة واللين، وكيـف يأخـذ فـي الاعتبـار المواهـب الفرديـة. كمـا ناقـش كتابـه المعـارك الحربيـة، وقـدم فلسـفة مفادهـا أن الحـرب مهمـا كانـت نتائجهـا قـد تكـون غيـر فعالـة فـي بعـض الأحيـان، لأن أعلـى فنـون الحـرب هـو تجنـب المعـارك ابتـداءً، وتدميـر العـدو مـن الداخـل عبـر تقويـض قيمتـه فـي مجتمعـه.

وتكمـن الأهميـة الفائقـة للكتـاب في بقـاء معظـم ما ورد فيـه مـن مبـادئ صالحـة للتطبيـق حتـى يومنـا هـذا فـي مختلـف المجـالات. كمـا أثـر الكتـاب فـي "نابليـون بونابـرت" والأركان العامـة الألمانيـة. كمـا كان ملهمًـا لزعمـاء عالمييـن مثـل "مـاو تسـى تونـج". كما حرصـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة على تزويـد كل الجنـود الأمريكييـن بنسـخة منـه أثنـاء حـرب تحريـر الكويـت. كمـا اعتـادت الشـركات اليابانيـة عقـد جلسـات عمـل للتفكيـر والتأمـل فيمـا ورد فيـه مـن نصائـح لتطبيقهـا فـي جميـع مجـالات التجـارة، كمـا تطبـق الشـركات الصينيـة مبـادئ الكتـاب فـي غزوهـا للأسـواق الخارجيـة. وعندمـا واجهـت كوريـا الجنوبيـة ضغطًـا خارجيًـا مـن أجـل تحريـر سـعر صـرف عملتهـا وفتـح أسـواقها أمـام التجـارة الخارجيـة، لجـأت إلـى كتـاب "فـن الحـرب" لتطبـق اسـتراتيجياته فـي معتـرك التجـارة العالميـة الحـرة.

ختامًـا، كان "تـزو" بالتأكيـد أكثـر مـن مجـرد محـارب قديـر أو جنـرال متبحـر فـي اسـتراتيجيات القتـال وكسـب المعـارك؛ فقـد كان رجـلًا ذا بصيـرة فلسـفية عميقـة، تمكـن مـن تحويـل أفـكاره النظريـة إلـى خبـرات عمليـة علـى أرض الواقـع. ويعـد كتابـه واحـدًا مـن أهـم 100 كتـاب فـي تاريـخ البشـرية، حيـث تعـد فصولـه الثلاثـة عشـر ذات مغـزى تكتيكـي؛ فهـو لا يركـز علـى تحقيـق النصـر فحسـب، بـل أيضًـا علـى تجنـب الهزيمـة وتقليـل وتفـادي الخسـائر بأكبـر قـدر ممكـن. وقـد شـرح الكتـاب كيـف يمكـن تحقيـق النصـر مـع تجنـب القتـال. وأهـم مـا يميـزه كونـه لا يـزال صالحًـا للتطبيـق حتـى يومنـا هـذا فـي مجـال إدارة الصراعـات عمومًـا، وليـس الصـراع العسـكري فحسـب، حيـث قـال "تـزو" إن "مـا يصلـح للتطبيـق في الحـرب، يصلـح للتطبيـق في الحيـاة اليوميـة".

حالــة التسلـــح

يلقي قسم "حالة التسلح" الضوء على طبيعة وأبعاد عملية التحديث العسكري الصيني الذي طال مختلف أفرع وقيادات الجيش الصيني على نطاق واسع، وهو الأمر الذي انعكس على: التدريبات العسكرية، والمناورات البحرية، والمحاكاة العملية، وتصنيع الأسلحة المتطورة، ودقة الذخائر الذكية، وغير ذلك. كما يُولِي هذا القسمُ الاهتمام بدرجة التطور الذي شهدته الطائرات الموجهة بدون طيار في ظل تعدد استخداماتها وتعاظم أدوارها في الصراعات الدولية، تأكيدًا على أن التطور في وسائل الهجوم الجوي لا بد أن يقابله تطور مماثل في وسائل الدفاع الجوي.

التحديث العسكري الصيني: على قدم وساق

يجري الجيش الصيني عملية تحديث عسكري واسعة النطاق تطال مختلف أفرعه وقياداته. وعليه، شهدت القوات البحرية والجوية تكثيف العمليات التدريبية وتنفيذ عمليات تدريبية متخصصة على شاكلة التدريبات البرمائية الهجومية لاختراق الشواطئ والاستيلاء عليها. وقد حظي سلاح الجو والبحرية وسلاح المدفعية، وبالأخص الصاروخية، بالنصيب الأكبر من عملية التحديث تلك. ومن المتوقع استمرار المناورات الضخمة لمحاكاة سيناريوهات مستقبلية محتملة (كغزو تايوان على سبيل المثال)، باتت هي عماد عمليات التمويه والمناورة والخطط الخداعية. ومن ثَمّ، تتعدد الجهود الصينية للتطوير والتوسع في تصنيع الأسلحة المتطورة والذخائر الذكية تحديداً، كي تكون قادرة على التعامل مع المخاطر المستقبلية بالزخم القتالي المناسب.

د. مينا عادل

الباحث بوحدة التسلح،

بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

أولًا: العوامل الرئيسية في اختيار المنظومات التسليحية

تركز الصين على بناء قوة دفاع وقوى عسكرية وطنية حديثة بالكامل بحلول عام 2035 كي يصبح الجيش الصيني جيشًا من الطراز العالمي بحلول عام 2049. **وذلك وفقًا للعوامل التالية:**

1. **الاستراتيجية العسكرية العامة:**

تتبنى الصين استراتيجية تُعرف باسم (A2/AD)؛ إذ يعني (A2) منع الدخول، وهو مجموعة من الإجراءات التي من شأنها إبطاء وصول قوات الخصم لمسرح العمليات أو حتى العمل من مسافات بعيدة، فيما يعني (AD) إنهاء الوجود، وهو مجموعة من الإجراءات التي من شأنها إعاقة عمليات المناورة لقوات الخصم داخل مسرح العمليات. فإن بدأت العمليات الهجومية، تهددت قوات الخصم في خطوطه الأمامية، وبات الهدف هو إحباط القوات الداعمة للولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة، بجانب الحصول على الزخم القتالي المناسب، والنجاح في عملية تشتيت المجهود القتالي للخصم عن طريق فتح أكثر من جبهة قتالية في وقت واحد.

2. **"استراتيجية القوى النارية المشتركة الصينية":**

وهي عبارة عن هجمات متعددة بالصواريخ جوًا وبحرًا وبرًا في حزمة واحدة في كل هجوم متعدد الطبقات، هدفه استنزاف وحرمان قوات الخصم من قدرات القيادة والسيطرة وتقويض قدرته على تقديم حلول دفاعية سريعة. ولكي يتحقق ذلك، يمتلك الجيش الصيني غرف عمليات للقيادة متكاملة ومعززة بمنظومات الرصد والاستخبارات لرسم صورة إلكترونية كاملة للميدان لتحديد الأهداف بالتكامل مع مختلف أفرع الجيش عن طريق القيام بهجوم ثلاثي الموجات عمادها ضرب مراكز القيادة وإحداث شلل في اتخاذ القرارات، ثم استهداف الأهداف العسكرية المتمثلة في تجمعات القوات والمخازن اللوجستية، ثم مهاجمة ما تبقى لدى العدو بعد كلا الهجومين السابقين. والجدير بالذكر أن هذا المفهوم لم تستكمل الصين بعد الخطط الرامية إلى تحقيقه، ولا سيما في شقه البحري وفي مخزون القذائف الموجهة.

لقد اهتم الجيش الصيني بإدخال العديد من المنظومات الحديثة وتحسين كفاءتها لرفع الفاعلية القتالية في غرب المحيط الهادئ، ولذلك تستهدف الصين امتلاك اثنتين من حاملات الطائرات وبخاصة تلك التي تستطيع أن تُطلق الطائرات بواسطة "المقلاع" (CATOBAR) في عام 2024 بشكل مماثل للحاملات الأمريكية؛ مما يعزز قدرة الطائرات على تحمل عتاد وذخائر بالمقارنة بالطائرات المعتادة، مع تطوير العديد من الصواريخ البالستية وصواريخ كروز، وامتلاك صواريخ (DF17) و(YJ- 21) ذات المركبات الانزلاقية التي تفوق سرعتها سرعة الصوت، وزيادة عدد طائرات الجيل الخامس المقاتلة.

كما يعمل الجيش الصيني أيضًا على تطوير ونشر تقنيات جديدة لتعزيز قدرته على معالجة واستخدام المعلومات على نطاق واسع وبسرعة كبيرة في غرف العمليات بشكل مماثل أيضًا للمنظومات الغربية؛ مما يسمح لصانعي القرار بالتخطيط وتحليل المعلومات الاستطلاعية والإنذار المبكر وتقديم الدعم القتالي غير التقليدي في البحر والبر والجو، بالاعتماد بشكل رئيسي على مختلف تطبيقات الذكاء الاصطناعي، بما في ذلك دعم توجيه الصواريخ، واكتشاف الأهداف وتحديدها، مع التوسع في تصنيع الأنظمة غير المأهولة.

ثانيًا: تطـــورات الأسلـحة والأفـــرع النوعيـــة

لا تزال الصين ثابتة على استراتيجيتها في نشر أنظمة فضائية ذات قدرة متزايدة بحلول عام 2030، ومن المحتمل أن تحقق الصين مكانة عالمية في جميع مجالات تكنولوجيا الفضاء مثل: الاستخبارات الفضائية والمراقبة والاستطلاع ISR، فضلًا عن الملاحة والاتصالات عبر الأقمار الصناعية. كما تقوم الصين بتطوير أقمار صناعية تحوم في المدار الأرضي المنخفض، بالتوازي مع التوسع في نشر وتصميم وتصنيع أسلحة مضادة للأقمار الصناعية (ASAT) مثل: صواريخ (SC- 19)، وأجهزة الطاقة المُوجّهة "الليزر" التي يمكن إطلاقها من أقمار صناعية صينية. بيد أن ذلك المشروع لا يزال قيد التطوير مع الأقمار الصناعية الصغيرة التي من الممكن أن يتم استخدامها بشكل انتحاري بجانب أنظمة الحرب الإلكترونية التي يمكنها التأثير سلبًا في إشارة GPS أو الاتصالات لعرقلة عمليات توجيه الذخائر الموجّهة والقيادة والسيطرة.

أما سلاح الجو الصيني، فركز العمل على تصنيع وامتلاك أنواع محددة من الطائرات المقاتلة على المستوى التكتيكي وتعزيز قدرتها **لاستخدام الذخائر الموجهة بعيدة المدى وتحديدًا:**

- **طائرات (J-10)** وتحديدًا النسخة (C) ذات القدرة على المناورة بشكل أفضل من النسخة الحديثة مع الرادار المتطور ذي المصفوفة الإلكترونية (AESA) بعيد المدى. ويرجع الاهتمام بها كي تحل محل الطائرات روسية المنشأ أو مثيلتها الصينية محلية الصنع؛ إذ توفر الطائرة ميزات تكتيكية بالمفهوم الغربي لطائرات الجيل الرابع المتقدم التي تشمل الذخائر الموجهة والصواريخ جو/جو بعيدة المدى.

- **طائرات (J-16)** بنسختيها المعتادة والمخصصة للحرب الإلكترونية، حيث تحل بديلًا عن الطائرات الروسية من طراز (SU-30/35) بشكل تدريجي في المهمات القتالية. وقد تم تطويرها مع محركات محلية الصنع بقدرة أكبر وحزمة إلكترونية محلية متكاملة ومتطورة مع تسليح بعيد المدى بجانب الاهتمام بالنسخة الأحدث (D) المزودة بحواضن التشويش الإلكترونية لترافق التشكيلات الهجومية وتحميها من الدفاعات الجوية.

- **مقاتـلات الجيـل الخامـس (J-20)** والتـي مـرت بالعديـد مـن مراحـل التطويـر وتعديـل التصميـم، لتصـل لنسـختها الحاليـة، لتقـوم بمهمـات السـيطرة الجويـة بواسـطة التسـليح بعيـد المـدى والـرادار المتطـور مـع محاولـة تطويرهـا لترافـق المُسـيَّرات الجويـة المقاتلـة مـن الجيـل الجديـد (Loy-al Wingman) مثـل (FH-97) و(GJ-11).

- **قاذفـات تكتيكيـة (JH-7)** بنسـختها المتطـورة (A2) ذات القـدرة علـى حمـل ذخائـر مُوجّهـة بعيـدة المـدى وحاضن توجيه متطـور ومنظومـة دفاعيـة متطـورة دفاعيـة للتشـويش علـى الدفاعـات الجويـة.

- **القاذفـات الاسـتراتيجية مـن طـراز (Xian H-6)** لإمكانيـة حمـل صواريـخ بالسـتية معدلـة لتطلـق مـن الجـو مثـل (DF-21) وقـدرة علـى إطـلاق المُسـيَّرات الجويـة التـي تسـتطيع الطيـران بسـرعات تفـوق سـرعة الصـوت ثـلاث مـرات مـن طـراز (WZ-8).

وعلـى صعيـد البحريـة الصينيـة، اقتربـت الصيـن مـن امتـلاك حاملـة الطائـرات فوجيـان (Type-003) مـع القـدرة علـى اسـتخدام "مقـلاع" (CATOBAR)؛ ممـا يسـمح بقـوة جويـة بفاعليـة قتاليـة أكبـر بالمقارنـة مـع الحامـلات الحاليـة (لياونينـغ Type-001) و(شـاندونغ Type-002). ومـن المتوقـع مـن الحاملـة الجديـدة أن تدخـل الخدمـة فـي عـام 2025. ولديهـا القـدرة علـى حمـل أكثـر مـن 50 طائـرة متعـددة المهـام مـن طـراز (J16/15) بمختلـف النسـخ.

فـي أغسـطس 2023، أضيفـت نسـخة جديـدة مـن الفرقاطـة (B) بحجـم أكبـر وأكثـر فاعليـة، ومـن المتوقـع أن تشـكل إضافـة رئيسـة إلـى أسـطول الميـاه الزرقـاء ومجموعـات المهـام المسـتقبلية ليتـم نشـرها فـي مناطـق بعيـدة. ويتميـز الطـراد الصينـي بقـدرة كبيـرة علـى حمـل صواريـخ الدفـاع الجـوي بمديـات مختلفـة تصـل إلـى 112 صاروخًـا مـع القـدرة علـى حمـل صواريـخ مضـادة للسـفن وطوربيـدات لفـرض سـيطرة بحريـة كاملـة علـى قطـاع العمليـات المنـوط بهـا العمـل بـه.

ولقـد واصلـت البحريـة أيضًـا تطويـر قدراتهـا فـي الشـق الهجومـي مـن خـلال سـفن الهجـوم البرمائـي (Type-075 LHD) لتمتلك البحرية الصينية السـفينة الرابعـة فـي عـام 2023. ولـدى السـفينة القـدرة علـى حمـل 60 مدرعـة و800 فـرد مقاتـل مـع تجهيزاتهـم كاملـة مـع 28 طائـرة هليكوبتـر مروحيـة. ويبـدو أن الاهتمـام بتطويـر وتصنيـع الأسـطول البحـري فـي سـفن السـطح قـد تباطـأ بالتـوازي مـع زيـادة التركيـز علـى تطويـر الغواصـات. وتشـمل هـذه الجهـود تطويـر الجيـل الجديـد مـن الغواصـات (Type-95) الهجوميـة التـي تعمـل بالطاقـة النوويـة والغواصـة الحاملـة لصواريـخ بالسـتية والتـي تعمـل بالطاقـة النوويـة و(Type-96)، وهـو الجيـل الجديـد مـن الغواصـات الصينيـة الـذي يقـارن مـع الغواصـات الروسـية فـي قـدرة الاختفـاء والتسـليح.

ولقـد توسـع الجيـش الصينـي فـي تصنيـع وتطويـر قدراتـه الصاروخيـة مؤخـرًا مثـل الصواريـخ البالسـتية مـن طـراز (DF- 26) الحاملـة للـرءوس النوويـة والمعتـادة لاسـتبدال الأنـواع القديمـة مثـل (DF- 21 mode 4/2) غيـر الحاملـة للـرءوس النوويـة وصواريـخ (DF- 26)، وهـي فـي الأسـاس مخصصـة لضـرب الأهـداف البحريـة مـع القـدرة علـى الهجـوم علـى الأرض بدقـة كبيـرة جـدًا مـع ميـزة اسـتثنائية للتبديـل بيـن الـرءوس الهجوميـة للصـاروخ بسـهولة وبمرونـة كبيـرة.

كمـا تـم أيضًـا تطويـر صواريـخ حاملـة لمركبـات انزلاقيـة فـرط صوتيـة مثـل (DF-27)، وهـذه الفئـة مـن الصواريـخ ظهـرت قدراتهـا فـي الحـرب الروسـية-الأوكرانيـة ولذلـك قـام الجيـش الصينـي بتطويـر ألويـة الصواريـخ مـن طـراز (DF-17/11/15/16) وتطويـر قدراتهـا علـى حمـل مركبـات انزلاقيـة فـرط صوتيـة أيضًـا للهجـوم بعيـد وقريـب المـدى، لزيـادة الفاعليـة القتاليـة. وهـذه الطـرازات مصممـة خصيصـى لمعركـة تايـوان المرتقبـة، وتوجـد تحـت قيـادة الجبهـة الشـرقية الصينيـة.

يسـتمر الجيـش الصينـي، ولكـن بشـكل أقـل تركيـزًا، فـي تطويـر ترسـانة الصواريـخ العابـرة للقـارات متعـددة الـرءوس الحربيـة مـن طـرازي (DF- 41) و(DF- 31)، والحفـاظ علـى قـدرة هـذه الصواريـخ علـى الحركـة مـن خـلال مركبـات قتاليـة مخصصـة لهـذا الغـرض. كمـا يتـم تطويـر خلايـا إطـلاق صواريـخ (DF- 5) القديمـة التـي يصـل عددهـا إلـى 330 خليـة، ولكـن سـيتم الحفـاظ علـى بعضهـا كـي تسـتطيع إطـلاق الصواريـخ لتشـتيت جهـود الخصـم لتحييدهـا.

وختامًـا، لا شـك فـي اسـتمرار التحديـث العسـكري الصينـي بوتيـرة مضطـردة كـي يتناسـب مـع التهديـدات الأمنيـة المعاصـرة، والتـي لا تقتصـر علـى جزيـرة تايـوان فحسـب، بـل تطـال أيضًـا إمكانيـة خـوض معـارك معقـدة فـي المحيـط الهـادي ضـد الأسـطول الخامـس الأمريكـي وحلفائـه مـن الـدول الآسـيوية، وحتـى القـوات الأوروبيـة التـي بـات لهـا موطـئ قـدم مؤخـرًا فـي المنطقـة مـن خـلال المنـاورات العسـكرية فـي اليابـان وأسـتراليا، حيـث تتشـكل تكتـلات عسـكرية جديـدة بغـرض الـردع الكامـل لأي تطلعـات صينيـة فـي المنطقـة، وهـو مـا تراقبـه الصيـن مـن خـلال التدريبـات العسـكرية المختلفـة فـي المنطقـة، ولذلـك بنيـت اسـتراتيجيتها العسـكرية علـى هـذا الأسـاس، وامتلكـت مـن الأسـلحة -التـي تطورهـا فـي الوقـت الحالـي- بمـا يناسـب هـذا الغـرض.

مستقبل الدفاع الجوي في ظل تعاظم استخدام الطائرات الموجهة بدون طيار

انعكس التطور التكنولوجي الذي حدث في النصف الثاني من القرن العشرين على وسائل وأسلحة الهجوم الجوي بصفة عامة، ومنها الطائرات الموجهة بدون طيار بصفة خاصة؛ مما أدى إلى تعاظم دورها في الصراعات بين الدول. ونتيجة لذلك، اهتمت الدول المنتجة للطائرات بدون طيار بإنتاج أنواع عديدة ومختلفة منها لاستخدامها في تنفيذ العديد من المهام التي كانت تكلف بها طائرات القتال التقليدية، وقد شملت هذه المهام الاستطلاع والتصوير والمراقبة وأعمال الحرب الإلكترونية ووسائل الدفاع الجوي. وقد برز دورها الفعال في المعارك والحروب الحديثة (حرب الخليج الثانية- حرب أفغانستان- الحرب الروسية-الأوكرانية)، فضلًا عن استخدامها بواسطة الجيوش غير النظامية في مهاجمة الأهداف الحيوية والاغتيالات السياسية كإحدى وسائل "الحرب الهجينة".

اللواء أ.ح.م/ مجدي حجازي

مستشار بالأكاديمية العسكرية للدراسات العليا والاستراتيجية

ولا شـك أن التطـور فـي وسـائل الهجـوم الجـوي دائمًـا مـا يقابلـه تطـور فـي وسـائل الدفـاع الجـوي. لـذا؛ أصبـح مـن الضـروري لتلـك الوسـائل أن تواكـب التطـور فـي اسـتخدام الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار سـواء فـي مرحلـة إطلاقهـا أو فـي مرحلـة طيرانهـا قبـل تحقيـق أهدافهـا.

أولًا: استخدامات وتصنيفات الطائرات الموجهة بدون طيار

طبقًا لتعريف وزارة الدفاع الأمريكية فإن الطائرات الموجهة بـدون طيـار هـي مركبـات هوائيـة، تمتلـك طاقـة ذاتيـة، ولا تحمـل أي عنصـر بشـري علـى متنهـا. وتعتمـد علـى القـوى الهوائيـة الديناميكيـة لإدامـة تحليقهـا، وتطيـر بشـكل مسـتقل أو يتـم التحكـم فيهـا عـن بعـد، وقـد تكـون قابلـة أو غيـر قابلـة للاسـترداد. وتحمـل ذخائـر قتاليـة أو غيـر قتاليـة مثـل الكاميـرات والمستشـعرات. وقـد سـميت بمسـميات عـدة، مثـل: الدرونـز، والمركبـات الموجهـة عـن بعـد (Rpn)، والطائـرات الموجهـة عـن بعـد Rpa))، وغيـر ذلـك مـن مصطلحـات تصـف الطائـرات التـي لا يوجـد أشـخاص علـى متنهـا، وتطيـر تحـت السـيطرة البشـرية مـن خارجهـا. وغالبًـا مـا يطلـق علـى جميـع المسـميات السـابقة اسـم الطائـرات بـدون طيـار Uav))، وعنـد دمجهـا مـع محطـات التحكـم الأرضيـة وربطهـا بوصـلات للبيانـات، فإنهـا تتحـول إلـى أنظمـة جويـة غيـر مأهولـة Unnoned Aerial system (Uas-).

وتشـمل اسـتخداماتها العسـكرية تنفيـذ جميـع أنـواع الاسـتطلاع للعمـق التكتيكي/التعبـوي/ الاسـتراتيجي بمجموعـات طائـرات صغيـرة وعمـل اسـتطلاعات مختلفـة للحصـول علـى المعلومـات اللازمـة للتخطيـط للعمليـات أو معرفـة نتائـج أعمـال القتـال السـابقة. هـذا بجانـب تنفيـذ أعمـال الحـرب الإلكترونيـة بأنواعهـا لتأييـد أعمـال قتـال القـوات وإحـداث شـلل وارتبـاك لنظـم القيـادة والسـيطرة العسـكرية وحمـل وسـائل الاتصـال ونقـل معلومـات لزيـادة مـدى وكفـاءة وسـائل الاتصـالات العسـكرية. ناهيـك بتدميـر وسـائل الاسـتطلاع والكشـف المعاديـة سـواء كانـت محطـات رادار أو مراكـز قيـادة أو وسـائل الإتصـال والإنـذار. وتشـمل اسـتخداماتها الأخـرى: الاسـتطلاع الإشـعاعي والكيميائـي واكتشـاف حقـول الألغـام، وإضـاءة الأهـداف المعاديـة بالليـزر لصالـح الأسـلحة التـي سـتقوم بتدميرهـا، وتدميـر تجميعـات العـدو البريـة والبحريـة مـن خـلال اسـتخدامها كقذائـف مـن الجـو، وأعمـال القتـال الجـوي ضـد الطائـرات مـن خـلال هجمـات جويـة محـدودة أو منفصلـة.

وفيمـا يلـي التصنيـف العـام للطائـرات الموجهـة بـدون طيـار، وذلـك علـى النحـو التالـي:

1. التصنيف طبقًا للوزن والأبعاد:

- الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار الصغيـرة جـدًا(very small uav)، وتحتـوي علـى ثلاثـة أنـواع رئيسـية (Nono, micro, Mini)، ولا يتعـدى طولهـا 50 سـم.
- الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار الصغيـرة (Small uav)، وهـي الأنـواع التـي يتـراوح طولهـا مـا بيـن (0.5 - 2) م.
- الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار المتوسـطة (Medium uav))، وهـي أولـى النوعيـات التـي لا يمكـن حملهـا أو تداولهـا لشـخص واحـد، ويتـراوح طولهـا مـا بيـن (5 - 10) م، وتتـراوح حمولتهـا مـا بيـن (100 - 200) كجـم.
- الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار الكبيـرة (large uav))، وهـي النوعيـات الأكثـر طـولًا ووزنًـا بالمقارنـة بالنوعيـات السـابقة.

2. التصنيف طبقًا لمدى العمل وزمن البقاء في الجو:

- بدائيـة الصنـع ذات التكلفـة الماديـة القليلـة وذات مـدى العمـل القصيـر جـدًا، ويصـل نصـف قطـر العمـل إلـى (5) كـم وزمـن البقـاء فـي الجـو (20 45-) دقيقـة، ولا يزيـد ثمـن الطائـرة الواحـدة عـن 10 آلاف دولار.
- ذات مـدى العمـل القصيـر جـدًا، ويصـل نصـف قطـر العمـل إلـى (50) كـم، ويتـراوح زمـن البقـاء فـي الجـو مـا بيـن (6-1) سـاعة.
- ذات مـدى العمـل القصيـر، ويصـل نصـف قطـر العمـل إلـى (15) كـم، ويتـراوح زمـن البقـاء فـي الجـو مـا بيـن (8 12-) سـاعة.
- ذات مـدى العمـل المتوسـط، ويصـل نصـف قطـر مـدى العمـل إلـى (650) كـم، ويتـراوح زمـن البقـاء فـي الجـو مـا بيـن (36-12) سـاعة.
- ذات مـدى العمـل الكبيـر، ويزيـد نصـف قطـر العمـل علـى 650 كـم، وزمـن البقـاء فـي الجـو أكثـر مـن (36) سـاعة.

3. التصنيـف طبقًـا لأسـلوب العمـل وطـرق ووسـائل التوجيـه:

- الأوامـر المباشـرة مـن وحـدة تحكـم عـن بعـد بواسـطة وصلـة نقـل البيانـات حـال تحقـق رؤيـة لا سـلكية مباشـرة تسـتخدم مـع جميـع أنـواع الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار.
- أوامـر تحكـم مـن خـلال وصلـة نقـل بيانـات عـن طريـق القمـر الصناعـي بيـن محطـة التوجيـه والطائـرة، وتسـتخدم مـع الطائـرات ذات المـدى العمـل المتوسـط والكبيـر.
- المسـارات المبرمجـة مسـبقًا لخـط سـير الطائـرة، وتسـتخدم مـع جميـع أنـواع الطائـرات.
- معالجـة ومقارنـة الصـور والخرائـط الأرضيـة المرئيـة الراداريـة، وتسـتخدم الطائـرات ذات العمـل المتوسـط والكبيـر.
- الوسـائل اللاسـلكية الحديثـة لشـبكات المحمـول والإنترنـت، ويحقـق هـذا النـوع القـدرة علـى توجيـه الطائـرة خـارج مـدى الرؤيـة، وتكمـن خطورتـه فـي اسـتخدام شـبكات الاتصـال والبيانـات بواسـطة الجماعـات الإرهابيـة لتوجيـه الطائـرات الصغيـرة جـدًا والصغيـرة.
- تزويـد الطائـرات بباحـث راكـب للشـعاع الـراداري، وذلـك باسـتقبال التـردد الـراداري للهـدف ثـم توجيـه الطائـرة إلـى مصـدر الإشـعاع الـراداري لتدميـره.

ثانيًا: مكونات نظام الطائرات الموجهة بدون طيار

يتكـون نظـام الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار مـن عـدة مكونـات، يمكـن الوقـوف علـى أبرزهـا علـى النحـو التالـي:

1. **هيـكل الطائـرة:** وهـو عبـارة عـن منصـة بسـيطة خفيفـة الـوزن ومسـتقرة، تتميـز بديناميكيـة هوائيـة مـع وجـود مسـاحة لإلكترونيـات وحمولـة الطائـرة.
2. **كمبيوتـر التحليـق:** وهـو بمثابـة القلـب النابـض لنظـام تشـغيل الطائـرة، وهـو مصمـم لجمـع المعلومـات مـن خـلال مجموعـة مـن المستشـعرات وتحليلهـا وعـرض النتائـج واسـتخدامها.
3. **حمولـة وسـائل اسـتطلاع:** مثـل الكاميـرات التلفزيونيـة أو المستشـعرات الحراريـة والراداريـة، ويتـم التحكـم فيهـا بواسـطة كمبيوتـر التحليـق.
4. **الحمولـة القتاليـة:** وهـي مـواد متفجـرة طرفيـة أو زمنيـة طبقًـا لنـوع واسـتخدام الطائـرة.
5. **المحطـة الأرضيـة:** وهـي تمثـل وحـدة التحكـم والتوجيـه مـن الأرض للطائـرة، وتتعامـل بصفـة أساسـية مـع معلومـات كمبيوتـر التحليـق.
6. **وسائل الإطلاق:** وتشمل:

- التحـرك الذاتـي بواسـطة محـرك (مروحـي- نفـاث- توربينـي) علـى أرض مجهـزة.
- الدفـع الصاروخـي مـن قـاذف أرضـي أو مجهـز علـى مركبـة.
- الإطلاق من على القطع البحرية.
- الإطلاق من طائرة نقل أو هليكوبتر.

7. **وسائل استعادة الطائرة: وتشمل:**

- استخدام مظلة تجهز بها الطائرة.
- اسـتخدام الزعافـات لتقليـل السـرعة بعـد ملامسـة الطائـرة لـلأرض.
- اسـتخدام العجـلات فـي الهبـوط علـى الممـرات والأراضـي المجهـزة.
- اسـتخدام النافـذة لتقليـل مسـافة الهبـوط علـى حامـلات الطائـرات.

8. **أنظمـة الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار، وتشـمل:**

- **أنظمـة متعـددة المستشـعرات:** وتضـم: كاميـرات تصويـر (تلفزيونية/حراريـة)، مقـدر مسـافة بالليـزر، نظـام إضـاءة أهـداف بالليـزر، مستشـعر كهروبصـري، معـدات كشـف كيميائـي، أنظمـة قيـاس الإشـعاعات الذريـة، مستشـعرات لقيـاس شـدة العواصـف الرملية، أنظمـة نقـل المعلومـات، نظـام طيـار آلـي.
- **أنظمـة الحـرب الإلكترونيـة:** وتضـم أنظمـة اسـتطلاع وإعاقـة لا سـلكية وراداريـة متنوعـة، ومسـتودعات إعاقـة علـى رادارات الدفـاع الجـوي.
- **الأسـلحة:** وتضـم الصواريـخ الموجهـة راداريًـا/ لاسـلكيًا/حراريًا وبالليـزر، القنابـل الموجهـة بالطـرق المختلفـة، ومسـتودعات الذخائـر الذكيـة.

ثالثًا: مجابهة الطائرات الموجهة بدون طيار

لا تتوقـف مهمـة مجابهـة الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار علـى القـوات المسـلحة بكافـة عناصرهـا، بـل تشـترك جهـات أخـرى فـي مجابهتهـا، **منهـا الجهـات التاليـة:**

1. **أجهـزة المخابـرات وجمـع المعلومـات:** فيمـا يختـص بالوقـوف علـى آخـر المسـتجدات فـي تصنيـع الطائـرات المجهـزة بـدون طيـار وخاصـة فـي الـدول المعاديـة أو فـي الجهـات المناهضـة داخـل الدولـة.
2. **الأجهـزة الأمنيـة والشـرطية:** ويشـمل دورهـا منـع دخـول الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار مـن الخـارج عـن طريـق المنافـذ الطبيعيـة ومنـع دخـول مكونـات تصنيـع الطائـرات المواجهـة بـدون طيـار، وكـذا ضبـط أي جهـات داخـل الدولـة تقـوم بتصنيـع هـذه الطائـرات.
3. **أجهـزة الجمـارك والسـيطرة علـى المنافـذ:** ويتمثـل دورهـا فـي منـع تهريـب الطائـرات المواجهـة بـدون طيـار ومكوناتهـا إلـى داخـل البـلاد.
4. **أجهـزة الاتصـالات ونقـل المعلومـات:** ومهمتهـا إحـكام وتقنيـن اسـتخدام شـبكات الهاتـف وشـبكة المعلومـات الدوليـة والأقمـار الصناعيـة بالتعـاون مـع الجهـات الأمنيـة المختصـة.
5. **أجهـزة التصنيـع الحربـي:** ومهمتهـا تطويـر تكنولوجيـا صناعـة منظومـات مجابهـة للطائـرات الموجهـة بـدون طيـار سـواء فـي مجـال الاكتشـاف أو العمـل ضـد وسـائل نقـل المعلومـات مـن محطـات التوجيـه للطائـرات وكـذا تصنيـع طائـرات موجهـة بـدون طيـار هجوميـة ودفاعيـة.

وتعـد القـوات المسـلحة هـي الجهـة الرئيسـة المسـؤلة داخـل الدولـة عـن مجابهـة الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار، بالتعـاون مـع عـدة جهـات، منهـا:

1. **أجهـزة الاسـتخبارات العسـكرية وجمـع المعلومـات وأجهـزة الاسـتطلاع:** وتتعـاون جميعهـا فـي جمـع المعلومـات عـن إمكانيـات الجيـوش المعاديـة أو المنظمـات الإرهابيـة المعاديـة فـي اسـتخدام الطائـرات المواجهـة بـدون طيـار وقواعـد تجميعهـا وإطلاقهـا.
2. **القـوات الجويـة:** ويتمثـل دورهـا فـي تنفيـذ أعمـال الاسـتطلاع الجـوي للطائـرات الموجهـة بـدون طيـار والإنـذار عنهـا، كـذا تدميـر الطائـرات المواجهـة بـدون طيـار المعاديـة بالتعـاون مـع باقـي أجهـزة القـوات المسـلحة.
3. **عناصـر الحـرب الإلكترونيـة:** وتقـوم باتخـاذ الإجـراءات اللازمـة للاسـتطلاع الإلكترونـي للطائـرات الموجهـة بـدون طيـار ومحطـات توجيههـا، وكـذا التعـاون مـع باقـي وعناصـر

القوات المسلحة في الإعاقة على وصلات نقل المعلومات بين الطائرات الموجهة بدون طيار المعادية ومحطات توجيهها.

4. **عناصر تأمين الحدود من الجهات المختلفة بالقوات المسلحة:** ويتمثل دورها في منع تسرب الطائرات الموجهة بدون طيار من خارج المنافذ الشرعية للدولة، ويمكن أن تكتشف بعض محطات التوجيه القريبة منها باستخدام أجهزة الرؤية المتوفرة لديها وفي حدود إمكانياتها النهارية والليلية.

5. **عناصر البحوث الفنية والتطوير بالقوات المسلحة:** تتعاون مع أجهزة التصنيع الحربي في تصنيع وسائل مجابهة حديثة للعمل ضد الأنظمة المكونة للطائرات الموجهة بدون طيار كمحطات توجيه وصلات وأوساط نقل المعلومات الطائرات وما تحمله من أجهزة وذخائر عسكرية، وكذا إنتاج طائرات موجهة بدون طيار للأغراض الهجومية والدفاعية لصالح القوات المسلحة.

6. **عناصر الدفاع الجوي:** ويتمثل دورها في ملاحقة الطائرات الموجهة بدون طيار بعد إطلاقها لمنعها من تنفيذ مهامها.

هذا، ويتعدد دور ومهام وعناصر الدفاع الجوي في مجابهة الطائرات الموجهة بدون طيار، وهو ما يمكن الوقوف عليه من خلال النقاط التالية:

يتمثل دور وسائل الدفاع الجوي لمجابهة الطائرات المواجهة بدون طيار فيما يلي:

- اكتشاف الطائرات الموجهة بدون طيار منذ لحظة إطلاقها وارتفاعها عن سطح الأرض ووسيلة إطلاقها.
- إنذار باقي عناصر القوات المسلحة عن الطائرات الموجهة بدون طيار وأماكن اكتشافها وخطوط سيرها ومواصفات الطائرات من حيث السرعة واتجاهات سيرها المحتملة.
- تدمير الطائرات الموجهة بدون طيار باستخدام وسائل تدمير مختلفة تقليدية وغير تقليدية طبقًا لإمكانيات وخواص وسائل القتال المتيسرة للدفاع الجوي.

هذا، ويرتكز الفكر العالمي لعناصر الدفاع الجوي في مجابهة الطائرات الموجهة بدون طيار على محورين رئيسيين طبقًا لحجمها ونوعها وطريقة توجيهها، وذلك كما يلي:

1. **طريقة الكشف والتدمير التقليدي:** يتم استخدام هذة الطريقة للتعامل مع الطائرات كبيرة الحجم التي يزيد طولها على (10) م وعلى ارتفاع عمل أكثر من 10 كيلو متر، وتتم عملية الكشف باستخدام أجهزة الرادار طبقًا لإمكانيتها. ويتم تدمير الطائرات باستخدام الوسائل الإيجابية المناسبة لنوع وحجم وسرعة ومساحة مقطع الطائرة.

2. **طريقة الكشف والتدمير غير التقليدية:** تستخدم في اكتشاف ومجابهة الطائرات الصغيرة ومتناهية الصغر بالطرق والوسائل غير التقليدية مثل الإعاقة الإلكترونية على الطائرات ووسائط ووسائل وأوساط نقل المعلومات وكذا طاقة الليزر الموجهة أو باستخدام طائرات موجهة بدون طيار تصادمية.

وبشكل عام، تتكون أي منظومة دفاع جوي من ثلاثة عناصر رئيسية هي: عناصر الاستطلاع والإنذار، وعناصر النيران الإيجابية بأنواعها (صواريخ ومدفعية مضادة للطائرات)، ومراكز القيادة والسيطرة. وفيما يلي يمكن الوقوف على **بعض التحديات التى تواجه كل عنصر من هذه العناصر:**

1. **التحديات التى تواجه عناصر الاستطلاع والإنذار: وتشمل:**

- صغر مساحة المقطع الراداري خاصة في الطائرات الصغيرة ومتناهية الصغر.
- طلاء سطح الطائرات بمواد ماصة للإشعاع الراداري وتصنيع جزء كبير من جسم الطائرات من اللدائن لتحقيق الإخفاء الراداري.
- استخدام دهانات بألوان خاصة للخداع البصري.
- الإخفاء الصوتي باستخدام محركات عديمة أو قليلة الضوضاء.

2. **التحديات التى تواجه عناصر القتال الإيجابية (الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات): وتشمل:**

- الهجوم بأعداد كبيرة من الطائرات الموجهة بدون طيار يؤدي إلى تشتيت الصواريخ واستنزافها.
- صغر مساحة البصمة الرادارية أو الحرارية أو الصوتية يؤدي إلى صعوبة اكتشافها بواسطة الصواريخ بكل طرق توجيهها.
- زيادة عدد الطائرات وزيادة زمن بقائها في الجو يؤدي إلى زيادة فترات تشغيل محطات توجيه وإطلاق الصواريخ أو أجهزة الحواسب بها، ويترتب عليه زيادة معدلات الأعطال والاستهلاك غير الاقتصادي.

3. **التحديات التي تواجه عناصر القيادة والسيطرة:**

- زيادة عدد الطائرات يؤدي إلى شلل وإرباك مراكز القيادة والسيطرة.
- زيادة كثافة الطائرات وزمن بقائها في الجو يؤدي إلى تشبع وسائل نقل المعلومات وعدم قدرتها على العمل بالكفاءة اللازمة.
- استخدام الطائرات الموجهة بدون طيار في أعمال الإعاقة الإلكترونية يؤدي إلى تعطل عمل مراكز القيادة الآلية.

رابعًا: مستقبل الدفاع الجوي في ظل تعاظم استخدام الطائرات الموجهة بدون طيار

مـن المنتظـر أن تتطـور وسـائل الدفـاع عالميًـا لمجابهـة الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار **مـن خـلال ثلاثـة محـاور هـي:**

1. **التسليح:** والمقصود به إدخال أنواع جديدة من الأسلحة والمعدات إلى الخدمة وتطوير الأسلحة والمعدات الموجودة.

2. **التنظيم:** أي إنشاء وحدات دفاع جوي جديدة أو تعديل تنظيم الوحدات القائمة، وعادة ما ترتبط عملية إعادة التنظيم بتعديل التسليح. كذا من المنتظر إدخال عناصر مجابهة إيجابية ضمن تنظيم الوحدات الميكانيكية والمدرعة وعناصر حراسة الحدود البرية والبحرية.

3. **تكتيكات الاستخدام:** مـن المنتظـر أن يتـم تطويـر تكتيـكات اسـتخدام وسـائل الدفـاع الجـوي سـواء وسـائل الكشـف أو وسـائل التدمير وذلك بناءً على الاستخدام المكثف للطائـرات الموجهـة بـدون طيـار المعاديـة.

وتشـمل ملامـح التطـور المسـتقبلية فـي عناصـر الدفـاع الجـوي لمجابهـة الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار مـا يلـي:

1. **التطـور فـي وسـائل الكشـف والتتبـع: وتشـمل ملامـح التطـور مـا يلـي:**

- اسـتخدام أجهـزة رادار مليمتـري لهـا القـدرة علـى كشـف الأهـداف ذات مسـاحة المقطـع الراداري حتى (0.01)م2 ولمسافة حتى 7 كم.
- التوسع في اسـتخدام الأنظمـة الكهروبصرية فـي اكتشـاف وتتبـع الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار وذلـك بالدمـج بيـن كاميـرات الرؤيـة التلفزيونيـة والحراريـة.
- اسـتخدام محـددات المسـافة بالليـزر مـع الأجهـزة الكهروبصريـة كنظـام متتبـع مدمـج لاسـتمرار تتبـع خـط سـير الأهـداف.
- اسـتخدام محـددات تجـاه إشـارات الراديـو لاكتشـاف إشـارات وصلات نقـل المعلومـات بيـن الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار ومحطـات التوجيـه.
- استخدام أجهزة المستشعرات الصوتية، ويتم ربطها ببعضها من خلال شبكات خطية أو لا سلكية للعمل في حيز ترددات الطائرات الموجهة بـدون طيـار ذات المـدى القصيـر.

2. **التطور في وسائل الدفاع الجوي الإيجابية:** وهي وسائل الدفاع الجوي التي تقوم بمنع الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار مـن تنفيـذ مهامها سـواء بتدميرها أو بالتأثير في كل وسائل توجيهها أو المعدات التي تحملها. وتنقسـم الوسـائل الإيجابيـة إلـى نوعيـن رئيسين هما:

- **وسـائل الدفـاع الجـوي السـلبية الحديثـة، وتشـمل:** الإعاقـة علـى وصـلات نقـل البيانـات لأنظمـة تحديـد المحـل مـن الأقمـار الصناعيـة، والإعاقـة علـى وصـلات نقـل البيانـات اللاسـلكية بيـن محطـات التوجيـه الأرض والطائـرات، واسـتخدام أجهـزة توليـد موجـات كهرومغناطيسـية علـى مسـتقبل إشـارات تحديـد المحـل العالميـة بالقمـر الصناعي/وصلـة نقـل البيانـات اللاسـلكية.
- **وسـائل الدفـاع الجـوى الإيجابيـة الحديثـة: وتشـمل:** اسـتخدام الليـزر عالـي القـدرة فـي التوجيـه نحـو الطائـرات لإحـداث إتـلاف كلـي أو جزئـي للطائـرة ومكوناتهـا لإفقادهـا القـدرة علـى الطيـران، واسـتخدام النبضـات الكهرومغناطيسـية عاليـة القـدرة بتـردد عـالٍ وبمعـدل تكـرار نبضـة عـالٍ يوجـه إلـى جسـم الطائـرة مـا يحـول دون قدرتهـا علـى الطيـران، واسـتخدام الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار التصادميـة للاصطـدام بالطائـرات المعاديـة وتدميرهـا، واسـتخدام مدافـع الشـباك (وهـي عبـارة عـن مقـذوف يتـم إطلاقـه مـن قـاذف ضغـط هـواء محمـول علـى الكتـف مثبـت عليـه وحـدة كهروبصريـة وبداخلـه شـبكة يتـم توجيههـا نحـو الطائـرة لقنصهـا)، وتطويـر أنظمـة الصواريخ المضادة للطائرات بكل توجيهها (راداري- حـراري- طرقـي- زمنـي)، بجانـب تطويـر أنظمـة المدفعيـة المضـادة للطائـرات وتزويدهـا بأجهـزة قيـادة وسـيطرة حديثـة وذخائـر ذكيـة وأجهـزة رادار حديثـة وأجهـزة كهروبصريـة للاكتشـاف والتتبـع.

وختامًـا، سـيظل الصـراع قائمًـا بيـن أسـلحة القتـال بأنواعهـا، بيـن الدبابـة والمقـذوف المضـاد للدبابـات، وبيـن الطائـرة المقاتلـة التقليديـة والصواريـخ المضـادة للطائـرات بأنواعهـا، وأخيـرًا الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار بمـا تحملـه مـن مهمـات وأسـلحة ومعـدات وأجهـزة تجعلهـا قـادرة علـى تنفيـذ جـزء كبيـر مـن مهـام الطائـرات المقاتلـة التقليديـة، ومـن الطبيعـي أن يقابـل هـذا العنصـر الجديـد أعمـال مجابهـة مضـادة لمنعهـا مـن تنفيـذ مهامهـا.

فقـد اتجهـت كل دول العالـم وخاصـة التـي تشـهد صراعـات عسـكرية حاليـة أو منتظـرة، وكـذا دول العالـم التـي تواجـه عناصـر إرهابيـة أو قـوات غيـر نظاميـة، إلـى اسـتخدام الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار وتطويـر وسـائل مجابهـة هـذا الخطـر الجديـد. وتعتبـر عناصـر الدفـاع الجـوي هـي العنصـر الرئيسـي فـي مجابهـة الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار. لـذا؛ فمـن المتوقـع أن تشـهد عناصـر الدفـاع الجـوي فـي كل دول العالـم العديـد مـن طـرق ووسـائل وأسـلحة ومعـدات وتكتيـكات التعامـل مـع الطائـرات الموجهـة بـدون طيـار.

يسعى المركز "المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية"، الذي أُسس في عام 2018 كمركز "تفكير" مستقل؛ إلى تقديم الرؤى والبدائل المختلفة بشأن القضايا والتحولات الاستراتيجية، على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي على حد سواء. ويولي اهتمامًا خاصًا بالقضايا والتحولات ذات الأهمية للأمن القومي والمصالح المصرية.

يستهدف المركز دوائر صنع القرار، بإمدادها بالخيارات والبدائل عند التعامل مع التحديات والقضايا الداخلية والإقليمية والدولية، وكذلك الباحثين والمتخصصين في الشئون السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأمنية، داخل مصر وخارجها. ويرمي المركز من خلال خدماته المختلفة إلى المساهمة في تنوير وترشيد الجدال والرأي العام في مصر وإقليم الشرق الأوسط، ونشر قواعد التفكير والبحث العلمي.

ويقوم المركز بمجموعة من المهام، والأنشطة، والخدمات المتنوعة، تشمل: تقديرات المواقف، وأوراق السياسات، وعقد ورش العمل والندوات والمؤتمرات، إلى جانب عددٍ من الإصدارات الشهرية باللغتين العربية والإنجليزية، فضلًا عن الموقع الإلكتروني للمركز الذي يتضمن سلسلة من التحليلات لمختلف التطورات على الساحة المصرية، والساحتين الإقليمية والدولية، ونشر إنتاج البرامج البحثية المختلفة.

البرامج والأقسام

يُمارس المركز رسالته من خلال ثلاثة برامج بحثية أساسية، هي:

أولًا- برنامج العلاقات الدولية: ويُعنَى بدراسة التحولات الدولية الأبرز على الساحة الدولية، وعلى مستوى إقليم الشرق الأوسط، خاصة ذات الطابع الاستراتيجي، وتأثيرها على المصالح والأمن القومي المصري، وذلك في مختلف الأقاليم الجغرافية. ويضم البرنامج مجموعة من الوحدات المتخصصة، منها: وحدة الدراسات الأمريكية، وحدة الدراسات الأوروبية، وحدة الدراسات الآسيوية، وحدة الدراسات الإفريقية، وحدة الدراسات العربية والإقليمية.

ثانيًا- برنامج الأمن وقضايا الدفاع: ويحلل قضايا الأمن القومي بأبعاده المختلفة، ويضم العديد من الوحدات، منها: وحدة الأمن السيبراني، وحدة التسلح، وحدة التطرف، وحدة الإرهاب والصراعات المسلحة.

ثالثًا- برنامج السياسات العامة: ويُعنَى بدراسة القضايا والتحولات ذات الصلة بالسياسات العامة داخل مصر من خلال مجموعة من الوحدات المتنوعة، منها: وحدة الاقتصاد ودراسات الطاقة، وحدة دراسات الرأي العام، وحدة دراسات المرأة وقضايا الأسرة.

وتتسم الوحدات البحثية بدرجة من المرونة، بحيث تعكس الأجندة البحثية المعتمدة من جانب المركز خلال فترة زمنية محددة، وفقًا لتقييم موضوعي للواقع الراهن على الأصعدة المختلفة (المحلي، والإقليمي، والدولي)، وأنماط التحديات والتهديدات القائمة.

وإلى جانب البرامج البحثية، يضم المركز "المرصد المصري" لأهم القضايا التي تشغل الرأي العام، المصري والعالمي، بالإضافة إلى تقديم متابعة دقيقة تحليلية متخصصة لقضايا بعينها تشغل صناع القرار في الشرق الأوسط والعالم. وكذلك "مدونة" لشباب الباحثين والكتاب من خارج المركز، من مختلف الجنسيات، للتعبير عن رؤاهم وطرح أفكارهم فيما يخص الأحداث المتسارعة من حولهم.

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة ونافذة للمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

للتواصل والمعلومات:

100 شارع الميرغني – مصر الجديدة – القاهرة

+20226905863 | +20226905862 |+20226905861

/ecsstudies

ECSS
المركز المصري
للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

E-mail | info@ecss.com.eg
Website | ecss.com.eg
Social links | /ecsstudies
100 Al-Merghani St., Heliopolis, Cairo